الجزء ١ — المجلد ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) كانون الثاني سنة ١٩٢٦م الموافق جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٤٤هـ

المجمع العلمي العربي

« في سنة ١٩٢٥ »

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء العاملون والمؤازرون »

	السادة :	محل الاقامة
١	اسعد الحكيم	دمشق
٢	الياس القدسي	〃
٣	انيس سلوم (عامل)	〃
٤	بهجة البيطار	〃
٥	خليل مردم بك	〃
٦	رشيد بقدونس	〃
٧	سليم البخاري	〃
٨	سليم الجندي	〃
٩	سليم عنحوري	〃
١٠	عارف النكدي	〃
١١	عبد القادر المبارك	〃
١٢	عبد القادر المغربي (عامل)	〃

« الاعضاء العاملون والمؤازرون »

	السادة :	محل الاقامة
١٣	عبد الله رعد	دمشق
١٤	فارس الخوري	〃
١٥	مرشد خاطر	〃
١٦	مسعود الكواكبي	〃

« الاعضاء المراسلون »

١٧	امين الريحاني	بيروت
١٨	بولس الخولي	〃
١٩	جبر ضومط	〃
٢٠	شكيب رسلان	〃
٢١	عبد الباسط فتح الله	〃
٢٢	عبد الرحمن سلام	〃
٢٣	عبد الله البستاني	〃

« الاعضاء المراسلون »

		محل الاقامة
٢٤	فيليب حتي	بيروت
٢٥	فيليب طرازي	〃
٢٦	لويس شيخو	〃
٢٧	عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٢٨	احمد رضا	النبطية
٢٩	جرجي يني	طرابلس الشام
٣٠	سليمان احمد	اللاذقية
٣١	ادوارد مرقص	〃
٣٢	محمد زين العابدين	انطاكية
٣٣	بدر الدين النعساني	حلب
٣٤	جرجس شلحت	〃
٣٥	جرجس منش	〃
٣٦	راغب الطباخ	〃
٣٧	عبد الحميد الجابري	〃
٣٨	عبد الحميد الكيالي	〃
٣٩	قسطاكي الحمصي	〃
٤٠	كامل الغزي	〃
٤١	ميخائيل الصقال	〃
٤٢	اسعاف النشاشيبي	القدس
٤٣	سعيد الكرمي	طول كرم
٤٤	رضا الشبيبي	النجف الاشرف
٤٥	امين المعلوف	بغداد
٤٦	انستاس الكرملي	〃
٤٧	جميل صدقي الزهاوي	〃
٤٨	عز الدين علم الدين	〃
٤٩	كاظم الدجيلي	〃
٥٠	معروف الرصافي	〃
٥١	احمد الاسكندري	القاهرة
٥٢	احمد تيمور	〃
٥٣	احمد زكي	〃
٥٤	احمد عيسى	〃
٥٥	اسعد خليل داغر	〃
٥٦	رشيد رضا	〃
٥٧	يعقوب صروف	〃
٥٨	زكي مغامز	الاستانة
٥٩	حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٦٠	محمد بن ابي شنب	الجزائر
٦١	محمد اجمل خان	الهند

***

	«الاعضاء المراسلون»		محل الاقامة
٦٢	مارسيه	Marçais	تونس
٦٣	ماسه	Massé	الجزائر
٦٤	كي	Guy	ازمير
٦٥	ميشو بلير	Michaux-Bellaire	طنجة
٦٦	هوار	Huart	باريز
٦٧	فرّان	Ferrand	〃
٦٨	دوسو	Dussaud	〃
٦٩	ماسينيون	Massignon	〃
٧٠	بوڤا	Bouvat	〃
٧١	جويدي	Guidi	ايطاليا
٧٢	نالينو	Nallino	〃
٧٣	آسين	Asin	اسبانيا
٧٤	لوبس	Lopès	البرتقال
٧٥	مونته	Montet	سويسرا
٧٦	هيس	Hess	〃
٧٧	سنوك هورغرن	Snouck-Hurgronje	هولانده
٧٨	هوتسما	Houtsma	〃
٧٩	اراندونك	Arendonk	〃
٨٠	مرجليوث	Margoliouth	انكلترا
٨١	بڤن	Bevan	〃
٨٢	هومل	Hommel	المانيا
٨٣	ساخاو	Sachau	〃
٨٤	بروكلمن	Brockelmann	〃
٨٥	هوروفيتز	Horovitz	〃

	« الاعضاء المراسلون »	محل الاقامة
٨٦ هرزفلد	Herzfeld	المانيا
٨٧ هارتمان	Hartmann	«
٨٨ ميتفوخ	Mittwoch	«
٨٩ سترستن	Zetterstéen	السويد
٩٠ اوستروب	Œustrup	الدانيمارك
٩١ بول	Buhl	«
٩٢ بدرسن	Pedersen	«
٩٣ موجيك	Mzik	النمسا
٩٤ ماهلر	Mahler	المجر
٩٥ كوفالسكي	Kowalski	بولونيا
٩٦ كراجكوفسكي	Kratchkovsky	روسيا
٩٧ موزل	Musil	تشيكوسلوفانيا
٩٨ مكدونالد	Macdonald	اميركا
٩٩ كارسيكو	Karsikko	فنلاندا (١)

---

(١) والاعضاء الذين فقدهم المجمع هم المرحومون : الشيخ طاهر الجزائري في دمشق . والسيد نخله زريق في القدس . والسيد اغناطيوس غولدسهير في المجر . والسيد مرتين هارتمان في برلين . والسيد رينه باسه في الجزائر . واحمد كمال باشا والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي في القاهرة . والسيد محمود شكري الالوسي في بغداد . والسيد غريفيني والسيد رفيق العظم في القاهرة . والسيد حسن بيهم في بيروت . والدكتور صالح قنباز في حماة . والسيد مانجو في دمشق . والسيد براون في كمبريج . أجزل الله ثوابهم .

آثار الشهباء والفيحاء (١)

« ومدرسة ضيفة خاتون »

تنقسم مصانع الشام الى قسمين مدني ودني، فالمدني القلاع والحصون والابراج والمناور والمراصد والقصور والجسور والسكور والاقنية والمواني والطرق والقبور والمستشفيات ودور الزمنى والضيافة ، والدني المعابد والبيع والاديار والكنائس والجوامع والمساجد والمدارس والربط والخانقاهات والملاجئ وما شاكلها. والكلام على كل مادة من هذه المواد يحتاج الى محاضرة بل محاضرات ولذلك تقصر حديثنا الآن على المدارس ونقابل بين ما قام من نوعها في هذه المدينة الطيبة وبين ما في دمشق الفيحاء منها .

انشأ العرب لما حكموا الشام مصانع كثيرة وكان بنو غسان يتبارون في البيع وزينها أقاموا منها كثيراً كما عمروا الاديار والصروح والقناطر ، وكذلك فعل النبط والتنوخيون ، وكلهم عرب ايضاً . والغالب ان هندستهم كانت ابنة الهندسة الرومانية . واليونانية تختلف عنها قليلاً في بعض الرسوم والتفاصيل . ولما فتح العرب المسلمون هذا القطر لم يكن لهم هندسة خاصة .

وكان الأمويون اذا أرادوا إقامة بناء عظيم تقدم مملكة بيزنطية الصناع والرسوم التي يراد النقل عنها ، فقد جمع الوليد لما أراد بناء الجامع الأموي لبنائه حذاق فارس والهند والمغرب والروم فجاء البناء من صنع بنائين مختلفين اجمل ما في الهند وفارس وآثينة ورومية من طرز البناء وأخذ ربع أعطيات أهل دمشق تسع سنين وكانوا خمسة واربعين الفاً ليستعين بها على عمارة الجامع وأنفق فيه خراج الشام سنتين وفي رواية اربعمائة صندوق كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان خراج الشام على عهد بني أمية الف الف دينار ومائتي الف دينار .

قال المقدسي : والجامع جامع دمشق أحسن شيء للمسلمين اليوم (في القرن الرابع) ولا يعلم لهم مال مجتمع اكثر منه وأعجب شيء فيه تأليف الرخام المجزع كل شامة الى اختها،

(١) من محاضرة للسيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي ألقاها في المدرسة الفاروقية بحلب في ربيع ١٣٤١ هـ (١٩٢٣) م .

ولو ان رجلاً من اهل الحكمة اختلف اليه سنة لأفاد كل يوم صنعة . وقال ايضاً : رأى الوليد الشام بلد النصارى ورأى لهم فيها بيعاً حسنة قد أتقن زخارفها وانتشر ذكرها ، كالقمامة وبيعة لدّ والرّها ، فاتخذ للمسلمين مسجداً في دمشق شغلهم به عنهن وجعله احدى عجائب الدنيا ، او كما قال الخليفة المأمون بني على غير مثال شوهد .

قال الثعالبي : كان الأغلب على الوليد بن عبد الملك حب البناء واتخاذ المصانع واعتقاد الضياع وكان الناس في ايامه يخوضون في وصف الابنية ويحرصون على التشييد والتأسيس ويولعون بالضياع والعمارات . وقال آخر : كان الوليد عند اهل الشام محبوباً لانه صاحب عمارة وبناء ، عمر الضياع ووضع المنار في الطرقات واعطى المجذَّمين وافردهم وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً .

فالعرب اذاً أخذوا اولاً الهندسة عن الفرس والبيزنطيين وغيرهم من الامم التي كانت لها حضارة جميلة وجودوها وزادوا عليها . قال ستنيوبوس : لم يكن للعرب كما للرومان صناعات وطنية خاصة بهم ، فكانوا اذا احتاجوا الى قصور او جوامع يعمرونها اولاً على الطرز الفارسي او البيزنطي مثل جامع دمشق ، ولكن ما لبثت الصناعات الفارسية والبيزنطية ان اختلطت ونشأ منها صناعة جديدة هي الصناعة العربية وأجمل هذه الصناعات الجوامع والقصور .

وليس لدينا من مصانع الامويين في الشام غير هندسة الجامع الاموي وبعض محال من المسجد الاقصى على كثرة ماشادوا من الجوامع والقصور والحصون والمدن لان العباسيين لما استولوا على هذه الديار نقضوا آثار الامويين كلها ولم يبقوا على غير جامع دمشق وجامع القدس ، قال الجاحظ من شأن الملوك ان يطمسوا على آثار من قبلهم وان يميتوا ذكر اعدائهم فقد هدموا بذلك السبب المدن وأكثر الحصون كذلك كانوا ايام العجم وايام الجاهلية وعلى ذلك هم في الاسلام كما هدم عثمان صومعة غُمدان وكما هدم الآطام (الحصون) التي كانت بالمدينة وكما هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر وكما هدم أصحابنا اي العباسيون بناء مدن الشامات (اي الشام) .

تجلت الهندسة العربية في هذه الديار في القرن الرابع فما بعده على الاغلب ونشأ لها مهندسون سوريون عرب انتهت الينا بعض اسمائهم وبعض نموذجات من أبنيتهم ولا سيما

المدارس ولم تكن المدارس معروفة في هذه الديار قبل نور الدين محمود بن زنكي بقليل فانه شاد منها جملة صالحة وهو اول من أسس دور الحديث والقرآن والفقه وأول من بنى دار العدل في دمشق لكشف الظلامات وبنى الخوانق والرُّبط وقد مشى على اثره في هذا الطريق المحمود صلاح الدين يوسف بن ايوب وآل بيته الكرام وما من عين من أعيانهم الا وله في دمشق وحلب وحماة والقدس وغزة وبعلبك ومنبج والمعرة مدارس أبقت الايام على بعضها نموذجاً من حسن الهندسة وارتقائهـا في تلك العصور ومثالاً ينم عن ارادة الخير والتدين الحقيقي ·

ذكروا ان البلاد قبل نور الدين كانت خالية من العلم واهله فصارت في ايامه مقر العلماء والفقهاء والصوفيـة لصرف همته الى المدارس والربط وترتيبه امورهم وقصده العلماء من خراسان وغيره وكان يكرم الصوفية والفقهاء والعلماء ·

ولم تسعد هذه الديار بعد عهد قليل من خلفاء الامويين والعباسيين سعادة حقيقية مثل سعادتها على عهد الدولتين النورية والصلاحية فمعظم مانراه من المصانع هو من صنعهم وصنع أمرائهم بل خدامهم وعتقائهم · ولما انقضت الدولة الايوبية تراجع عمران هذه الديار تراجعـاً محسوساً وعاشت قرنين وثلاثة بفضل تلك الحسنات وبقوة التسلسل المنبعثة من ذاك الفضل الشامل والعقل الكامل ·

***

زرتُ بالامس في جملة مازرته من مدارس الشهباء القديمة مدرسة أُخذطرز بنائها بمجامع النفس وذكرها ماضياً باهراً لهذه الامة ، والماضي قد يفرح ويحزن· نفرح به اذا كان جليلاً ونتقبض اذا ناظرت بينه وبين الحاضر ، خصوصاً اذا كان هذا ضئيلا · رأيت مايدهش من مدرسة الفردوس التي أنشأتها الملكة ضيفة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين ابي بكر محمد بن ايوب وكانت جعلتها تربة ومدرسة ورباطاً ورتبت فيهـا خلقاً من القراء والفقهاء والصوفية · وضيفة خاتون ولدتها امها في غير دار ابيها حيث كانت أمهـا ضيفة فسماها ابوها ضيفة ، توفيت سنة ٦٤٠ هـ ودفنت بقلعة حلب وولدها مدفون بها ايضاً ، مات ابنها فتولت زمام الحكم في حلب وتصرفت فيها تصرف

السلاطين ست سنين فأبانت عن ذكاء وجودة رأي ، وان النساء اذا تعلمن لا يصعب عليهن ان يبلغن مبلغ الرجال ، وقل ان حدث في تاريخ هذه البلاد ان تولت امرأة امور الدولة وأحسنت السياسة ، ولا نذكر الآن في مصر غير شجرة الدر المشهورة التي ساست الملك فأحسنت سياسته في الجملة . واما ملكة حلب صاحبة هذا الاثر النفيس فكانت متينة في سياستها أثنى عليها معاصروها ، و يرجع الفضل في ذلك الى من كانوا المشاورين لها من فضلاء اهل حلب اذ ذاك ، ولا عجب فقد قامت في هذه المدينة غير مرة مشيخة من اهلها اي جمهورية في القرون الوسطى لاحوال اقتضت ذلك من تخالف بين اهل السلطان اوالموت ملكها او اميرها فكانت الامور تسير بالشورى على سداد . ومن ذلك ان دولة بني مرداس بحلب لما انقضت عادت رياستها شورى في مشيختها وطاعتهم لمسلم بن قريش صاحب الموصل وكان ذلك سنة ٤٧٢ فأدار شؤونها الداخلية رجال منهم فأحسنوا السياسة وأمنت قواعد العدل واستقر الامن في نصابه .

قرأت في حائط مدرسة الفردوس هذا : (بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أنشأته ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع عصمة الدنيا والدين ضيفة خاتون بنت السلطان الملك العادل والدة السلطان الملك العزيز بن الملك الظاهر في ايام مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب ناصر امير المؤمنين خلد الله ملكه) . وقد كتب على محرابها البديع (عمل حسان بن عفان) والغالب ان مهندس البناء شخص آخر عمره مثالاً جميلاً من عمل صنع الايدي وهو يشبه بعض المدارس الكبرى في عهد الدولة الايوبية في دمشق كالمدرسة العادلية التي جعلت اليوم دار المجمع العلمي العربي وفيها متحفه وهي مثال الهندسة العربية بواجهتها ، بناها العادل ابو بكر بن ايوب هذا البناء المحكم الذي لا نظير له في بنيان المدارس كما في الروضتين . ومدرسة الفردوس على ما تحيفها من الخراب ، وما أدخل فيها و بجانبها من البناء الذي عورر به البناء الاصلي البديع ، تحتاج لقليل من العناية حتى تعود الى ما كانت عليه تذكرنا بعهد الاجداد وفضلهم علينا ، بما خلفوه لنا ولم نحسن استعماله والاحتفاظ به .

وهي كما تعلمون في باب المقام ، وهناك مدارس وربط وترب دفن فيها أعاظم علماء الامة من المحدثين والفقهاء والمؤرخين والادباء في بسيط من الارض اذا تعهد يصبح حديقة غناء

وبقربها مدفن آل الشحنة مؤرخي حلب وفقائها ، وهي الأسرة التي تسلسل فيها العلم عدة بطون كما تسلسل في القرن السادس والسابع العلم والقضاء في بيت بني العديم الحلبيين خمسة بطون ونعمت البيوت . قال ياقوت : ولاهل حلب عناية باصلاح أنفسهم وتثمير الاموال فقلما ترى من ناشئتها من لم ينتقل أخلاق آبائه في ذلك ، فلذلك كان فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة يتوارثونها و يحافظون على قديمهم بخلاف سائر البلدان . قال هذا اوائل القرن السابع ولا يزال الى اليوم أثره ظاهراً ولو على ضعف .

بنيت اول مدرسة في حلب سنة ٥١٧ هـ وهي المدرسة الزجاجية أنشأها بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار صاحب حلب ولما أراد بناءها لم يمكنه الحلبيون من ذلك اذ كان الغالب عليهم التشيع فكان جماعته يبنون في النهار والشيعة تنقض مابنوه في الليل . وكان التشيع مستحكماً في الحلبيين فقضى عليه صلاح الدين وأمرته قضاءه عليه في مصر بقرض الدولة الفاطمية او العبيدية . وقد ذكر المؤرخون ان الدولة الفاطمية أهلكت نحو اربعة آلاف عالم من علماء المالكية مدة قرنين وقد اصاب الشام بالطبع ان صحت الرواية قسطها من هؤلاء المتقولين لتشددهم في التسنن . قال ابن خلكان ان حلب كانت قبل ان يتصل ابن شداد بخدمة الملك الظاهر قليلة المدارس وليس بها من العلماء الا نفر يسير ، فأعتنى بترتيب امورها وجمع الفقهاء بها وعمرت في ايامه المدارس الكثيرة . والزجاجية هذه تولت مشيختها ومشيخة العادلية فاطمة بنت قريزان المتوفاة سنة ٩٦٦ هـ انتهت اليها رياسة اهل زمانها بحلب أخذت العلم عن زوجها وهي أشبه بعائشة الباعونية في هذا القرن ايضاً بدمشق التي زينت الشام بل جملت اهل الاسلام بعلمها وأدبها .

ومن مدارس حلب النورية والعصرونية والصاحبية والظاهرية المعروفة بالسلطانية والاسدية والشعيبية والشرفية والرواحية والبدرية والزبدية والقواميـة والشاذبختيـه أنشـأها الامير جمال الدين شاذبخت نائب نورالدين محمود بحلب وولي تدريسها كمال الدين بن العديم سنة ٦١٦ وكانت حلب يومئذ أعمر ما كانت بالعلماء والمشايخ والفضلاء الرواسخ كما قال ابن شداد . وقد كانوا في القرن الذي قبله احصوا فقهاء دمشق فكانوا ستمائة فقيه ، وكان صلاح الدين رحمه الله يطلق لعلماء دولته في السنة ثلاثمائة الف دينار عدا الهبات والعطايا والاقطاعات .

ومن مدارس حلب المروية والبلدقية والقيرية والحلاوية والاتابكية والحدادية والجردكية والمقدمية والجاولية والطومانية والحسامية والخسروية والعثمانية والقليجية والفطيسية والجدية والكلتاوية والالجائية والكينوشية اوالكهنبوشية والكاملية والشبكية والورمشية والسفاحية والدلغادرية والصهيبية وهذه كانت وراء باب انطاكية مباشرة قامت على انقاض اقدم جامع في حلب بناه ابو عبيدة قال سو برنهيم الاثري ان النقوش الكثيرة والهندسة القديمة والكتابات الكوفية الموجودة في هذا الباب تجعله في الدرجة الاولى من المكانة ومنه يدرس التحول التام المجهول سره حتى الآن الذي تم على عهد نور الدين في أسلوب الهندسة وفي صور الكتابة والطرز السيامي في الكتابات ٠

ومن مدارس حلب الاسعردية ومدرسة النقيب والدقاقية والجمالية والعلائية والكمالية العديمية والاتابكية والسيفية ٠ هذا ما كان فيها من مدارس الشافعية والحنفية وذلك عدا مدارس المالكية والحنابلة وهي قليلة وليس في تاريخ حلب ما يدل على انه كان فيها كما في دمشق دور للقرآن والحديث خاصة بل فيها دار القرآن الحبشية فقط ٠ وذكر الرحالة ابن جبير في المئة السادسة انه كان يتصل من الجانب الغربي من جامع حلب مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسناً واتقان صنعة فهما في الحسن روضة تجاور أخرى ٠ قال وهذه المدرسة من أحفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة صنعة ، وقال ان للبلدة سوى هذه المدرسة نحواً من اربع مدارس او خمس ٠

قال السابق ابو اليمن المعري

حلب معهد الصبا والتصابي فسقاها الوسمي ثم الوليُّ
موطني بعد موطني فكأني لغرامي بحبها البحتريُّ

الى ان قال في مدارسها

فلديها كل الفنون وفيها ما اشتهاه الشرعي والفلسفي
غير اني ارى الاطايب شزرا وحليف الافلاس عنها قصيُّ

وفي تقويم سنة ١٣٣٣ ان عدد مدارس الشهباء كان ثنتين وثلاثين مدرسة وما نظن العامر منها الآن بعض الشيء يتجاوز العشرين مدرسة خربت في اوقات مختلفة ولا سيما في فتنة تيمورلنك سنة ٨٠٣ ثم في القرون التالية بالفتن وتغير الدول

والحكام وتوالي الزلازل وغفلة القائمين على اوقافها وعسى ان يعود الى هذه الدور البديعة رونقها القديم بعناية ادارة الاوقاف التي تعنى الآن باحياء الآثار وتكثير مغل الوقف ، وان هذه المدارس بل كبرياتها اذا رممت وعولجت بالاصلاح وتنفذت ارادة واقفيها بصبح مجموعها أعظم جامعة اسلامية كما هو الشأن في جامعتي اكسفورد وكمبردج في بلاد الانكليز من أعظم جامعات المذهب الانجيلي وكانت من قبل مدارس من مثل هذه مفرقة بنيت في عصور مختلفة فأصبحت الآن جامعات يفاخر بها وفيها يتخرج رجال الانكليز في العلوم المختلفة .

* * *

حلب اخت دمشق في جميع أدوار تاريخنا ، وهما متشابهتان من وجوه كثيرة في مرافقها ومدارسها وعمرانها ، والمدارس كانت في دمشق على حصة موفورة لانها كانت عاصمة الدولتين النورية والصلاحية ، وقد كانت في القرن السادس على رواية ابن جبير اكثر مدن الارض سكاناً وكانت في القرن الثامن كما قال ابن تغري بردي أجمل مدينة في العالم بل اغنى مدينة ، أحرق تيمورلنك بعض مدارسها وجوامعها وغرّمها عشرة ملايين دينار وحمل معه المهندسين والبنائين والنقاشين في جملة من حمل من ارباب الصنائع الى سمرقند كما فعل السلطان سليم العثماني في مصر لما فتحها في الربع الاول من القرن العاشر فحمل الى القسطنطينية كل صاحب صنعة وعمل نافع وجردها من بدائعها وصناعاتها النفيسة .

كان في دمشق في القرن التاسع مئة حمام وحمام والف مسجد وجامع في المدينة والضاحية وقد ذكر النعيمي في كتاب الدارس من المدارس انه كان فيها سنة ٩٢٧ هـ — ٣٢٠ مدرسة للشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ودار قرآن وحديث ورباط وخانقاه ومستشفى واربع مدارس للطب ومدرسة هندسة أنشأها نجم الدين اللبودي من اهل القرن السادس ولكل مدرسة خزانة كتبها ومدرسوها في الفنون المختلفة وكانت الطبيعيات والرياضيات والفلك والادب تدرس في حُجَرها من غير نكير . دام هذا الى القرن العاشر فأخذت بالانحطاط ولم يبق منها في اوائل هذا القرن سوى بضع مدارس تُلحقها

بالعامرات من باب التجوز صبرت كما قال عبداللطيف البغدادي في الاهرام على عمر الازمان بل على عمرها صبر الزمان فانك اذا تبحرتها وجدت الاذهان الشريفة قد استهلكت فيها والعقول الصافية قد أفرغت عليها مجهودها ، والانفس المنيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها لها ، والملكات الهندسية قد أخرجتها الى الفعل مثلاً في غاية امكانها ، حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم وتنطق عن علومهم واذهانهم وتترجم عن سيرهم واخبارهم ٠

صبرت هذه المدارس على نوائب الدهر لانها كالقلاع بفخامة بنيانها صرفت عليها الاموال الطائلة اكثر مما نتصور بكثير ٠

لا جرم ان بلاد الشام كانت عامرة في القرنين السادس والسابع اكثر من كل قرن على ما كان ناشئاً من الحروب الطاحنة بين سكان البلاد والصليبيين ٠ وكثير من آثار العمران ظهرت اذذاك على غير مثال ، ولا غرو بعد هذا ان قال في دمشق ابو الفضل ابن منقذ الكناني يوم كان لها القدح المعلى في العمائر :

وإذا مررت على المنازل معرضاً ... عنها قضى لك حسنها ان تقبلا
ان كنت لا تسطيع ان تتمثل الفر ... دوس فانظرها تكن متمثلا
وإذا عنان اللحظ اطلقه الفتى ... لم يلق الا جنة او جدولا
او روضة او غيضة او قبة ... او بركة او ربوة او هيكلا
او وادياً او نادياً او ملعباً ... او مذنباً او مجدلا او موئلا
او شارعاً يزهو برهم قد غدا ... فيه الرخام مجزعاً ومفصلا

ولقد وصف شيخ الربوة من القرن الثامن حلب فقال انها كانت على عهد العباسيين تضاهي بعظمتها بغداد والموصل وانه استولى عليها الخراب بايدي التتار وان اهلها يتنافسون في الملابس والهيئات والمراكب والمنازل وقال غيره ان حلب بلد تليق بالخلافة ٠

ولقد برع مهندسو العرب في هذه الديار في علم عقود الابنية وهي ما يتعرف منه احوال اوضاع الابنية وكيفية شق الانهار وتنقية القني وسد البثوق وتنضيد المساكن ولو لم يبرعوا في كيفية ايجاد الآلات الثقيلة لنقل الثقل العظيم بالقوة اليسيرة لما تمكنوا

من عمارة المدن والقلاع والمنازل والجوامع والمدارس هـذا التمكن الذي تبهرنا بقاياه الضئيلة ولو كان مؤلفو التراجم يعنون باخبار المهندسين والفلكيين والرياضيين مثـلاً عنايتهم بالتقاط اخبـار الشعراء والمتأدبين والمتزهدين لجاءتنـا منهم سلسلة طويلة ولعلمنا من اساليب تفننهم وعلومهم الشيء الكثير . ولم نطلع من هذا القبيل على اكثر من عشرة مهندسين مسلمين في قرون العمران في حلب ودمشق وضاعت تراجم الاكثر ومنهم من ظفرنا باسمائهم مزبورة على بعض المدارس في هذه الحاضرة وغيرها من مدن الشام .

ان الارتقاء الذي بلغه المهندسون في الاسلام عندنا يدهش كل مفكر وقديماً كان السوريون على عهد الفراعنة والحثيين يعتقدون ان بعض مدن ساحل الشام بناءا الارباب والآلهة ثم اصبحوا يعتقدون اذا رأوا بناء عجيباً جهلوا بانيه انه من بناء سليمان او اضافوه الى الجن وقد قال البحتري في ايوان كسرى :

ليس يدرى اصنع انس لجن سكنوه ام صنع جن لانس

وقال شيخنا ابو العلاء المعري :

وقد كان ارباب الفصاحة كلما رأوا حسناً عدوه من صنعة الجن

اما نحن فنضيف كل بناء الى صانعه وهو مثلنا وبطولنا وجمنا وعقلنا لكنه رزق حظاً من العلم وشدا شيئاً من ادب النفس وانفق صاحبه على بنائه عن سعة فجاء مثال الحسن والابداع .

من تأمل مدارس ارباب الخير من المسلمين في الشهباء والفيحاء وقرأ ما كتب عليها يتأمل وزارها المرة بعد المرة على تغير في معالمها ، وتشويه طرأ على محاسنها ، وفساد عرا اذواق الابناء والاحفاد اذا قيس الى مجد الاجداد ، وجعل نسبة بين عدد ما عمر منها وما بقي في البلدتين الشقيقتين ، يؤكد معنا ان الفساد استحوذ عليها في دمشق اكثر من حلب وان من تجردوا من الوجدان ناستحلوا استصفاء تلك المدارس كانوا في الفيحاء اكثر من امثالهم في الشهباء ، ولذلك كان عدد الباقي هنا اكثر واجود من حيث الكمية والكيفية من المدارس هناك .

ولا ينكر ان مادة البناء قد تختلف في بلد عن آخر وقد كان الاعتماد في تلك القرون على الحجر الصلد ، وفي دمشق عدة مقالع جيدة منوعة منه كما في حلب ، ولم يكثر الآجر والطوب والخشب الا في القرون الحديثة ولذلك لم تخرب المدارس الدمشقية لعدم متانة في بنائها فان الامثلة الظاهرة منها الى اليوم لا تجعلها تختلف في شيء عن مدارس حلب ، ولكن القائمين على هذه المدارس في هذه المدينة كانوا يعتدلون في العبث بها ومتانة الاخلاق من جملة ما امتاز به الحلبيون لجودة هوائهم يضاف اليها حب الاحتفاظ بتراث الاجداد على صورة كانت ظاهرة في قرون الارتقاء ، كامنة في عصور الشقاء والرجوع الى الوراء ·

والناظر الى مدارس دمشق وحلب وهي لا تقل عن اربعمائة مدرسة منها زهاء ثلاثمائة في دمشق يدرك انها من عمل السلاطين والعمال وقليل من التجار واهل الخير ، وكان منهم من يتوخى منها ان تكون توليتها لبنيه من بعده ليعيشوا منها اذا صودرت املاكهم · بنى قليل من التجار المدارس لان الشعب كان يبنى في اغلب العصور في كبرائه ، فلم يكن شأن في مظاهر النعمة والغبطة مدة قرون لغير ارباب الدولة او من كان يعد في جملتهم ، وكان سائر الناس يحاذرون ان تنشأ لهم شهرة في الثروة ، والثروة تتجلى في الدار والفرش والدابة واللباس وبذل المال لاقامة دور العلم وايواء اليتامى والمحاويج فكانوا يتظاهرون بالفقر لينجوا من مخالب العمال ولا سيما في عهد المماليك فمن بعدهم · وكانت مصادرة اموال الناس أسهل شيء على الحكومات وقتل من يريدون استصفاء ارضهم وعقارهم وعروضهم من المباحات في نظرهم · ولذلك كان ذو الغنى كثيراً ما يدفن امواله في مكان مجهول من داره ودكانه · وربما خاف من زوجه وولده فكتم عنهم ما يملك ، وقد يموت وتبقى دفينته مجهولة حتى يجيء بعد دهر طويل من ينبش الارض او الجدار ويعثر بالعرض على ما جمعه ذاك الغني المحروم ·

وقلّ ان رأينا جماعة اتفقوا على إقامة عمل من هذا القبيل يفتقر به اليهم الا قليل من المساجد ، ولو فعلوا لامنت اعمال الجماعات من اعتداء المعتدين اكثر من عمل الافراد ، ولما استصفيت واستحل هدمها او تغيير خططها ومعالمها من لا يخافون الله ولا عباده ، ولجاءت ممثلة للعظمة الحقيقية في الامة ، على نحو ما قامت البيع والاديار والمدارس في القرون

الوسطى بالغرب ، بارشاد رجال الدين من كرادلة واساقفة وقساوسة ، فكانوا يجمعون قليلاً من صدقات الملوك والاغنياء والفرسان والشعب ، فيجي مجموعها عظيماً يدار بايدي هيئة منظمة على كل حال ، و يختطون خطة لا يخرج عنها الخلف الا قليلاً . وقد بدأ المسلمون في هذا القطر بانشاء مدارسهم في القرن السادس وانتهوا في القرن التاسع فجاء بعدهم من ينسفها واحدة تلو الاخرى فتداعت واكلوا اوقافهـا فأخرجوها عن الغاية الشريفة التي وضعت لها .

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزلـ وحي مقفر العرصات

نعم عمروها في ثلاثة قرون فعجز المخربون عن تخريبها في اربعة ، ولولم تكن اكثرها من مال حلال مشروع قصد بها وجه الله وجلب الخير المحض للامة ، ولو لم تكن بلغت الغاية في إحكام الهندسة ومتانة العمارة ، ولو لم يزبروا على الحجر في الاكثر ما وقفوه عليها من الاوقاف الكثيرة ويدونوه في سجلات مخلدة يتعذر تبديلها ، لما طال عمرها كل هذه المدة وقد تعاورت عليهـا المصائب السماوية والارضية والمصائب الارضيـة أدهى وأمر .

فإذا كان هذا حظ المدارس والجوامع فما بالك بغيرها من المصانع . وكم ادركنا وأدرك آباؤنا واجدادنا في هذه الديار من أثر بديع سطت عليه يد خرقاء لتسلب حجارته . وكم من كتابة تاريخية عفي اثرها وقطعت ووضعت في اساس الميضآت جهلاً وغباوة او عن قصد وعمد . ولطالما ذكرنا والمعاول تهدم في المآثر المدهشة في قطرنا المحبوب ما قاله القاضي ابو يعلى المعري وقد اجتاز ببلدة شياث ظاهر معرة النعمان والناس ينقضون بنيانها ليعمروا بها موضعاً آخر فقال :

مررت برسم في شياثَ فراعني به زجل الاحجار تحت المعاول
تناولهـا عبل الذراع كأنما رمى الدهر فيما بينهم حرب وائل
اتتلفها شلت يمينك خلهـا لمعتبر او زائر او سـائل
منازل قوم حدثتنا حديثهم ولم ار احلى من حديث المنازل

للاثر القديم من الوقع في النفس ما ليس للاثر الحديث ، فإن الاول يذكر بلعمور

كثيرة . يذكر بمجد السلف واياديهم البيضاء وارادتهم الصحيحة ، يذكرنا بان فلاناً الذي تحترمه الامة بنى ذاك المصنع وتلك الدار ، وان فلاناً العالم درس هنـاك او كان يألف المكان الفلاني . وكم من أثر تاريخي او مصنع من مصانعنا نمر به دون ان نحفل بما فيه من عبر ولو كنا على شيء من مدنية أجدادنا مازهدنا هذا الزهد البشع في تراثهم، ولواقتبسنا المدنية الحديثة بمحاسنها ومساويها لرأيتنا أسرع الى التقـاط آثار الجدود والاحتفاظ بها من الماء الى الجذور . لا تستطيع امة ان تقطع الصلة بينها وبين ماضيها خصوصاً اذا كانت ذات غابر عظيم كغابر الامة العربية قام على أساس متين ، وتقاليد جميلة ، ومقدمات متسلسلة ، اما ونحن لا نرقى بدون القديم والاخذ من نافع الحديث ، فواجب العقلاء ان يفكروا في أقرب الطرق الى بلوغ هذه الغاية وهذا لا يتم بغير احياء دور العلم ومعاهد الفضل ، واحياؤها موقوف على قليل من العناية .

ليس للمدرسة الحديثة التي ننشئها اليوم تلك النضارة ، ولا تتجلى فيها معاني الحسن والاحسان التي نشعر بها ونكاد نلمسها في المعاهد القديمة ، مثل مدرسة ضيفة خاتون رحمها الله فانك اذا رأيتها تمثلت أمامك صفحة من صفحات تاريخ هذه الامة المجيد . تمثلت بيت بني أيوب وأفضالهم على ربوع الشام ، وكفى بهم وبصلاح الدين من حسنة عقم الدهر ان يلد مثلها . كثير من المصانع بناها الملوك بالسخرة وارهاق الرعية ، وإعنات الاسرى والمعتقلين ، ولم نقرأ في تاريخ ان احداً من آل البيت الصلاحي عمّر مدرسة او جامعاً او مستشفى او رباطاً من مال مشبوه ، اوسخرة ممقوتة ، فأكرم وانعم بكل فرد أصيلاً كان في هذا البيت الشريف او دخيلاً عليه .

أيها السادة : ان بلاد الشام من عريشها الى فراتها ومن جبال طوروس اوالدروب الى البادية مملوءة بآثار مختلفـة وعاديات مدهشة بقيت من عهد الحثيين والكنعانيين والسريان والرومان واليونان والعرب والفرس وغيرهم من الامم العظيمة ، منها ماهو تحت الارض ومنها ما هو فوق الارض ، اذا حافظ كل واحد منا على ماتطول اليه يده، وعُنيت الحكومة بالاشراف عليها إشرافاً حقيقياً ، كما فعلت مصر وتونس مثلاً ، يستفيد القطر الشامي بعد مدة زيادة على استفادته المعنوية من هذه العاديات استفادة مادية . تصبح بلادنا بلاشك متحفاً كبيراً يؤمه السياح لرؤية آثارها ومصانعها . وليست آثارنا عبارة

عن المشهور منها فقط اي البتراء او وادي موسى وجرش وبعلبك وتدمر وغيرها . ان آثارنا مبعثرة في كل مدينة ، ماثلة في كل قرية ، اذا أحسنا تعهدها وأصلحنا ماتداعى منها ، استفدنا منها فاستخدمناها فيما أنشئت له وضممنا بها شملنا ، وحافظنا بها على مقدساتنا ، وكانت مجلبة الغريب الى ديارنا للربح . قال سوبرنهيم : ان عدداً عظيماً من مصانع حلب يرد الى زمن المماليك والعثمانيين وما عدا الجوامع الكثيرة مثل جامع الاطروش والطون بغا والطواشي ومناراتها المختلفة الهندسة — وبفضلها تذكر حلب بصورة القاهرة في هذا المعنى — فان حلب قد احتفظت بالمستشفى الجميل الذي بناه ارغون سنة ٧٥٥ وبكثير من المخازن والخانات والحمامات والدور والسلسبيلات وفي هذا المستشفى افاريز ونقوش من أجمل ما نقش النقاشون تزينه فتجعله بهجة للناظرين ، ومدينة حلب غنية بمصانعها الجيدة الهندسة ومنها العسكري والديني والمدني وكلها مما زبر عليها من الكتابات مادة واسعة لمن يريد ان يتصور اصول الهندسة لا في حلب فقط بل في شمالي سورية . وذكر الاثريون ان منارة جامع حلب من أفضل آثار الهندسة الاسلامية .

عمر أهل الخيرات من سلف هذه الامة هذا القدر العظيم الذي نعجب به من معاهد التعليم الديني مع المساجد والجوامع ، ولو كتب البقاء لبعضها لاغنت القوم بمعارفها ونشرت النور بينهم . وكانت المدارس والجوامع في تلك القرون المظلمة في الغرب وهي مستنيرة في هذا الشرق والمتكفلة بتعليم الناس واخراجهم من الاميّة ، وكان لمعظم المدارس والجوامع كتاتيب مرتبطة بها وخارجة عنها لتعليم الاطفال تؤهلهم لتلقي دروس المدارس والجوامع ، ولا نغالي اذا قلنا ان عدد الأميين كان في تلك العصور أقلّ مما هو الآن في هذه الديار ، ولو اطرد العمل اطراده في مدارس الغرب مثلاً لاصبحنا في هذا القرن والأميون أقل مما هم في بلاد المدنية الحديثة .

ولكن الجهل قضى على تلك المدارس وأكل المتولون أوقافها فخربت وتغيرت معالمها . وكم من وقف اليوم يستمتع به النظار عليه ويصرفون ما وقف على الخير على شهواتهم بدون محاسب من ذممهم ولا رقيب من أصحاب السلطان ، لو كتب لهم ان يأكلوا منها بالمعروف ويصرفوا حقوق تلك المعاهد او بعض مغلها على رمّها واجراء الرزق على ساكنيها والدارسين فيها لأتت بثمرات جنية ، ولما أكلوا في بطونهم النار

وركبوا متن العار والشنار . وكم من بيت كان موسوماً في القديم بالعلم والتقى خلف من بعد السلف خلف عبثوا بالحرمات : استحلوا أموال المدارس والمعابد ، فدثر البيت وانقرضت الأسرة ، وذهبوا وما يملكون جملة ، لم يرحموا لانهم لم يرحموا . ضبطت الحكومة السابقة اكثر اوقاف الملوك والسلاطين وكان ريعها كثيراً جداً في هذه البلاد فلم تصرفها فيما خصصت له ، ولم تنجح في الغاية التي توختها منها ، واستقل بعض ارباب النفوذ بالاوقاف التي اؤتمنوا عليها او انتهت اليهم بحكم الوراثة فأساؤا الاستعمال الا من عصم الله . فالسبب اذاً في خراب مدارسنا الجميلة سوء ادارة الحكومات السالفة وعبث المتولين عليها ، واخراجها عما وضعت له من عمل الخير بصنع اولئك الذين يعدون انفسهم في جملة حماة هذا المجتمع وهم اعدى عداته .

اخبار الحمقى والمغفلين

لابي الفرج بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ زهاء مئة مصنف في القرآن والفقه والحديث والطب والتاريخ والسير والتراجم والجغرافية والوعظ والتصوف واللغة . ومن جملة تآليفه كتاب الاذكياء المطبوع وكتاب أخبار الحمقى والمغفلين المخطوط . ومن هذا السفر الاخير فيما نعلم ثلاث نسخ مخطوطة الاولى في خزانة كتب المدينة المنورة والثانية في باريز والثالثة في برلين وهذه النسخة الرابعة دخلت المجمع العلمي في جملة ما أهدي اليه من المخطوطات . ونسختنا هذه من قطع الربع وقعت في ١٠٤ ورقات جميلة الخط يغلب التحريف عليها ولم يعلم زمن نسخها والغالب انه كان في القرن الحادي عشر بدليل انه كتب على طرتها (صار في حيز المفتقر لفضل فيض ربه .. عمر بن عبد الرحمن القاري في سنة ١١٢٧) وهي كاملة من الاول والآخر الا ان الكاتب سها في الورقة الخامسة والخمسين فلم يكمل الكلام في صفحة القفا وانتقل الى الورقة السادسة والخمسين ثم انتبه وكتب بخطه في الصفحة التي تركها بيضاء (البياض سهو) .

بدأ المؤلف كتابه بقوله بعد البسملة : « قال الشيخ الامام جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي محمد بن علي الجوزي الحمد لله الذي أعطى الانام جزيلا ، وقبل من الشكر قليلا ، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي لم يجعل له من جنسه عديلا ، وعلى آله وصحبه بكرة وأصيلا . وبعد فاني لما شرعت في جمع أخبار الاذكياء وذكرت بعض المنقول عنهم ليكون مثالاً يحتذى ، لان أخبار الشجعان تعلم الشجاعة ، آثرت ان أجمع أخبار الحمقى والمغفلين لثلاثة اشياء ، الاول ان العاقل اذا سمع أخبارهم عرف قدر ما وهب له مما حرموه فحثه ذلك على الشكر .... الى ان قال . والثاني ان ذكر المغفلين يحث المستيقظ على اتقاء أسباب الغفلة ، اذا كان داخلاً تحت الكسب ، وعامله فيه بالرياضة ، واما اذا كانت الغفلة مجبولة في الطباع فانها لا تكاد تقبل التغيير . والثالث ان يروح الانسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المبخوسين حظوظهم يوم القسمة ، فان النفس قد تمل من الدؤوب في

الجد ، وترتاح الى بعض المباح من اللهو ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحنظلة ساعة وساعة ... »

وأخذ في الفصل الاول بنقل عبارات لبعض الحكماء والصحابة في جواز الاحماض ، نقلها على عادة المحدثين بالرواية المتسلسلة مما قد يورث الكلام بذلك شيئاً من التطويل منها قول الخليفة الرابع ان هذه القلوب تملّ كما تمل الأبدان فالتمسوا لها من الحكمة طرفا . وقال أسامة بن زيد : روّحوا القلوب تعي الذكر . وقال الحسن : ان هذه القلوب تحيى وتموت فاذا حييت فاحملوها على النافلة ، واذاماتت فاحملوها على الفريضة . وقال ابو الدرداء : اني لاستجم نفسي ببعض الباطل كراهية ان احمل عليها من الحق ما يملّها . وكان ابن عباس اذا جلس مع أصحابه حدثهم ساعة ثم قال : حمضونا فيأخذ في أحاديث العرب ثم يعود يفعل ذلك مراراً . وكان رجل يقول لاصحابه : هاتوا من أشعاركم هاتوا من حديثكم ، فان الاذن مجة والقلب حمض . وكان الزهري يحدث ثم يقول : هاتوا من ظرفكم هاتوا من أشعاركم أفيضوا في بعض مايخف عليكم ، وتأنس به طباعكم ، فان الاذن مجاجة والقلب ذو تقلب .

قال المؤلف : وما زال العلماء والافاضل يعجبهم الملح ويهشون لها : لانها تجمّ النفس ، وتريح القلب من كد الفكر ، وقد كان شعبة يحدث فاذا رأى المريد النحوي قال انه ابو زيد :

استعجمت دار نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات اخبار

وقد روينا عن ابن عائشة احاديث ملاحاً في بعضها رَفَث ، وان رجلاً قال له : يأتي من مثلك هذا فقال له : ويحك اما ترى أسانيدها ما احد ممن رويت عنه الا هو افضل من جميع اهل زماننا ، ولكنكم ممن فهم باطنه فرأى ظاهره ، وان باطن القوم فوق ظاهرهم . ووصف رجل من النساك عند عبد الله بن عائشة فقالوا : هو جدٌ كله فقال : لقد أضاق على نفسه المرعى ، وقصر لها طول النهى ، ولو فكهها من الانتقال من حال الى حال لتنفس عنها ضيق العقدة ، وراجع الجد بنشاط وجده . وروى قول الرشيد : النوادر تشحذ الاذهان ، وتفتق الآذان .

ثم قال : فقد بان بما ذكرنا ان نفوس العلماء تسرح في منهاج اللهو الذي يكسبها نشاطاً للجد ، فكأنها من الجد لم تزل قال ابو فراس :

أروّح القلب ببعض الهزل تجاهلاً مني بغير جهل
امزح فيه مزح اهل الفضل والمزح أحياناً جلاء العقل

وقد قسم كتابه اربعة وعشرين باباً وهذه تراجمها : الباب الاول في ذكر الحماقة ومعناها . الباب الثاني في بيان ان الحمق غريزة . الباب الثالث في ذكر اختلاف الناس في الحمق . الباب الرابع في ذكر اسماء الاحمق . الباب الخامس في ذكر صفات الاحمق . الباب السادس في التحذير من صحبة الاحمق . الباب السابع في ضرب العرب المثل بمن عرف حمقه . الباب الثامن في ذكر اخبار من ضرب المثل بحمقه وتغفيله . الباب التاسع في ذكر جماعة من العقلاء صدر عنهم فعل الحمقى . الباب العاشر في ذكر المغفلين من القراء . الباب الحادي عشر في المغفلين من رواة الحديث وتصحيفه . الباب الثاني عشر في ذكر المغفلين من القضاة . الباب الثالث عشر في ذكر المغفلين من الامراء والولاة . الباب الرابع عشر في ذكر المغفلين من الكتاب والحجاب . الباب الخامس عشر في المغفلين من المؤذنين . الباب السادس عشر في المغفلين من الائمة . الباب السابع عشر في المغفلين من الأعراب . الباب الثامن عشر في من قصد الفصاحة والاعراب من المغفلين . الباب التاسع عشر في من قال شعراً من المغفلين . الباب العشرون في المغفلين من القصاص . الباب الحادي والعشرون في المغفلين المتزهدين . الباب الثاني والعشرون في ذكر المغفلين من المعلمين . الباب الثالث والعشرون في المغفلين من الحاكة . الباب الرابع والعشرون في المغفلين على الاطلاق .

وقد أورد في أكثر الابواب ملحاً ونوادر تتعلق بالباب وتناسبه تروّح الروح ، وتضحك العبوس ، وكلهم مجمعون على ان داء الحماقة متعذر علاجه وانه غريزة . قال ابو يوسف القاضي : ثلاث صدّق باثنتين ولا تصدق بواحدة ان قيل لك ان رجلاً كان معك فتوارى خلف حائط فمات فصدق ، وان قيل لك ان رجلاً فقيراً خرج الى بلد فاستفاد مالاً فصدق ، وان قيل لك ان أحمق خرج الى بلد فاستفاد عقلاً

فلا تصدق · قال الاوزاعي : بلغني انه قيل لعيسى بن مريم عليه السلام يا روح الله انك تحيي الموتى قال : نعم باذن الله قيل وتبرئ الاكمه قال : نعم باذن الله قيل فما دواء الحمق قال : هذا الذي أعياني · وقال جعفر بن محمد : الادب عند الاحمق كالماء في اصول الحنظل كلما ازداد رياً زاد مرارة ·

ومما رواه في صفات الاحمق ما قاله بعض الحكماء : الحمق سماد اللحية فمن طالت لحيته كثر حمقه · ورأى بعض الناس رجلاً لحيتـه طويلة فقال : والله لو خرجت هذه من نهر لبيس · وقال الاحنف بن قيس : اذا رأيت الرجل عظيم الهامة طويل اللحية فاحكموا عليه بالرقاعة ولو كان أمية بن عبد شمس · وقال معـاوية لرجل عتب عليه : كفانا في الشهادة عليك في حماقتك ، وسخافة عقلك ، ما نراه من طول لحيتك · وقال عبد الملك بن مروان : من طالت لحيته فهو كوسج في عقله ، وقال غيره : من قصرت قامته ، وصغرت هامته ، وطالت لحيته ، فحقيقاً على المسلمين ان يعزوه في عقله · وقال زياد بن ابيه : ما زادت لحية رجل على قبضة الا كان ما زاد فيها نقصاً من عقله · قال بعض الشعراء :

اذا عرضت للفتى لحيـة وطالت فصارت الى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا بمقدار ما زاد في لحيته

وأنشدوا : اتق الاحمق ان تصحبه انما الاحمق كالثوب الخَلَق
كلما رقعت منـه جانباً خرقته الريح وهنا فانخرق
او كصدع في زجاج فاحش هل ترى صدع زجاج يرتتق
كحمار السوء ان أقضمته رمح النـاس وان جاع نهق
او غلام السوء ان أشبعتـه سرق الناس وان يشبع فسق
واذا عاتبتـه كي يرعوي أفسد المجلس منه بالخرق

وذكر المؤلف اسماء كثير من الحمقى والمغفلين ، ومما قاله : ان جحى (الذي يقول بعضهم انه « نصري خوجه » دفين آقشهر في الاناضول وليس به بالنظر لبعد عصرهما) وجحى كان عربياً في بلاد العرب قال : ان جحى يكنى ابو الغصن وقد روي عنه ما يدل على فطنة وذكاء ، الا ان الغالب عليه التغفل ، وقد قيل ان بعض

من كان يعاديه وضع له حكايات . والله أعلم . قال سمعت بكر بن محمد الصوفي يقول : سمعت عبد الصمد بن الفضل البلخي يقول: سمعت مكي بن ابراهيم يقول: رأيت جحى رجلاً كيساً ظريفاً ، وهذا الذي يقال عنه مكذوب عليه ، وكان له جيران مخنثون يمازحهم ويمازحونه فوضعوا عليه . أخبرنا صهيب بن عباد قال حدثنا ابو بكر الكلبي قال : خرجت من البصرة فلما قدمت الكوفة اذا انا بشيخ جالس في الشمس فقلت : يا شيخ منزل الحكم فقال لي وراك ، فرجعت الى خلفي فقال يا سبحان الله اقول لك وراك وترجع الى خلفك .

وذكر له بعض قصص منها ما هو شائع في نوادر جحى على ما نذكر وقال : وجمهور ما يروى عن جحى نعقيل نذكره كما سمعناه ، ومما رواه له ان المهدي أحضر جحى ليمزح معه فدعا بالنطع والسيف فلما أقعد في النطع قال للسياف : انظر لا تصب محاجمي فاني قد احتجمت . وقال له رجل : أتحسن الحساب باصابعك قال نعم : قال خذ جريبين حنطة فعقد الخنصر والبنصر فقال له : خذ جريبين شعير فعقد السبابة والابهام وأقام الوسطى فقال الرجل: لمَ أقمت الوسطى قال: لئلا يختلط الحنطة بالشعير.

ومنهم « مزيد » قيل له ان فلاناً الحفار قد مات فقال ابعده الله من حفر حفرة سوء وقع فيها . وقال مزيد لرجل : أيسرك ان تعطى الف درهم وتسقط من فوق البيت قال : لا ، قال : مزيد وددت انها لي وأسقط من فوق الثريا . فقال له الرجل : ويلك فاذا سقطت مت ، قال : وما يدريك لعلي سقطت في التبانين او على فرش زبيدة .

ومنهم « أزهر الحمار » قدم على الامير عمرو رسول من عند السلطان فأحضر مائدته فقال لازهر جملنا بسكوتك اليوم فسكت طويلاً ثم لم يصبر فقال : بنيت في القرية برجاً ارتفاعه الف خطوة فأومأ اليه حاجبه ان اسكت ، فقال له الرسول : في عرض كم قال : في عرض خطوة . فقال له الرسول : ما كان ارتفاعه الف خطوة لا يكفي عرضه خطوة . قال : أردت ان أزيد فيه فمنعني هذا الواقف. وقدم رسول آخر فقيل لازهر : لا تتكلم اليوم فسكت ساعة فعطس الرسول فأراد ازهر ان يشمته فيقول : يرحمك الله فقال صبحك الله فقال الامير : أليس قد تقدمت اليك ان

لا تتكلم فقال : اردت ان لا يرجع الرسول الى بغداد فيقول : ان هؤلاء لا يعرفون العربية ٠

ومنهم « ابو محمد جامع الصيدلاني » مضى الى السوق ليشتري لابنه نعلاً فقيل له : كم سنه ٠ فقال : لا أدري ولكنه ولد اول ما جاء العنب الداراني ٠ ومحمد ابني استودعه الله اكبر منه بشهرين ونصف سنة ٠ وكانت له ابنة فقيل له : كم سنها فقال : ما أدري الا انها ولدت ايام البراغيث ٠

ومنهم « ابو عبد بن الحصاص » دخل يوماً على ابن الفرات الوزير الخاقاني وفي يده بطيخة كافور فأراد ان يعطيها الوزير ويبصق في دجلة فبصق في وجه الوزير ورمى بالبطيخة في دجلة فارتاع الوزير وانزعج ابن الحصاص وتحير وقال : والله العظيم لقد أخطأت وغلطت أردت ان ابصق في وجهك وارمي بالبطيخة في دجلة فقال له الوزير : كذلك فعلت يا جاهل ٠ فغلط في الاعتذار وأخطأ في الفعل ٠ ونظر في المرآة فقال : اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وسودها يوم تسود وجوه ٠ وكسر يوماً لوزاً فطارت لوزة فقال : لا اله الا الله كل شيء يهرب من الموت حتى البهائم ٠ وكان ابن الحصاص يسبح كل يوم فيقول : نعوذ بالله من نعمه ونتوب اليه من احسانه ونستقيله من عافيته ونسأله عوائق الامور حسبي الله وأنبياؤه والملائكة الكرام اللهم أدخلنا من دعائه في بركة القصور على قبورهم والبيع والثغور والكنائس سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله ٠ وذكر محمد بن احمد الترمذي قال : كنت عند الزجاج اعزيه بأمه وعنده الخلق من الرؤساء والكتاب اذ أقبل ابن الحصاص فدخل ضاحكاً وهو يقول : الحمد لله قد سرني والله يا ابا اسحق ، فدهش الزجاج ومن حضر ، وقيل له : يا هذا كيف سرك ما غمه وغمنا فقال : ويحك بلغني انه هو الذي مات فلما صح عندي انها هي التي ماتت سرني فضحك الناس جميعاً ٠ وكتب ابن الحصاص الى وكيل له يحمل اليه مائة منّ قطناً فلما حلجها خرج منها ربع الوزن فكتب الى الوكيل لم يحصل من هذا القطن الا خمسة وعشرون مناً فلا تزرع بعد هذا الا قطناً محلوجاً وشيئاً من الصوف ايضاً ٠

ـ ولكن ابن الحصاص كان يحمد البلاهة وليست به ، وكان من كبار الاغنياء

وار باب النعمة ، حدث المؤلف عن محمد بن عبد الباقي عن علي بن ابي علي التنوخي عن ابيه قال : اجتمعت ببغداد سنة ست وخمسين وثلاثمائة مع ابي علي بن ابي عبدالله ابن الجصاص فرأيته شيخاً حسناً طيب المحاضرة فسألته عن الحكايات التي تنسب الى ابيه مثل قوله خلف الامام حين قرأ ولا الضالين فقال : إي لعمري بدلاً عن آمين ومثل قوله : اراد ان يقبل رأس الوزير فقال : أفيه دهن فقال : لو كان في رأس الوزير خ . لقبلته ومثل قوله : وقد وصف مصحفاً بالعتق فقال : كسروي فقال : اما لعمري ، ونحو هذا فكذب ، وما كان فيه سلامة يخرجه الى هذا ، وما كان الا من ادهى الناس ، ولكنه مطلق يحضره الوزراء قريباً ؟ ومما يحكى عنه لسلامة طبع كان فيه ولانه كان يحب تصوير نفسه عندهم بصورة الأبله ليأمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء ، فيسلم عليهم وانا أحدثك عنه حديثاً حدثنا به تعلم معه انه كان في غاية العزم فانه حدثني قال : ان اباالحسن بن الفرات لما ولي قصدني قصداً قبيحاً فأنفذ العمال الى ضياعي وامر بقبض معاملاتي و بسط لسانه بثلبي وتنقصني في مجلسه فدخلت عليه يوماً داره فسمعت حاجبه يقول : وقد رأيت : اي بيت مال يمشي على وجه الارض ليس من يأخذه فقلت : ان هذا من كلام صاحبه واني مسلوب ، وكان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف الف دينار وجوهر ، سوى ما يحتوي عليه ملكي . فسهرت ليلتي أفكر في امري معه ، فوقع لي الرأي في الثلث الاخير فركبت الى داره في الحال فوجدت الابواب مغلقة فطرقتها فقال : البوابون من هذا فقلت : أبن الجصاص فقالوا : ليس هذا وقت وصول والوزير نائم فقلت : عرفوا الحجاب اني حضرت في مهم فعرفوهم فخرج اليّ احدهم فقال : انه الى الساعة ينتبه فيجلس فقلت: الامر اهمّ من ذلك فأنبهه وعرفه عني هذا ، فدخل وأبطأ ساعة ثم خرج وادخلني الى دار حتى انتهيت الى مرقده وهو جالس على سرير له وحواليه نحو خمسين فراشاً وغلمان كأنهم حفظة وهو مرتاع ، قد ظن ان حادثة حدثت واني جئته برسالة الخليفة وهو متوقع لما اورده فرفعني وقال : ما الذي جاء بك في هذا الوقت ، هل حدثت حادثة او معك من الخليفة رسالة قلت : خير ما حدثت حادثة ولا معي رسالة ولا جئت الا في امر يخصني ويخص الوزير ولم تصلح مفاوضته فيه الا على خلوة فسكن

وقال : لمن حوله انصرفوا فمضوا وقال : هات قلت : ايها الوزير انك قصدتني اقبح قصد ، وشرعت في هلاكي ، وازالة نعمتي ، وخروج نفسي ، وليس عن النفس عوض ، ولعمري اني اسأت في خدمتك وقد كان في هذا التقويم بلاغ وجلّ عندي وقد اجتهدت في اصلاحك بكل ما اقدر عليه وابيت الا الاقامة عليّ ، اذاً وليس شيء اضعف في الدنيا من السنور ، واذا عوينت في دكان البقال وظفر صاحبها بها ولزّها الى زاوية ليخنقها ، وثبت عليه فخدشت وجهه وبدنه ، ومزقت ثيابه ، وطلبت الحياة بكل ما يمكنها ، وقد وجدت نفسي معك في هذه الصورة ، ولست اضعف من السنور بطشاً ، وقد جعلت هذا الكلام عذراً بيناً فان نزلت تحت حكمي في الصلح والا عليّ وعليّ . وحلفت ايماناً مغلظة لاقصدن الخليفة الساعة ولاحولن اليه من جواني التي الف دينار عيناً وورقاً ولا اصبح الا وهي عنده وانت تعلم قدرتي عليها واقول : خذ هذا المال وسلم ابن الفرات الى فلان واستوزره واذكر له اقرب من يقع في نفسي انه يجيب الى تقليده ممن له وجه مقبول ، ولسان عذب ، وحظ حسن ، ولا اعتمد الا على بعض كتابك فانه لا يفرق بينك وبينهم اذا رأى المال حاضراً ، فيسلمك في الحال ويراني المتقلد بعين من اخذه وهو صغير ، فجعله وزير وغرّم عليه لهذا المال الكثير فيخدمني ويتدبر برأيي وأسلمك اليه ويفرغ منك العذاب حتى يأخذ الالفي الف دينار منك باسرها ، وان تعلم ان حالك بني بهذا ، ولكنك تفتقر بعدها و يرجع المال اليّ ، ولا يذهب مني شيء واكون قد اهلكت عدوي ، وشفيت غيظي ، واسترجعت مالي ، وصفت نعمتي ، وزاد محلي ، بصيرتي في وزيراً ، وبتقليدي وزيراً .

فلما سمع هذا الكلام سقط في يده وقال : يا عدو الله اوتستحل هذا قلت : لست عدو الله بل عدو الله من استحل مني هذا الذي أخرجني الى الفكر في مثل هذا ، ولم لا استحل مكروه من اراد هلاكي ، وزوال نعمتي ، فقال : او ايش ، فقلت : وتحلف الساعة بما استحلفك به من الايمان المغلظة انك تكون لي لا عليّ في صغير امري وكبيره ولا تنقص لي رسماً ولا تغير لي معاملة ، ولا تدسس عليّ المكاره ، ولا تشر لي في سوء ابداً ظاهراً ولا باطناً فقال : وتحلف انت ايضاً لي بمثل هذا اليمين ، على جميل النية ، وحسن الطاعة والمؤازرة ، فقلت : افعل فقال : لعنك الله ما انت الا ابليس

والله لقد سحرتني واستدعى دواة وعملنا نسخة يمين فأحلفته اولاً بها ثم حلفت له ، فلما اردت القيام قال : يا ابا عبد الله لقد عظمت في نفسي ، وخففت ثقلاً عني ، والله ما كان المقتدر يفرق بين كفايتي ، وبين أخس كتابي ، مع المال الحاضر ، فليكن ما حضر مطوياً فقلت : سبحان الله فقال اذا كان غداً فصر الى المجلس لترى ما أعاملك به ، فنهضت فقال يا غلمان بأمركم بين يدي ابي عبدالله فخرج بين يدي نحو مائتي غلام وعدت الى داري ولما طلع الفجر واسترحت وجئته في المجلس فعرفني الذين كانوا بحضرته ما جرى من التفريط التام ، وعاملني بما شاهده الحاضرون وامر بانشاء الكتب الى عمال النواحي باعزازي واعزاز وكلائي وعمالي ، وصيانة اسبابي وضياعي ، فشكرت الله وقمت فقال : يا غلمان بين يديه فخرج الحجاب يجردون سيوفهم بين يدي ، والناس يعجبون : ولم يعلم احد سبب ذلك ، فما حدثت بذلك الا بعد القبض عليه . قال لي ابو علي هل هذا فعل من يحكى عنه تلك الحكايات قلت : لا . وقد حكى التنوخي ان ابن الجصاص صودر في ايام المقتدر فارتفعت مصادرته سوى ما بقي له من الظاهر وكانت ستة آلاف الف دينار اهـ .

هذه جمل جميلة من اخبار الحمقى والمغفلين وانت ترى ان منهم من كانوا يتحامقون او يتباهلون لنكتة او خشية نكبة وأخبارهم مهمة لان منها ما يفيد في وصف الحالة الاجتماعية والادبية في عصرهم وسنعود في ظريد هذه المجلة الى اقتطاف شيء من اخبارهم نقصد منها حكمة وقد تقع الحكمة للابله والاحمق كما تقع للمجنون وقديماً ألف في عقلاء المجانين الحسن بن حبيب النيسابوري وابن ابي الدنيا وابن لقمان وسهل بن علي البغدادي (راجع م ٢ من مجلة المقتبس ص٣٦) فان ألف ابو الفرج بن الجوزي كتاب الحمقى والمغفلين فقد ألف كتاب الاذكياء وذلك حتى لا تضيع اخبار الناس على اختلاف طبقاتهم و يكون من كتبهم عظات بالغات واحماض مستملح .

محمد كرد علي

تصحيح نهاية الارب

(نهاية الارب في فنون الادب) — لشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري من أنفس كتب الادب العربي . وأغزرها مادة . وأجزلها عائدة . وهو لعمري جدير بان يسمى (دائرة معارف الآداب العربية) لانه اخذ بنواصيها . وأحاط بنواحيها . وتتبع مسائلها الى أقاصيها . وكان كل من عرف بخبر هذا الكتاب من عشاق الكتب العربية القديمة تمنى لو يُكشف عن معدنه . ويستخرج من مكمنه . حتى قيض الله له (إدارة مطبعة الكتب المصرية) فتوفرت على العناية بطبعه ونشره فاستحقت بصنيعها الشكر والأجر .

ولقد طبعت منه الى اليوم خمسة اجزاء . جاءت متينة الورق . حسنة الحرف . مضبوطة بالشكل في كثير من كلماتها .

أتيح لي مطالعة الاجزاء الاربعة من هذا الكتاب وقد مر بي في الجزء الاول منها بعض أغلاط فكنت أبادر الى تصليحها على هامش نسختي ثم انتبهت الى ان شأن هذا الكتاب ليس كشأن كتب الادب الأخرى . التي تنثرها المطابع نثرا . بل ان له منزلة خاصة تستدعي العناية بتصحيحه . وإماطة الرغوة عن صريحه . فرأيت ان اخدم قرّاءه ومن اقتنى نسخة منه وهم كثيرون — بتتبع اغلاطه . وان اجمعها على حدة مرتبة بحسب الصفحات والاسطر ثم اعمل على نشرها في مجلة المجمع . وهكذا اتممت الجزء الاول والثاني . واحصيتُ مافطنت له من أغلاطها فكانت نحو الستين في كلا الجزئين . والذي يظهر ان معظم الاغلاط ثابت في اصل النسخة المخطوطة فلم ينتبه المصحح اليه . وبعضها مما يسمى (غلطاً مطبعياً) . وليس هذا بالامر المهم في جنب كثرة الصواب والصحة فإن وجود ثلاثين هفوة في نحو (٤٠٠) صفحة مما لا يمكن التحرّز منه . ولا يلام مصحح الكتاب على الذهول عنه .

اما الجزآن الثالث والرابع فان الحال فيهما قد اختلف عن الجزئين الاولين كل الاختلاف اذ كانت آثار الاهمال بادية في معظم صفحاتهما حتى تجاوزت في الجزء الثالث نحو (١٥٠) وفي الرابع نحو (٨٠) ولم أطالع الجزء الخامس بعدُ لأرى منزلته بالنسبة الى إخوته .

وها انا ذا انشر في هذا الجزء من المجلة اغلاط الجزء الاول ثم انشر في الاجزاء التالية

اغلاط الاجزاء الاخرى . وهناك جمل وعبارات غامضة المعنى وقع في خلدي ان فيها تحريفاً او تصحيفاً لكنني لم اهتد الى وجه الصواب فيها فأهملتُ التعرض لها في تصحيحاتي هذه . بيد اني جمعت او أشرت الى طائفة منها على ظهر نسختي مستأنياً فيها أخاً من الفضلاء يعينني على كشف غمّاها . وحل معماها . فأكون له من الشاكرين .

* * *

جاء في ص ٢٧ س ٩ (والمياه وامدادها) صوابه وأعدادها جمع (عِدّ) بالكسر وهو الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع . هذا هو الصواب والا تكرر مع ما بعده ومثله في ص ٢١٢ س ١٣ (كثير الأمداد والثلوج) صوابه الأعداد .

وفي ص ٣٤ س ٦ (شمال ومُرزم) قال مصحح الكتاب المرزم (وضبطه كمكرم) الثابت القائم على الارض اه . وصوابه مِرزم كمِنبر اسم لنوء بارد فالشاعر يقول ان ازرار اثواب تلك الظلمة انواع الرياح : ما بين شمأل ومرزم .

وفي ص ٤٦ سطر ١٩ (صرت صقليا) صوابه صقلبيا ليقابل (زنجيا) قبله ويكون فيه اشارة الى قول ابن سينا في مقصورته :

(في الزنج حرّ غيّر الأجسادا   حتى كسا جلودها سوادا)
(والصقلب اكتسبت البياضا   حتى غدت جلودها بضاضا)

وفي ص ٨٠ سطر ٧ (ايدي الحبائب والصبا) صوابه الجنائب جمع جنوب وهي ريح تقابل ريح الشمال ويكون معها الخير والتلقيح .

وفي ص ٩٢ س ١١ (اوقلب يُحِبّ) صوابه (يجب) مضارع وَجبَ القلب خفق ورجف . فهو يشبّه برق السحابة بالقلب الخافق لا المحبّ الوامق .

وفي ص ١٣٥ سطر ٦

(ليلٌ كما شاءت فان لم تزر   طال وان زارت فليل قصير)

صوابه (ليلي كما شاءت ..... فليلي قصير) انما يصف الشاعر ليله لا ايّ ليل كان . وكذا البيت الذي بعده س ٩ (ليلي .... لا ليل) .

وفي ص ١٥١ س ٢ (ان يوم الشر لا كان عتيدا) صوابه عتيد بالرفع خبر . و (لا كان) جملة معترضة دعائية . فالشاعر يقول اذا سنح يوم يصلح للهو لا تضيعه لأن

يوم الشر حاضر بالمرصاد · ثم دعا عليه ان لا يكون · على أن نصب (عتيد) ان جاز فعلى استكراه وتكلف ·

وفي ١٧٥ س٣ (واجتُثت رواحله) صوابه (واحتثت) بالحاء المهملة من حثّ الدابة ساقها بعنف · ولا معنى للاجتثاث هنا ·

وفي ص١٧٨ س١٧ (مدخور الكسب) صوابه (مذخور) بالذال المعجمة من ذخره خبأه لوقت الحاجة اما (دخر) بالدال المهملة فلازم ومعناه ذلّ · وذالُ (ذخر) قد تقلب دالاً مهملة · ولكن هذا في باب الافتعال فيقال (مدّخر) لا في الثلاثي ·

وفي ص٢٠٢ س١ (فهي بَوْر) ضبطها المصحح بفتح الباء وصوابه بضمها فانها هي الارض التي لم تهيأ للزراعة اما (بَوْر) بفتح الباء فهو مصدر بارت الارض بوراً لم تزرع حتى أصبحت بُوراً ·

وفي ص٢٢١ قال المؤلف ان من اسماء الجبال (الأرعن) وقال المصحح انه من تحريف النساخ وصوابه (الرعن) وهو أنف الجبل المتقدم او الجبل الطويل · وما قاله المصحح غير صحيح لان الارعن هو الجبل ذو الرعان اي الانوف المتقدمة · قال في الأساس (جبل أرعن ذو رعان طوال) · وفي ص٢٢٧ قول ابن خفاجة الاندلسي :

(وأرعن طماح الذؤابة باذخ يطاول اعنـاق السماء بغارب)

وفي ص٢٢٨ س٢ (تنطق بالجوزاء ليلاً ؛ له خصر) هكذا بعلامة (؛) بعد قوله (ليلاً) وهذا يوهم ان (له خصر) مبتدأ وخبر · وليس كذلك بل ان قوله (خصر) فاعل تنطق و (له) صفة له فالصواب حذف هذه العلامة (؛) ·

وفي ص٢٣٤ و٢٣٩ و٢٤٩ وردت كلمة (أطمة) مراداً بها بركان النار وجمعها على (آطام) والصواب (أطيمة): بيان ذلك ان الاطمة كأكمة الحصن · ومثله الأطم كعُنق وجمعهما آطام · واما أطيمة كسفينة فهي موقد النار واتون الحمام ايضاً · وتجمع أطيمة هذه على أطايم قال الافوه الاودي :

(في موطن ذرب الشبا فكأنما فيه الرجال على الأطايم واللظى)

فما في نهاية الارب والمسعودي (جزء١ ص١٧٦) من تسمية بركان النار (أطمة) على وزن أكمة وجمعها على آطام كآكام — خطأ والصواب (أطيمة) وجمعها (أطايم)

اذ لا معنى لتسمية بركان النار باسم الحصن · وانما المناسب ان يسمى باسم الموقد والاتون بجامع التوقد والتلظي والرمي بالشرر في كل منهما· وهذا ما كان يريده كتاب العرب الاقدمون مذ سموا البركان (أطمة) حتى جاء نساخ كتبهم فحرفوا قولهم ·

وفي ص٢٥٣ س١ — مدينة اتلو (كثيرة المقات والنخل) هكذا بالتاء وصوابه (المقاثي) بالمثلثة جمع مقثأة وهي الارض تزرع قثاء ·

وفي ص٢٥٧ س١٥ في صفة سفن البحر (جامحات بلاغرام جماح) صوابه (عُرام) وهو الشدة والحدة والشراسة اي ان اشتداد جماحها لم يكن عن قصد منها وإرادة لانها جماد لا شعور فيه · وهو المناسب لقوله قبله (ساكنات بلا خضوع سكون) اي انها اذا سكنت لم يكن ذلك منها عن ارادة واختيار ·

وفي ص٢٥٨ س١٢ يصف الكاتب شانياً وهو ضرب من السفن فقال (حذراً على ألواحه من الانخاع) صوابه الانخلاع اي الانتزاع والتفكك من مواضعها ·

وفي ص٢٥٩ س٨ يصف الكاتب البحر فيقول (وراحة الريح تصافح عُبابه مصافحة الخِل · وتطوي جناحه طي السجل) صوابه (وتطوي حبابه) والحباب معظم الماء او سطحه بما يعلوه من النفاخات واليعاليل · ومثله قول طرفة بن العبد في معلقته (يشق حباب الماء حيزومها بها) ولا معنى لكون راحة الريح تطوي جناح البحر كما لا يخفى · ثم قال (وتجول من لجيه ابراداً · وتصوغ من حبكه ازراداً) وصوابه تحوك بالكاف وهو ظاهر ·

وفي ص ٢٨٢ س١٨

(كبساط وشي جرّدت ايدي القيان عليه نصلا)

يصف روضاً · والصواب القيون مكان القيان لان القيان جمع قينة وليس من شأنها تجريد النصل وهو السيف · وانما هو من شأن (القين) وهو الحداد وجمعه قيون ·

وفي ص ٢٨٣ س ٥

(وترى الرياح اذا مسحن غديره وصفينه وقنين كل قذاة)

صوابه (صفّينه) من دون واو جواب (اذا) وهو بتشديد الفاء من التصفية والمعنى ان الرياح تصفي ماء الغدير اي تجعله صافياً · وكذلك (قنين) صوابه (قفين) بالفاء

الموحدة اي ان الرياح تنفي وتطرد القذي عن وجه الغدير ولا معنى لها بالقاف لانه لم يرد نقاه ثلاثياً بمعنى نقاه المشدّد ٠

وفي ص ٢٨٣ سطر ١١

(والنهر مكسوّ غلالة فضة فاذا جرى سيل فثوب نضار)

جعل النهر من فضة حتى اذا جرى السيل احمر ماؤه فلبس ثوب نضار ٠ وهذا مفروض في ان السيل يحمل طيناً وتراباً احمر فيلوّن ماء النهر ٠ وليس هذا مما يقوله فحول الشعراء ٠ وانما البيت محرف وصوابه (فاذا جرت أُصل فثوب نضار) والأُصل جمع اصيل وهذا على حد قول ابن خفاجة ٠

(والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأُصيل على لجين الماء)

وفي ص ٣٠٤ سطر ١٩ (وأنطعه « اي البيت الحرام » بعظمتي ٠ واحوزه بحرماتي) وقد فسّر (انطعه) في هامش الاصل بانه من النطع وهو بساط من جلد قال المصحح وفي بعض النسخ وانطفه بالفاء اهـ ٠ اقول وكلاهما خطأ ٠ وصوابه (أنطّقه) بالقاف المثناة وتشديد الطاء من نطقه جعل له نطاقا ٠ والمعنى انه تعالى جعل لبيته المكرم نطاقاً من عظمته اي انه حاطه بعظمته فكان عظيماً جليلاً في الامم والشعوب ٠ وكذلك قوله (وأحوزه) بالحاء المهملة خطأ وصوابه (أعوذه) بالعين المهملة والواو المشددة والذال المعجمة اي انه تعالى جعله حرماً آمناً فكان ذلك بمثابة عوذة له تقيه وتحميه ٠

وفي صفحة ٣٤٧ سطر ١٠ — جاء في الآثار في صفة ارض مصر (ارض حافظة مطبقة رحيمة) صوابه (خاضعة مطيعة) فان وصفها بالخضوع والطاعة مناسب لوصفها بالرحمة ٠

وفي صفحة ٣٦٣ سطر ٧ يصف المأمون (تراب النقل) وهو الطين الذي يتنقل به اي يؤكل و يسمى في بلاد حلب (بيلون) وفي دمشق الترابة الحلبية :

(ذاك الذي يُحسب في مثله أحجار كافور عليها عبير)

صوابه يحسب في شكله ٠

وفي صفحة ٣٦٧ سطر ١٧ (وتُبَّتُ من بلاد الترك خاصيةٌ) كذا ٠ ثم ذكر تلك الخاصية التي لتلك البلاد ٠ اقول وصوابه (ولتبّت من بلاد الترك خاصيةٌ الخ) برفع (خاصية) وتبّت بلاد مشهورة هي تعتبر اليوم قسماً من بلاد الصين لكنها في الحقيقة من

بلاد الترك لان سكانها من اصل مغولي ٠ وهي مشددة الباء عند جغرافيي العرب اما جغرافيو الافرنج فيخففونها ٠

وفي صفحة ٣٦٩ سطر ٨ سرد المؤلف خصائص البلاد وذكر منها (بجاديّ بلخ) وصوابه (بخاتي بلخ) وهي ضرب من النياق اشتهرت بها بلاد بلخ ٠ والمصحح نفسه أشار الى هذا في ذيل الصفحة ٣٦٤ ٠

وفي صفحة ٣٧٣ سطر ١ — ضَرَبَ جبريل برج بابل (بخافقة جناحه) صوابه بخافية جناحه اي احدى خوافي جناحه ٠ وهي الريشات الصغيرة تخفى حينما يطوي الطائر جناحه وتكون تحت القوادم ٠ ولو كان المراد (بالخافقة) من الخفق لقال (بخافق جناحه) لان الجناح مذكر ٠

وفي صفحة ٣٧٦ سطر ١٣ في صفة سد يأجوج ومأجوج (وفوقه شُرّافات حديد في طرف كل شُرّافة قرنتان الخ) هكذا بتشديد الراء وزيادة الف بعدها وهو خطأ وصوابه (شُرْفة) على وزن غرفة وجمعها (شُرُفات) كغرفات ٠ اما (شُرّافة) بالضم والتشديد فمن كلام العوام ٠

وفي صفحة ٣٨٥ سطر ١٢ الخطأ هنا من مصنف الكتاب نفسه رحمه الله فانه تكلم على حصن السموأل المشهور المسمى (الأبلق الفرد) وقال انه يضرب به المثل وفيه يقول الشاعر:

(طلب الأبلق العقوق فلما   لم ينله فرام بيض الأنوق)

ولعل صواب هذا البيت ايضاً (أراد بيض الأنوق) مكان (فرام) لأن الفاء لا تقع في جواب (لما) ٠ و (الأبلق العقوق) هو الفحل الذي يحمل اي يلقح ٠ وهذا بالطبع غير موجود فهو كبيض الأنوق يضرب بهما المثل في الندرة أو عدم الوجود ٠ ولا معنى للتمثل به هنا كما لا يخفى ٠ وكأن المصنف ذهل فتمثل بهذا البيت وهو يريد بيت السموأل في قصيدته المشهورة ٠

(هو الابلق الفرد الذي شاع ذكره   يعزّ على من رامه و يطول)

وفي صفحة ٤٠٤ سطر ٥

(نصبتُ له في الارض بيت حديقة   تمدّ لها في الجو كفاً ومعصما)

الضمير في (له) يرجع الى الحصن الذي يصف هدمه بالمنجنيق ثم وصف المنجنيق

وسماه (بيت حديقة) لكنه أعاد الضمائر على (بيت الحديقة) مؤنثة مذ قال (تمدّ لها)
ثم قال (لها أخوات للمنايا كوامن الخ) ولا معنى لان يكون لها (اي لبيت الحديقة)
اخوات فالكلمة محرفة ولعلّ الصواب (بنت الحديقة) والحديقة البستان - ولا نعرف
لماذا كني عن المنجنيق بينت الحديقة وربما كان في الكلام تحريف آخر ·

وفي صفحة ٤١٦ سطر ٤

(يثير ضباباً بالبخار مجدّلا بدورَ زُجاج في سماء قباب)

يصف الحمام · والتجديل صفو الشعر وان تلقي آخر على الجدالة وهي الارض ·
ولا معنى لجعل هذا من صفة البخار · وانما الصواب (مجلّلا) على صيغة اسم الفاعل
و (بدور زجاج) مفعوله · والمعنى ان البخار لما تصاعد جلل وغشى الزجاجات التي
تتراءى في سماء قبة الحمام كأنها بدور ·

هذا ما انتبهنا اليه من اغلاط هذا الجزء وقد يكون هناك أخوات لها لم تتنبه اليها ·
لكنها قليلة في غالب الظن · وسننشر في الجزء الثاني من هذه المجلة الاغلاط التي وقفنا
عليها في الجزء الثاني من (نهاية الأرب) ·

المغربي

مطبوعات حديثة

كتاب الدرة الفاخرة

« في كشف علوم الآخرة »

للامام الغزالي طبع في ليبسيك (المانيا) سنة ١٩٢٥ في (١١٠) صفحات

كان هذا الكتاب طبع في (جنيف) سنة ١٨٧٨م ثم في السنة الماضية اي سنة ١٩٢٥ أعاد طبعه في ليبسيك المستشرق الفاضل الاستاذ (لوسيان غوتيه) بعد ان قابله على عدة نسخ في مكاتب ليبسيك و برلين و باريس واكسفورد . وقد ألحق به ترجمته باللغة الافرنسية في نحو (٩٠) صفحة وعلق عليه هوامش وشروحاً مسهبة توضح اختلافات النسخ . و بالجملة فان ناشر الكتاب لم يأل جهداً في تحرير هذه النسخة وتقريب الفائدة منها . فجزاه الله عن هذه الخدمة الشريفة خيراً . ولا بد هنا من ذكر كلمة قد تكشف شيئاً من الريبة والأشكال ذلك ان من دأب علماء الاسلام التدقيق في نقل الاحاديث التي تتعلق بالحدود والقصاصات والانكحة وغير ذلك من ضروب المعاملات المدنية ويبنى عليه حكم الحاكم أما ماليس كذلك من الآثار مما فيه حض العامة على فعل الخير والارتداع عن الشر فانهم يتساهلون في النقل والرواية غاية التساهل . وهكذا كان شأن الامام الغزالي في كتابه هذا . وشأن ابن قيم الجوزية في كتابه (حادي الأرواح الى دار الأفراح) فلا يتعجبن متعجب من مثل هذين النحريرين المدققين النقادين كيف رويا في كتابيهما المذكورين طائفة من الاحاديث والآثار الضعيفة !! ذلك لما قلناه من توخيهم حمل العامة والدهماء على الفضائل وردعهم عن الرذائل بأية طريقة كانت . « المغربي »

عم متولي

« وقصص أخرى »

محمود بك تيمور نجل العلامة احمد باشا من شبان مصر العاملين بنشاط في الاصلاح الاجتماعي ، وقد اختار لنفسه من طرق هذا الاصلاح طريقة كانت من اكبر عوامل

التهذيب في نهضة اوربا الحديثة وهي الطريقة القصصية اي بث المواضيع الاجتماعية اوالعلم الاجتماعي بين الجمهور من طريق القصص وابتكار الروايات ،وهناك فرع من هذا الفن اوناشطة من هذا الطريق سلكها المؤلف وهي القصص القصار التي تلذ مطالعتها جمهور القراء على نمط القصص التي عني بها الكاتب الافرنسي (مو باسان) واشتهر بها اىما اشتهار ·

وقد أصدر الفاضل المومااليه في العام الماضي الحلقة الاولى من سلسلة هذه القصص القصار ودعاها (الشيخ جمعة وقصص أخري) فصادفت رواجاً بين القراء وكان لها موقع في نفوس الكتاب والمتأدبين فقرظوها وأثنوا على مؤلفها أحسن ثناء وقد عاد اليوم فأصدر الحلقة الثانية من تلك القصص ودعاها (عمّ متولي وقصص أخرى) وهي تبلغ (٢٢٢) صفحة مفتتحة برسم (العم متولي) وبمقدمة من قلم المؤلف ومختتمة بأقوال الكتاب وأرباب المجلات والصحف وهي تشهد للمؤلف بحسن الابتكار والاجادة في هذا الموضوع الذي فرغ له · ويظهر لنا ان حداثة هذا الفن صادفت حداثة من سن هذا الفتى النبيل فائتلفا وتحابا وسيكون من هاتين الحداثتين الغضتين دوحة عظمى يتفيأ ابناء لغة الضاد ظلها الوارف ويجتنون ثمرها الناضج · له

اعلام المقتطف

« اصدرته مطبعة المقتطف والمقطم بمصر في (٣٢٠) صفحة »

المراد باعلام المقتطف العلماء الاعلام الذين وردت ترجماتهم في مجلدات المقتطف السابقة من الذين اشتغلوا بالعلم والفلسفة اوكان لهم شأن في ترقيتهما · وهذا الجزء هو القسم الاول من أجزاء عدة ستظهر على التوالي وتتضمن بقية التراجم ممن لم يذكر اسمه في هذا الجزء · ومن تصفح هذا الجزء ووزن الفائدة التي تنال من دراسته وعلم ان هذا الجزء انما هو بعض من كل — أدرك ما للمقتطف ومجلداته الخمسين — من الاثر البيّن في نهضتنا العلمية والفكرية ·

نفضت مجلدات المقتطف فانتثر منهـا هذا الجزء في بعض التراجم فما ظنك لو نفضت هذه المجلدات المرة بعد المرة فكم من مصنّف جليل في المواضيع المختلفة ينتثر من خلال صفحاتها · وتضاعيف أبحاثها ؟؟ حقاً ان مجلدات المقتطف دائرة معارف كبرى

تنافس مكتبتنا العربية بها سائر مكاتب العالم المتمدن · وقد افتتحت تلك التراجم بترجمة خمسة من فلاسفة اليونان ثم تلاها ترجمة ثمانين من علماء العالم المتمدن يتخللهم سبعة من علماء الشرق : هم شفيق بك منصور وعلي باشا مبارك وسالم باشا سالم واحمد كمال باشا من المصريين · والاستاذ بطرس البستاني والدكتور ورتبات والدكتور شميل من السوريين ومعظم أصحاب التراجم نشرت صورهم في جانبهم · فكان الكتاب سفراً نفيساً يحرص عليه اللبيب ، ولا ينبغي ان تخلو منه مكتبة أديب · له

كتاب الادب لابن المعتز

ابن المعتز هذا هو عبد الله بن المعتز الخليفة وواضع فن البديع وكتابه هذا ليس هو في فن الأدب الاصطلاحي اي أدب الدرس · وانما هو في أدب النفس وتهذيب الاخلاق فهو مجموعة مواعظ وحكم اقتطف أكثرها من كلام المتقدمين وفيها نوادر من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه · قال ابن المعتز في مقدمة هذا الكتاب : «وقد ألفته سنة ٢٧٤ واول من نسخه مني علي بن هرون المنجم» · وفصول الكتاب في الوعظ بعضها قصار وبعضها طوال ، وقد ظفر بنسخة من هذا الكتاب المستشرق الروسي الكبير الاستاذ (كراچكوفسكي) أحد اعضاء مجمعنا العلمي فنشره في كراس وجعله ملحقاً بمجلة (العالم الشرقي) وحرر ألفاظه غب مقابلتها على نسخ مختلفة وقدم له مقدمة باللغة الافرنسية استغرقت ست عشرة صفحة حقق فيها من امر هذا الكتاب ما يهم الاطلاع عليه كل كاتب أديب · والكتاب لطيف الحجم لا تتجاوز صفحاته خمسين صفحة ملئت أدباً وحكماً وأخلاقاً عالية · وقد طبع في (ابسالا) احدى حواضر اسوج · ولما كان كثير من هذه الحكم غير مشهور بين الادباء والكتاب أحببنا ان نقتبس منها الى مجلة المجمع ما فيه فائدة :

النمام جسر الشر · انما أهل الدنيا كصُوَر في صحيفة كلما نشر بعضها طوي بعضها· لا ينبغي للعاقل ان يطلب طاعة غيره وطاعةُ نفسه عليه ممتنعة · ما أدري ايما أَمرُّ : موت الغني او حياة الفقير ؟ · كما لا يُنبت المطر الكثير الصخر كذلك لا ينفع البليد التعليم · العالم يعرف الجاهل لانه قد كان جاهلاً والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن

عالماً . لا تسرع الى ارفع موضع في المجلس : فالموضع الذي ترفع اليه خير من الموضع الذي تحط منه . الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سيره نحوك . لم يكتسب مالاً من لا يصلحه . كثرة مال الميت يعزّي ورثته عنه . الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها . علم الانسان ولده المخلَّد . لا تقطع أخاك الا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه ولا تتبعه بعد القطيعة وقيعة (طعناً) فيه فتسد طريقه عن الرجوع اليك ولعل التجارب أن ترده اليك وتصلحه لك . من أحسّ بضعف حيلته عن الاكتساب بخل . الميت يقلّ الحسد له ويكثر الكذب عليه . كأن الحاسد خُلق ليغتاظ . طلاق الدنيا مهر الآخرة . التواضع سلّم الشرف . يستحق الانسانية من حسن خلُقه . يكاد السيِّئ الخلق يُعدّ من السباع . لما عرف أهل النقص حالهم عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظّم كبرهم صغيراً و يرفع حقيراً وليس بفاعل . لا فرق بين جاهل بقلّد و بهيمة تقاد . خير الاختلاف ما اجتنب معه التمادي في الباطل واهتدي فيه بالصبر الى الحق . من ترك العقوبة أغرى بالذنب . اذا ترعرع الولد تزعزع الوالد . الاسخياء يعبدهم المال والبخلاء يعبدونه . الحكمة شجرة : تنبت في القلب وتثمر في اللسان . الشرير لا يظن بالناس خيراً لانه يراهم بعين طبعه . العتاب حياة المودة . كما ان جلاء السيف أهون من صنعه كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره . ما مات من أحيا علماً . من عدّد نعمه محق كرمه . من يتمنى العمر فليدّرع صبراً على فقد أحبابه . من يعمّر يلق في نفسه ما يتمناه لاعدائه . له

الذكرى

اسم لمجموعة شعرية بليغة تتضمن قصائد نظمها شاعر العرش الانكليزي (الفرد تنسون) تذكاراً لحياة صديقه (ارثر هلَم) وقد كانت وفاة هذا الشاعر سنة (١٨٩٢)م وأول ديوان نشره من شعره سنة ١٨٣٠ كما ان آخر ديوان نشره هو ديوانه (الذكرى) هذا فقد نشره سنة (١٨٥٠) . اما صديقه الذي جعل هذا التذكار باسمه فهو شاب من أترابه عرفه في جامعة (كمبريدج) واستحكمت بينهما عرى الالفة والصداقة وقد أحب الشاعر ان تبقى ذكراها خالدة فأحياها بنشر هذا الديوان من شعره الخالد

الذي قال فيه (ستدمان) « ان في شعر (تنيسون) ما يمثّل لنا أرقى معاني الفن الجميل » . وقد عمد الى هذا الديوان أديب كبير من أدباء العرب في سورية وهو السيد أنيس الخوري استاذ الآداب العربية في جامعة بيروت الاميركية فنقله الى لغتنا العربية شعراً وقد قدم له مقدمات في التعريف بناظم الديوان . ومنزلته بين الشعراء الاوربيين ثم (الذكرى) ما هي وكيف نظمت ، ثم كلمة في المقارنة بين الشعر الحديث والشعر القديم . ثم سرد النشائد دوراً فدوراً حتى بلغت (١٣١) نشيداً . وكل نشيد او دور يتألف من بضعة مقاطيع وقلما جاوز الدور العشرة منها . وقد افتتح كل دور بجمل تتضمن وصف العواطف التي ثارت في نفس الشاعر فحملته على نظم النشيد والتغني به . فمن كل ما تقدم يتضح للقارئ الاديب مبلغ جمال هذه الاناشيد وفائدتها لمحبي الادب والشعر لا سيما المولعين بالمقارنة بين الادب العربي والادب الافرنجي . والكتاب مطبوع طبعاً متقناً في المطبعة الاميركانية في بيروت . فنشكر للمترجم البارع ، ونستميل أنظار أبناء العربية الى هذا الأثر النفيس . ك

هدية كتب للمجمع

أهدى الى مكتبة المجمع العلمي السيد عيسى البابي الحلبي الكتبي الشهير بمصر كتباً اربعة مما طبع في مطبعته (مطبعة دار إحياء الكتب العربية) :

(١) كتاب (تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك) ولا يخفى ان الموطأ وشروحه طبعت مراراً ولكن هذا الشرح للسيوطي لم يطبع حتى انبرى له السيد عيسى المومأ اليه لطبعه على طريقة حديثة : ذلك انه وضع المتن في اعلا الصفحات مفصولاً عن الشرح بجدول والمتن مضبوط بالشكل الكامل على ورق صقيل وحرف حسن . ولاجل زيادة الفائدة ألحق به كتاب (إسعاف المبطأ برجال الموطأ) للعلامة السيوطي نفسه . ولا غرو ان يقبل علماء الاسلام لا سيما المختصين في علم الحديث منهم على اقتناء هذا الكتاب . وهو يتألف من ثلاثة أجزاء مجموع صفحاتها ٨٣٥ صفحة بالقطع المتوسط .

(٢) الجزء الاول من (معراج البيان) اختيار وتصنيف الاستاذ الفاضل الشيخ

(علام سلامه) احد مدرسي (دار العلوم) بمصر . وقد قال في مقدمته (اصطفيت لشُداة الطلاب وعشاق الآداب نخبة صافية من اجود الكلام المأثور من بين منظوم ومنثور غير منقيد بعصر من العصور) . فالكتاب كتاب مطالعة لطلاب المدارس يستظهرون منه فتقوى ملكاتهم في اللغة العربية وآدابها ، فنلفت اليه انظار الاساتذة والمعلمين .

(٣) (عقود الفرائد في علم العقائد) تأليف العلامة الشيخ محمد بن علي بن حسين المالكي المكي والكتاب في فن العقائد الاسلامية المسمى بعلم الكلام ايضاً . ويظهر ان المؤلف متوطن في بلاد الجاوه . فقد قال في آخر كتابه انه تم في (ذي الحجة عام ١٣٤٣ وكل تحريره في سومطره) وهو يبلغ مئة صفحة على ورق نباتي وله فهرس مطول .

(٤) (فتح المتفكرين) هو كتاب ديني ايضاً ألفه الشيخ (عثمان بن شهاب الدين) ويظهر انه من علماء جاوه ايضاً لان الكتاب مكتوب بلغة غير عربية ولعلها الجاوية . وربما كان الكتاب شرحاً لرسالة السيد زيني دحلان المشهور . وهذه الكتب الاربعة كلها طبعت في مطبعة السيد البابي فنشكر له هديته .

هدية لطيفة

اهدى المسيو جان مليا Mélia للمجمع العلمي اربعة كتب من تأليفه باللغة الافرنسية وهي المدينة البيضاء ، الجزائر وعمالتها (La Ville Blanche Alger et son département) وبول ديشانيل (Paul Deschanel) ولاغوات او الدور المحاطة بحدائق (Laghouat ou les maison entourées de jardins) ومدام سانت جنيفياف (Madame Sainte Geneviève) والمؤلف من الكتاب الذين عُنوا بالاشتغال في الشؤون الاسلامية كثيراً ولا سيما حالة مسلمي افريقية فنشكره باسم المجمع على هديته .

كلمة في اللغة العربية

الاستاذ إسعاف النشاشيبي عضو مجمعنا العلمي — بالنسبة الى اللغة العربية — مزايا اربع تحققت فيه . واشتهر بها : فهو راسخ القدم في آدابها . حريص على الاشادة بذكرها . شديد السخط على من يناوئها . متوفر على خدمة من يخدمها — مزايا اربع لم نعهدها اجتمعت في احد من أناسي هذا الزمان اللهم الا رجلاً لانعرفه . ان هذه المزايا هي الدين الذي انقطع الاستاذ اسعاف لممارسته . انقطاع الناسك لعبادته . والراهب في صومعته . وهي التي جعلته يلقب بحق (اديب فلسطين الكبير) وكما استأثر السيد اسعاف بهذه المزايا الاربع تفرد أيضاً بامر خامس ناظر الى اللغة العربية ايضاً . ذلك استفراده باسلوب في الانشاء العربي عُرف به كما عُرف الجاحظ بطريقته بين المنشئين المتقدمين . وكما عُرف احمد فارس بنمطه في الكتّاب المتأخرين . وكذلك شأن أديبنا إسعاف في المعاصرين .

اذا عُرض عليك عدة قطع من منثور الكلام لكتّاب مختلفين قد يصعب عليك أن تميز بينها . وتعزو كل قطعة الى صاحبها . اما اذا كان بينها قطعة من انشاء الاستاذ اسعاف فانك من اول وهلة تتبين حالها . وتتنسم روحه من خلالها .

يمتاز ما يكتبه الاستاذ اسعاف بما تضمنه من الكلمات والتعابير اللغوية المختارة التي اصبحت بالنسبة الى كثير من أدباء زماننا كأنها من « غريب اللغة » . هذا من جهة المفردات . أما من جهة السبك والتركيب فان الاستاذ اسعاف يسلك من ابواب «الفصل والوصل» و«الايجاز» و«الاطناب» و« الاعتراض» و«الاستطراد » و « الغلو » و «التهويل » و «التفخيم» طرائق خاصة لم نعتد سماعها في كتابة غيره من بلغاء الكتّاب . ولذلك كان قارئ كتاباته مضطراً ان يبقى على انتباه ويقظة لما يمر تحت نظره . والا أضاع السياق . ثم أعجزه اللحاق .

وأقرب الشواهد على ماقلنا من مزايا الاستاذ اسعاف التي منها تفانيه في لغته العربية — كتابه الذي نشره حديثاً وأسماه (كلمة في اللغة العربية) البالغ مئة صفحة . وكان الذي بعثه على وضع هذا الكتاب انه زار القاهرة في السنة الماضية فاحتفى به فضلاؤها

أيما احتفاء . وكلفته (جمعية الرابطة الشرقية) ان يلقي في دارها محاضرة . فألقى تلك الكلمة في مزايا اللغة . ووجوب التعصب لها . لتحيي الامة بحياتها . وقد جمعت كلمته هذه من بلاغة القول . ونصاعة البيان . والتفنن في أساليب الافصاح عن مناقب اللغة العربية — ما حمل كبار الكتاب والصحافيين في مصر على تقريظها والتنويه بصاحبها .

ولما عاد الاستاذ الى وطنه (القدس) اعاد نظره في تلك الكلمة فأضاف اليها (جزءاً آخر) على نمطها وأسلوبها . ثم علّق على الجميع في ذيل الصفحات شروحاً وهوامش غاية في الإمتاع والفائدة . كما ألحق في آخرها طائفةً مما قاله الكتّاب والفضلاء فيها .

وان الناظر في تلك الكلمة أصبح لا يدري ايّ الامرين اجزل نفعا . واحسن شكلاً ووضعا . أتلك الكلمة البليغة نفسها بما أودعته من افانين القول . ام ما عُلّق عليها من الشروح ذات الفائدة والطول ؟

وقد احسن الاستاذ صنعاً في طبعها على عينه في مطابع القدس : فانه بذلك جوّد ضبطها وتصحيحها . كما جوّد ورقها وحرفها وترتيبها . فكانت بذلك كله طرفة من طرف الأدب . وعقداً ثميناً في جيد لغة العرب .

وانا لنرجو للاستاذ صاحب هذه الكلمة ان يُتبعها من فيض علمه بكلمات . فانه « سبّاق غايات . وصاحب آيات » .

« المغربي »

نشر رسالة مخطوطة

في إصلاح أغلاط كلام الناس

كنت أرى بين مخطوطات مكتبتي رسالةً لطيفة الحجم اسمها (التنبيه على غلط العوام والنبيه) وهي تشتمل على إصلاح نحو مئة وخمسين غلطةً مما تزلُّ به ألسنة الناس في عصر المؤلف . ولم يُذكر على الرسالة اسم مؤلفها . ولا في أي عصر كتبت . وكانت — عدا قبح خطها — كثيرة التصحيف والتحريف . وهـذا ما ثبط عزيمتي عن نشرها في مجلة المجمع . مع ان موضوعها من أخص أبحاثه . ثم وقع لي اخيراً نسخة من هذه الرسالة لدى بعض باعة الكتب في دمشق حسنة الخط . لكنها ايضاً كثيرة الغلط والتحريف . وقد كُتب في آخرها أن مؤلفهـا هو ابن كمال باشا العالم التركي المشهور (المتوفى سنة ٩٤٠ هـ) . عندها تجددت الرغبة في تصحيح نسختي على هذه النسخة ونشرها في مجلة المجمع . فاجتهـدت اولاً في تحقيق أمر الرسالة . وتقصّي خبرها . والكشف عن غامض سرها . فوجدت أن اسمها الحقيقي (التنبيه على غلط الجاهل والنبيه) لا (غلط العوام والنبيه) كما هو في نسختي ولا (غلطات العوام) و (اغلاط العوام) و (سقطات العوام) كما سماها بعضهم .

اما (غلطات العوام) فانها اسم رسالة أخرى جمعها (المولى مصطفى بن محمد المعروف بخسرو زاده المتوفى سنة ٩٩٨ هـ) كما في كشف الظنون . وفي بعض نسخ رسالة ابن كمال باشا أن اسمها (التنبيه على غلط الخـامل والنبيه) وقد صوّب هذه التسمية صديقنا الاستاذ تيمور باشا قال : لأن الخامل يقابل النبيه . ويظهر انه لما شاع بين العلماء خبر هذه الرسالة في إصلاح الاغلاط لابن كمال باشا جعلوا يطلقون عليها اختصاراً اسم (غلطات اواغلاط اوسقطات العوام) يريدون ان هذا هو موضوع الرسالة لا اسمها الحقيقي .

هذا من جهة اسم الرسالة اما مؤلفها فهو على الراجح (ابن كمال باشا) المذكور . وانما قلنا (على الراجح) ولم نقل على القطع واليقين: لان كثيراً من نسخها لم يذكر فيه اسم مؤلفها قط حتى ان صـاحب كشف الظنون اغفل ذكره : فهو اما انه لم يعرفه او انه

تردّد بين ان يكون ابن كمال باشا او يكون الشيخ البركوي العالم التركي المشهور ايضاً والمتوفي سنة (٩٨١هـ) او غيرهما . ومن ثمه أهمل صاحب كشف الظنون ذكر المؤلف . وقد راجعت عن هذه الرسالة فهرست مكتبة برلين الخاص بالمخطوطات العربية وهو عشرة مجلدات ضخام موجودة في مكتبة المجمع فوجدته يكرر ذكر هذه الرسالة في غير ما موضع منه . و يظهر ان في مكتبة برلين نحو ثمان نسخ منها : ففي ثلاث منها أهمل ذكر المؤلف وفي اربع منها نسبت الى ابن كمال باشا : تارة باسمها الحقيقي . وتارة باسم (سقطات العوام) و (اغلاط العوام) لكن هذه التسمية للموضوع لا للرسالة كما ذكرنا آنفاً . وفي نسخة واحدة من تلك النسخ نسبت للبرجلي (اي البركوي) . وقد قال المستشرق منظّم الفهرست تعليقاً على بعض نسخ هذه الرسالة ماترجمته (مؤلف هذه النسخة غير مكتوب اسمه عليها . والمؤلف إما محمد بيرعلي البرجلي (البركوي) وإما ابن كمال باشا . ومن الممكن ان يكون الاصح هو الاخير) اه .

وكتب لي الاستاذ تيمور باشا يقول : إنها لابن كمال باشا وان لديه ثلاث نسخ منها وكلها معزوّة اليه . ثم قال انه لا شبهة في ذلك . اما انا فأقول ان لديّ بعض الشبهة لما ذكرت آنفاً من إغفال صاحب كشف الظنون لاسم مؤلفها ولان منظم الفهرست الالماني قد شك وتردّد في المؤلف . ولابد ان يكون تردده ناشئاً عن كثرة مالديه من نسخ تلك الرسالة وعدم اتفاقها على نسبتها الى ابن كمال باشا .

وكانت هذه الرسالة طبعت منذ بضع واربعين سنة في ليدن طبعها الاستاذ الفاضل (الشيخ عمر السويدي[1]) في جملة رسائل وقد عزا (رسالة التنبيه) الى ابن كمال باشا وقال انه طبعها بعدان عارضها بنسخة محفوظة في مكتبة مونيخ عاصمة بفاريا ثم قال (ان نسخته والنسخة المونيخية على جانب من التحريف والتصحيف لا يُدرك المعنى منه) . وقد تفضل

---

(١) ذكر الاستاذ تيمور باشا في كتابه الينا : ان الشيخ عمر السويدي هذا ناشر رسالة ابن كمال باشا — هو فيما يقال الكونت لندبرج المستشرق المشهور المتوفى في ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٤م يعني وليس هو من علماء الاسلام في بغداد كما يتبادر الى الذهن . ولعل احد المستشرقين من اعضاء مجمعنا العلمي يحقق لنا ذلك .

الاستاذ تيمور باشا فأرسل الينا هذه النسخة المطبوعة لنعارضها بنسختنا قبل نشرها في المجلة. فعارضناها وصححنا نسختنا عليها تصحيحاً استوفينا فيه الضبط الكامل اللهم الابعض جمل بقي لنافيها شيء من شبهة وسنشير اليها في محلها من الرسالة. وقد علقت على الرسالة في ذيل الصفحات شروحاً. تزيد بعض الابحاث انكشافاً ووضوحاً.

هذا وان طبع هذه الرسالة في اوربا منذ اكثر من اربعين سنة — لا يقلل من قيمة نشرها في مجلتنا الآن لان النسخ القايلة المطبوعة في اوربا تفقدت واصبحت نادرة الوجود. فيكون في نشرها الآن فائدة نرجو ان تقع من القرا. موضع الرضا.

محقق الرسالة وناشرها

المغربي

وهذه هي الرسالة :

(التنبيه على غلط الجاهل والنبيه)

« لابن كمال باشا »

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي جعلنا من زمرة من علم. ولم يجعلنا من الذين يحرفون الكلم. نحمده على ما شرف ألسنتنا (١) بالألسن والفصاحة. وعصمها عن الاتيان بما يوجب الفضاحة. ونصلي على سيدنا محمد الذي أفحم بيانه (٢) البديع كل خطيب. وعلى آله وصحبه ما ناح الحمام وغرد (٣) العندليب. (اما بعد) فإن اول ما يجب ان يعلم. وأولى ما تبذل فيه الهمم. إقامة اللسان. وصونه عن الهذيان. اذ من الالفاظ تستفاد المعاني. وبها تظهر أسرار السبع المثاني. بل كل علم مفتقر اليها. وكل فن معول عليها. وقد شاع بين أصحابنا من السقطات. إما لعدم الالتفات. او لميل النفوس الى العادات. اولقلة الإلف باللغات — ما هو أجدر بالوأد من البنات. وأولى بالستر من السيئات. ولولا حدبي على الاخوان. وميلي الى الخلان. لضربت عن ذكره صفحا. وطويت عن نشره كشحا. أنفة (٤) من التعرض للألفاظ السخيفة.

(١) في نسخة ألسنتنا (٢) في نسخة بيانه (٣) في نسخة عزف اي صوت (٤) في نسخة انفاء.

وحذراً من التحكك بالعقول الضعيفة . اذ نحن في زمن أدير فيه الانصاف . وأقبل الاعتساف . وغار[1] العلم وغاض . وفار الجهل وفاض . ووُضع فيه الرفيع . ورُفع فيه الوضيع . عُدّ الفضل فيه من المعايب . والعلم من المصائب . والعناد طباعا . والهوى مطاعا . وكم نادٍ وقع فيه الجدال . وارتفع فيه[2] القيل والقال . فقلتُ: أيّ خطب ادهى وافظع . وامرّ واوجع . من شيوع الاغاليط . ووقوع التخاليط . في اللسان العربي المبين . مرقاة مراتب علوم الدين . بين المدّعين في العلوم شمولا . وأن لم فيها يداً طولى . فقالوا بعدما أطالوا : ان الغلط المشهور أفصح . فقلت حجبتم عن الحال[3] في صورة الحال بل هو افضح . لان الغلط الفصيح ان صح ان يكون . فلا اقل من ان يستعمله المولدون . واما الذي استعمله الجهّال فيما بينهم . فإنما زادوا به شينهم . وما أحسن ما قاله صاحب الإقليد . وهو اجدر بالقبول والتقليد : لو كان جريُ العادة باستعمال هذا النحو[4] نسخة له حجة صحة للزم ان يصحّ كل ما استعمله العوامّ : من نحو القصر في القسر . وبالجملة فاللحنُ كلالُ الكلام . ودليل القصور في العلوم والأفهام . ألا ترى الى ابي الاسود الدئلي كيف يفتخر بصحة الكلام . والارتفاع عن طبقة العوام حيث يقول :

(ولا اقول لقدر القوم قد غَلِيَتْ   ولا اقول لباب الدار مغلوق)

أوما ترى الى عبد الملك بن مروان كيف يقول مخاطباً لخالد بن يزيد : (أفي عبد[5] الله تكلمني وقد دخل عليّ فما أقام لسانه لحنا) يعني انه جدير بالاحتقار . خليق بالاستصغار لاجل لحنه . (واما) قول الفزاري :

(منطقٌ رائعٌ وتلحن أحيا   ناً وخير الحديث ما كان لحنا)

فليس مما نحن فيه : لانه من لحن له اي قال له قولاً يفهمه ويخفى على غيره .

(١) في نسخة وغاب (٢) في نسخة خيام القيل والقال (٣) في نسخة «عن الحال في صورة الحال» . وهذا من المواضع التي غمض علينا معناها وقد وعدنا بالاشارة اليها . (٤) قوله باستعمال الخ هو ايضاً من الجمل التي غمض علينا معناها . والنسخ سواء فيها . (٥) عبد الله هذا هو اخو خالد وقد دخل خالد على عبد الملك يعاتبه على ما صدر من ابنه الوليد بشأن اخيه عبد الله المذكور فقال له عبد الملك أفي عبد الله الخ راجع تتمة القصة في ترجمة خالد ابن يزيد في الجزء الاول من ابن خلكان .

ثم اني لما رأيتهم لا يحومون حول الرشاد · ولا يذرون ما هم عليه من العناد · ووجدت للطعن فيهم مجالا · فقلت بديهة وارتجالا ·

(الى الله اشكو التابعين بجهلهم فنون المعاني بالدعاوي الكواذب)
(بتحريك رأس بعد لُبس عمامة وغمز بعين ثم رمز بحاجب)

ثم شمرتُ عن ساق الاجتهاد · وكحلت ناظري بكحل السهاد · فتتبعت ما شاع بينهم وذاع · وقلبته كما يقلب السماسرة المتاع · فجمعت الاغلاط المتداولة الا ما لم يصل الى السمع · اوغاب عن الخاطر وقت الجمع · وحين ابي قلبي الا تحقيقه · ويدي الا تنميقه · رأيت ان لا اقتصر على حلها[1] · بل آتي بالاوهام كلها · اذ ما من لفظ منها الا ويخفى على بعض وان كان على بعض جليّا · ويحتاج الى حله واحد وان كان الآخر عنه غنيّا · فأوردتُ الكل تعليماً للمبتدي · وتذكيراً للمنتهي · فحصل لي ما أربى على مئة لفظ من السقط · بعضها للخاصة وبعضها للعامة فقط · وذكرت مراعياً ترتيباً للحروف الاصلية في الاول والثاني · دون الآخر الذي هو أساس المباني · اذ لو اعتُبر لزادت عدة الفصول والابواب · على حجم هذا الكتاب · وسميتها (التنبيه على غلط العوام[2] والتنبيه) · وها انا أشرع في المرام · مستفيضاً من الله الملك العلام · فنقول : مما يجب ان يُعلم ان ما ينبغي ان يُجتنب من الالفاظ اقسام · قسم جوّزه بعض اهل اللسان مطلقاً او في حال من الاحوال · وقسم لم يجوّزه احد منهم ولكن شاع بين اهل التصنيف استعماله · وقسم لم يجوّزه احد ولم يستعمله الا من لا خبرة له بالكلام · (أما) الاول فكالضفدع بفتح الدال والجنازة بفتح الجيم والحلقة بفتح اللام والتخمة بسكون الخاء : فأما الضفدع فالصحيح فيه كسر الدال · قال في الصحاح : وناس يقولونه بفتح الدال وانكره الخليل · وقال في القاموس ضفدع كدرهم قليل او مردود · واما الجنازة فاختار صاحب الصحاح فيها كسر الجيم حيث يقول : الجنازة واحدة الجنائز · والعامة تفتحها · وجوّز صاحب القاموس الفتح حيث قال: الجنازة الميت ويفتح او بالكسر الميت وبالفتح السرير · اوعكسه او بالكسر السرير مع الميت اه · واما الحلقة بفتح اللام فحكاه

(١) كذا في النسخ ولعل الأصوب جلها اي معظمها بدليل قوله بعده كلها ·

(٢) صوابه (غلط الجاهل والنبيه) كما مر في كلمتنا التي حققنا بها اسم الكتاب في المقدمة ·

يونس عن ابي عمرو بن العلاء . وقال ثعلب كلهم يجيزه على ضعف . وقال ابو عمرو الشيباني : ليس في الكلام حلقة بالتحريك الا في قولهم هؤلاء قوم حلَقَة للذين يحلقون الشعر . ذكر الكل في الصحاح . وقال في القاموس: قد تفتح لامها وتكسر(اللام وقيل الحاء . واما التخمة بسكون الخاء فقد قال في الصحاح هي بفتح الخاء والعامة تسكنها وقد جاءت في الشعر ساكنة الخاء وقال في القاموس: هي كهُمَزَة وتسكّن خاؤها في الشعر . والمفهوم من الكلامين أن التخمة يجوز إسكان خائها في ضرورة الشعر .

واما القسم الثاني فكالإيذاء والتكفير بمعنى الإكفار . اما الايذاء فقد أشار صاحب الصحاح الى نفيه[1] بطي ذكره حيث يقول: اذى يؤذي[2] أذىً وأذاةً وأذيةً لان السكوت عن الشيء في موضع البيان نفيٌ له . وصرح صاحب القاموس بنفيه حيث قال بعد عدّ المصادر المذكورة: ولا تقل ايذاء . واما التكفير فلم يصح من الكفر بل من الكفارة . واما النسبة الى الكفر فهي الإكفار قال في الصحاح أكفَرَهُ دعاه كافراً يقال لا تُكفر أحداً من اهل قبلتك اي لا تنسبه الى الكفر . وتكفير اليمين فعل ما يجب بالحنث فيها والاسم الكفارة . وقال في القاموس التكفير في المعاصي كالإحباط في الثواب . واكفره دعاه كافراً اه . لكن شاع بين المصنّفين استعمالُ هذين اللفظين بلا نكير .

اذا تقرر هذا فنقول : لا نخطّيء الاصحاب في القسمين الاولين بل نعذرهم وانما نخطئهم في القسم الثالث اذ لا اصل له ولا مستند بل يتفوهون به اما اختراعاً محضاً او تحريفاً كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى . (للرسالة صلة)

(١) لكن الذي رأيناه في الصحاح ص ٤٤٠ جزء ٢ طبعة مصر سنة (١٢٨٢) هـ ما نصه: آذاه يؤذيه إيذاء الخ وهذا دليل على ان صاحب الصحاح لم ينف (الايذاء) ضمناً وانما هو يثبته صراحة اللهم الا اذا كانت هناك نسخ مختلفة . (٢) هكذا (يؤذي) في النسخ الثلاث التي ظفرت بها فيكون ماضيه آذى بالمد فهو من باب اكرم لا أذيَ كعلم . وعليه فالذي نفاه كل من صاحبي الصحاح والقاموس انما هو مصدره وحده اعني (الايذاء) لا ماضيه ومضارعه . وقد خالف الجمهور صاحب القاموس وانكروا عليه تصريحه بنفي (الايذاء) واثبتوا وجوده مع فعله فيقال : آذى يؤذي ايذاء . حتى ان ابا السعود العمادي المفسر كان يقول « قولوا الايذاء إيذاء لصاحب القاموس .

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) شباط سنة ١٩٢٦ م — الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٤ هـ

تصحيح نهاية الارب

« اغلاط الجزء الثاني »

في ص٦ س٦ (فقيل أُنَيْس) ضبطه مصغراً من دون تشديد وصوابه أُنَيِّس بالتشديد لان الكلام اغاهو في (أناس) لا(أنس)٠ وما كان ثالثه حرف علة شُددت فيه ياء التصغير فيقال في غراب غُرَيِّب وفي زَبيب زُبَيِّب وهكذا ٠

وفي ص٧ س٩ — قوله (وفي تصغير ليلة لييلة) نعم هذا هو تصغيرها القياسي وليس الكلام فيه وانما الكلام في التصغير غير القياسي فالصواب ان يقال (وفي تصغير ليلة لييلية) اي بزيادة ياء بعد اللام الثانية كذا ورد تصغيرها ٠ ومن ثم قال بعضهم ان أصل (ليلة) (ليلاة) ولذلك صغرت على (لييلية) لان التصغير يرد الاشياء الى أصولها ٠

وفي ص١٢ س٩ — قوله (فصل في ظهور الشيب وعمومه): من تصفح هذا الفصل المركب من اربع صفحات ظهر له ان مضامينه ملفقة تلفيقاً : فانه افتتح بذكر الشيب٠ وبعد أسطر قطع الكلام في الشيب وقال : (وقيل ماالسرور؟) فكتب سطراً واحداً ثم قال : (واما النفس الغضبية) فكتب سطراً واحداً عنها ثم قال : (وقيل لحصين ابن المنذر ما السرور الخ) ٠ ثم بعده (وقيل لفلان ولفلان ما السرور الخ) ٠ ثم رجع وقال : (واما النفس البهيمية) وبعدما كتب عنها نحو نصف صفحة قال (وقيل لامرئ القيس ما السرور) فأجاب كذا وكذا وقيل لفلان وقيل لفلان

وهكذا الى آخر الفصل · وظاهر ان تقسيم النفس الى غضبية و بهيمية لا علاقة له بالشيب وكذلك اختلاف الناس فيما هو السرور · مع ان المؤلف عاد فعقد للشيب في ص ٢١ فصلاً خاصاً أسهب فيه القول ايما إسهاب · و يا ليت المصحح الفاضل نبّه الى ما ذكرنا من حدوث خلل في هذا الفصل ·

وفي ص١٨ س١١ — قوله في صفة الشعر المسترسل (حتى تناهى الى مواطنه) كذا بالنون وصوابه (مواطئه) بالهمزة اي مواطئ اقدام المحبوب بدليل قوله في الشطر الثاني بعده (يلثم من كل موطئ عفَرَه) ·

وفي صفحة ٢٥ سطر١٦ — قوله في صفة الشيب :

(هو الزور يُجفى والمعاشر يُجتوى وذو الإلف يُقلى والجديد يُرقّع)

(الزور) ضُبطت بضم الزاي خطأ وصوابه (الزَّور) بفتحها وهو الزائر فالشاعر يتعجب من كون الناس يعاملون الشيب بالجفاء وانما هو زائر ومن حق الزائر ان يُكرم ·

وفي صفحة ٥٢ سطر١٤ — ذكر المصنف من امراض العين (السّجا) وقال هو «ان يعسر على الانسان فتح عينيه اذا انتبه من النوم» فقال المصحح «لعل الصواب (الجسأة) بتقديم الجيم على السين كما في فقه اللغة» لكن الذي في كتب اللغة انه يقال (امرأة ساجية الطرف) اذا كانت ساكنته وفي الاساس فاترته · ومثله سجواء الطرف · وسجا الليل سكن ودام · ومنه قوله تعالى : (والليل اذا سجا) اي سكن أهله وركد ظلامه · اما (الجسأة) بتقديم الجيم فالصلابة واليبس» · فأنت ترى ان مادة (السجو) أقرب الى المعنى الذي أراده المصنف في مرض العين · وقد راجعت فقه اللغة في فصل محاسن العين ومعايبها فلم أجده ذكر الجسأة ولا السجا ·

وفي صفحة ٦٤ سطر١٣ — قوله (تداءب ريح المسك فيه) اي في الربع الذي غيّره البلى · و(تداءب) كذا بالدال المهملة من باب التفاعل · وصوابه (تذأّب) بالذال المعجمة من التفعّل يقال (تذأبت الريح) اذا جاءت مرة كذا ومرة كذا كما يفعل الذئب · فالتذؤب مأخوذ من مادة (الذئب) وانما ذكّر الفعل مع ان الريح مؤنثة لان تأنيثها مجازي ومثله يجوز تذكير فعله وتأنيثه ·

وفي صفحة ٧٠ سطر١٢ — قال ذو الرمة :

(حديث كوقع القطر في المَحْل ُيشتفى   به من جوىً في داخل القلب لاطف)

لم أجد في كتب اللغة (داء أوجوى لاطف) وانما وجدت الأساس يقول (داء ملاطف) اي مداخل وتبعه التاج في استدراكه على صاحب القاموس . فهل قول ذي الرمة (داء لاطف) صحيح وتكون عبارة الاساس محرفة ؟ او ان الصواب (داء ملاطف) كما قال صاحب الاساس ويكون بيت ذي الرمة محرفاً ويكون اصله مثلاً هكذا :

(حديث كوقع القطر في المَحْل ُيشتفى   به من جوىً ذاكي الضرام ملاطف)

وفي صفحة ٨٧ سطر ١٦ — قوله (لقينا دونهـا امنع سدّ ... واقدح ردّ) اقدح بالقاف خطأ وصوابه (أفدح) بالفاء من فدح الأمر بهظ وصعب وكان ثقيلا لايحتمل (كذا فليجلّ الخطب وليفدح الامر) .

وفي صفحة ٨٨ سطر ١٤ — قوله (وفُلّ سيفك . وحطّ رمحك) حطّ اسيء وضع . ووضع الرمح ليس مما يلتئم مع فلّ السيف . فلعل صوابه و (حطم رمحك) اذ يقال (صعدة حطيم) اذا تحطمت بجميع أجزائها .

وفي صفحة ١٣٦ سطر ١٨ — قوله (فتى من أحسن الناس وجهاً . وأثراهم ثوباً) كذا (أثراهم) بالثاء المثلثة وصوابه (اسراهم) بالسين المهملة اي اجودهم ثوباً . والسريّ الجيد من كل شيء . ويقال جاء المسافر في ثَقَلٍ سريٍّ . اي متاع حسن . ومنه ماجاء في هذا الكتاب . صفحة ١٧٣ سطر ٣ — (واشترى داراً سريّة واسعة الصحن) فقوله سرية اي جيدة حسنة . اما (أثرى) فعلي فرض صحة ان تكون افعل تفضيل من الثروة فانما يوصف بها الناس لا الثياب .

وفي صفحة ١٤٩ سطر ١٣ — قوله (فأنشد ريّان قول أُبيّ) ضبطه بضم الهمزة وياء مشددة مصغراً فأوهم ان (ابيّ) اسم الرجل الذي قال الشعر . والصواب (قول أبي) اي اب مضاف الى ياء المتكلم فان في سياق القصة مايشعر بهذا مذ قال له رفيقه (يا ابن الكرام دَمُ ابيك في اثوابها الخ) .

وفي صفحة ١٧٩ سطر ١٩ — قوله (والموت خير من فراق خِلّي) ضبطه بكسر

الخاء والصواب بضمها بمعنى الخليلة وبمعنى الصديق بلفظ واحد مع الجميع تقول (هو وهي وهن ُخلّتي) اما الخِلة بالكسر فلها معانٍ لا تناسب هنا ٠

وفي صفحة ١٨٠ سطر ٦ — قوله (شيخ يحامي دون بيض الخدر) ضبط (بيض) بكسر الباء جمع بيضاء فبيض الخدر هن النساء ولعل الصواب ان تضبط بفتح الباء جمع بيضة وكلمة (بيضة) هي التي تستعمل مع كلمة الخدر في كلامهم وبها يصفون الجارية المكنونة في خدرها فيقولون (بَيْضَةَ خِدْر) وقلما يقولون (بيضاء خدر) ٠

وفي صفحة ١٩٥ سطر ٥ — قوله (هذه دجلة قد جاءت بمدّ عظيم ُيرغب مثله) صوابه (يرهب مثله) لانه انما يحذره من النِّلدي في نزهتهما على دجلة وهي على هذه الحال من طغيان المد ٠ واعتلاج الأمواج ٠ على ان فعل (رغب) انما يتعدى بفي فيقال ُيرغبُ في مثله ٠٠

وفي صفحة ٢١٢ سطر ١٩ — قوله (ومذلّل اما القضيب فقدُّه) صوابه (ومدلل) بالدال المهملة من التدليل وهو الترفيه ٠ فالمدلل المرفّه الذي يتقلب في النعمة وبلهنية العيش ٠ ولا معنى للمذلل هنا ٠

وفي صفحة ٢١٧ سطر ١٠ — قوله :

(يا قمراً اقبل يسعى على دعصٍ من الاغصان مهزوز)

(الدعص) كثيب الرمل المجتمع وتشبه به الأرداف عادةً ٠ فعلى هذا لا يصح ان يكون قوله من الأغصان بياناً له : فصوابه (على غصنٍ من الأغصان مهزوز) او (على دعصٍ من الارداف مهزوز) ويوصف الردف بالاهتزاز والارتجاج كما في قول الشاعر صفحة ٢٢١ سطر ١٧

(مرتجّة في تهاديه أسافله مهتزّة في تثنّيه أعاليه)

وفي صفحة ٢١٩ سطر ٨ — قوله (وواضح النبت يحكي مزاجه الزنجبيل) صوابه وواضح الثغر ٠ اما النبت فلا معنى له هنا ٠ او لعل النبت محرف عن (الشُّنْب) جمع شنيب ٠ وسكنت نونه لضرورة الشعر ٠ والثغر الشنيب ما كان في اسنانه رقة وعذوبة وبرد ٠ ولا يخلو من تكلف ٠ فالأولى ان يكون صوابه (وواضح الثغر) كما قلنا ٠

وفي صفحة ٢٢٥ سطر ١٢ — قوله في قصيدة ابن منير الطرابلسي التي مطلعها (من ركّب البدر في صدر الرديني) الى ان قال (والساحر الغرّار بينهم) كذا بحائين مهملتين وصوابه (والساحر الساخر) الأولى بالمهملة من السحر والثانية بالمعجمة من السخرية اي انه يسخر من عاشقيه فيعدم ولا يني .

وفي صفحة ٢٢٨ سطر ١٤ — قوله (غيدٌ لسفك دم المحب تظافرت منها الظفائر) كذا بالظاء في الكلمتين وصوابه بالضاد فيهما والضفيرة الخصلة من الشعر جمعها ضفائر . ومعنى تضافرت تعاونت : الا ان يُدّعى بان فعل (تضافر) مما جاء بالظاء ايضاً كما قاله ابن مالك . ولكن هل تصح هذه الدعوى في الضفيرة ايضاً ؟ .

وفي صفحة ٢٣٢ سطر ٢ — قوله

(كواعباً من الدُمى لواعبا مشبهة الثغور لا القلائد)

صوابه (مشبهة الثغور بالقلائد) اي ان اسنان ثغورهن تشبه في حسن الانتساق والانتظام قلائدهن التي في اعناقهن . ولا معنى لقوله (مشبهة الثغور لا القلائد) .

وفي صفحة ٢٣٥ سطر ٦ — قوله (واحذر ضراماً بالعيون الخ) صوابه (واحذر مداماً بالعيون) اي سكراً وخمراً كما اعتاد الشعراء وصف العيون به و بامثاله كالذبول والفتور والنعاس . وليس من عادتهم ان يصفوها بالنار ولا بالضرام الذي معناه الاشتعال .

وفي صفحة ٢٣٨ سطر ١٦ — قوله

(فتعجبتُ من سُراها فقالت غير مستطرف سُرى الاقمار)

غير مستطرف بمعنى غير مستظرف وغير مستحسن . ولا معنى له هنا وانما المناسب ان يقال (غير مستغرب سُرى الاقمار) فمستطرف محرّفة عن (مستغرب) .

وفي صفحة ٢٥٤ سطر ٨ — قوله

(لم اطو بحر نداك — مع قربي — رِقَلى الا مخافة موجه المتراكب)

لا معنى لقوله (لم اطو بحر نداك) فصوابه لم (أَجْوَ) من جَوِيَ الشيءَ اذا كرهه ومثله اجتوى البلد كره المقام به وان تيسرت له فيه اسباب النعمة . وهذا عين

ما أراده الشاعر في قوله (لم اجو بحر نداك الخ) اي انني لم اكره نداك والاقامة في ظل جدواك بغضاً ونفرةً منه وانما انا كرهته مخافة ان اغرق في موجه الطامي .

وفي صفحة ٢٥٤ سطر ١١ — قوله

(ثلاثة منعتها عن زيارتنا وقد طوى الليل جفن الكاشح الحنق)

الظاهر من قوله (طوى الليل جفن الكاشح) ان الكاشح يعني الرقيب كان نائماً لكن لامعنى لقوله بعدُ معدداً الثلاثة المانعة للزيارة .

(نور الجبين ووسواس الحليّ وما يمسُّ اردانها من عنبر عبق)

فان هذه الاشياء لا تعود مانعة للزيارة ما دام الرقيب نائماً . اما اذا كان يقظان فان النور والصوت والطيب تنبهه وتجعله يشعر بالزيارة . فصواب الشطر هكذا (وقد دجى الليل خوف الكاشح الحنق) و (خوف) منصوب لكونه مفعولاً لاجله . والمعنى حينئذ : انها انما امتنعت عن الزيارة في هذه الحالات الثلاث خشية انتباه الكاشح وتفطنه للامر .

وفي صفحة ٢٦٦ سطر ١ — قوله

(قالت فان الليث عالٍ به قلت فسيفي مرهف باتر)

(عالٍ به) اي بالقصر وتعني بالليث حماتها من ابيها واخوتها . وعلى هذا فلا معنى لكلمة (عالٍ) فالصواب (عادٍ) من عدا عليه الاسد وثب عليه وافترسه . ومن اسماء الاسد العادي .

وفي صفحة ٢٧١ سطر ٣ هنا بيت ساقط من القصيدة أشير اليه بصف من النقط وقد قال المصحح ان البيت ساقط من الاصل ولم يعثر عليه وقبله .

(تلك لحاظٌ اعين ام أسد غيلٍ وثبتْ)

وقد خطر لي ان البيت الساقط هو بهذا المعنى :

(صحّ هواك في فوآ دِ عاشقيك وثبتْ)

ودلني عليه قوله قبله في صفحة ٢٧٠ سطر ٨

(يا من لحَظاته أسودٌ وثبتْ قد صحّ هواك في فوآدي وثبتْ)

المغربي

اخبار الحمقى والمغفلين

افضنا في الجزء الماضي في وصف كتاب العلامة الكبير ابي الفرج بن الجوزي في اخبار الحمقى والمغفلين ونقلنا شذرات من اوله تقف بالقارىء على روح العصور التي سلفت حتى عهد المؤلف وتمثل أسلوبهم في الكلام وها نحن اولاء ننقل نبذة أخرى منه تجمع بين الأدب والفكاهة والحكمة .

ذكر المؤلف في الباب التاسع من كتابه اخبار جماعة من العقلاء صدرت عنهم افعال الحمقى واصروا عليها فصاروا بذلك الاصرار حمقى ومغفلين ، قال من جملته : وقد جرى من خلق كثير من العقلاء ما يشبه التغفيل الا انهم لم يقصدوا ذلك فذكرت منهم طرفاً لشبهه بالتغفيل ، فمن ذلك ما حكي عن بعض المغنين قال : حضرت عند امير لاغنيه فجرى حديث بعض الوزراء فذكرت من محاسنه وكرمه شيئاً لا حركة به ليفعل مثله ثم غنيته :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

فقال لي : قبحك الله ما هذه المعاشرة فاستيقظت وحلفت اني ما قصدته .

ومثل هذا جرى لعبد الله وحسن بن حسين فانه كان يساير السفاح وينظر الى مدينته التي بناها ظاهر مدينة الانبار فأنشده :

الم تر مالكاً اضحى يبني بيوتاً نفعها لبني بقيله
أيرجي ان يعمر عمر نوح وامر الله يأتي كل ليله

فغضب فاعتذر اليه .

وبينا عيسى بن موسى يساير ابامسلم يوم ادخاله على المنصور تمثل عيسى فقال :

سيأتيك ما افنى القرون التي مضت وما حل في اكباد عاد وجرهم

فقال ابو مسلم : هذا مع الامان الذي أعطيت ، فقال عيسى : اعتقت ما أملك ان كان هذا شيئاً أضمرته .

ولما حوصر الامين قال لجاريته : غني فغنت :

كليب لعمري كان اكثر ناصراً وايسر جرماً منك ضرج بالدم

فاشتد ذلك عليه ثم قال : غني فغنت غيره :

شكت فراقهمُ عيني فأرّقها ان التفرق للاحباب بكاء

فقال : لعنك الله اما تعرفين غير هذا فغنت :

ما اختلف الليل والنهار وما دارت نجوم السماء في الفلك

الا لنقل السلطان من ملك غاب تحت الثرى الى ملك

فقال : قومي فقامت فعثرت بقدح بلور فكسرته فاذا قائل يقول : قضي الامر الذي فيه تستفتيان . فلما دخل المأمون على زبيدة ليعزيها في الامين قالت : تسليني في غدائك اليوم عندي فتغدى . واخرجت اليه من جواري الامين من تغنيه فغنت :

همُ قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوماً بكسرى مرازبه

فوثب مغضباً . فقالت له : يا امير المؤمنين حرمنى الله اجره ان كنت علمت او دَسَستُ اليها . فصدقها .

ولما فرغ المعتصم من بناء قصره دخل الناس عليه فاستأذنه اسحق بن ابراهيم ان ينشده فأنشد شعراً في صفته وصفة المجلس الا ان اوله :

يا دار غيّرك البلى ومحاك يا ليت شعري ماالذي ابلاك

فتطير المعتصم وعجب الناس كيف فعل هذا اسحق مع فهمه فقاموا وخرب القصر وما اجتمع فيه بعد ذلك اثنان .

وانشد الصاحب بن عباد عضد الدولة مديحة له فيه :

ضممت على ابناء تغلب تاءها فتغلب ما كر الجديدان تغلب

فتطير عضد الدولة من قوله تغلب وقال : نعوذ بالله فتيقظ الصاحب من قوله وتغيرلونه .

وقال اسحق المهلبي : دخلت على الواثق فقال : غني صوتاً عربياً فقلت :

(يادار ان كان البلا محاك) قال : فتبينت الكراهية في وجهه وندمت .

ودخل ابو النجم العجلي على هشام بن عبد الملك فأنشده ابياتاً حتى بلغ فيها ذكر الشمس فقال : « وهي على الافق كعين الاحول » فأمر ان يوجأ في عنقه وأخرج .

ودخل أرطاة على عبد الملك بن مروان وكان شيخاً كبيراً فاستنشده ما قاله في طول عمره فأنشده

رأيت المرء تأكله الليـالي كأكل الارض ساقطة الحديد
وما تبغي المنيـة حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد
فاعلم انها ستكر حتى توفي نذرها بابي الوليـد

فارتاع عبد الملك وظن انه عناه وعلم ارطاة انه زل فقال : يا امير المؤمنين اني اكنى بابي الوليد وصدقه الحاضرون .

ودخل ذو الرمة على عبد الملك فأنشده :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كُلى مفرية سرب

واتفق ان عيني عبد الملك كانتا تسيلان فظن انه عرّض به فغضب وقطع انشاده وأخرج . ودخل شاعر على عبد الله فأنشده :

شبَّ بالليل من عزيزة نار اوقدتها واين منك القرار

وكان اسم والدة عبد الله بن طاهر عزيزة فتغامز الحاضرون واعلموه بهفوته فأمسك .

ودخل رجل على عقبة بن مسلم الازدي فأنشده :

يا ابنة الازدي قلبي كئيبُ مستهام عندكم ما يؤوبُ
ولقـد لاموا فقلت دعوني ان من تلحون فيـه حبيب

فتغير وجه عقبة فتطير الشاعر فقطع .

ودخل الرئيس ابو علي العلوي يوماً على بعض الرؤساء فتحادثا فجاء غلام لذلك الرجل فقال : يا سيدي اي الخيل نسرج اليوم فقال نسرج العلوي فقال له ابو علي : احسن اللفظ يا سيدي ، فاستحيا وقال : هفوة .

واجتاز المرتضى ابو القاسم نقيب العلويين يوم جمعة على باب جامع المنصور عند المكان الذي يباع فيه الغنم فسمع المنادي يقول : نبيع هذا التيس العلوي بدينار فظن انه قصده بذلك فعاد متألماً من المنادي فكشف عن الحال فوجد ان التيس اذا كان في رقبته حلمتان سمي علوياً نسبة لشعرتي العلوي المسبلتين على رقبته . ونحو هذا جرى لابي الفرج العلوي فانه كان اعرج احول فسمع منادياً ينادي على تيس كم عليكم في هذا التيس العلوي الاعرج الاحول ؟ فلم يشك انه عناه فراغ عليه ضرباً الى ان تبين ان التيس احول اعرج فضحك الحاضرون مما اتفق .

وقال ابو الحسن ابن الصابي : دخل بعض اصدقائنا الى رجل قد ابتاع داراً في جواره فسلم عليه واظهر الانس بقربه وقال : هذه الدار كانت لصديقنا واخينا الا انك بحمدالله اوفى منه كرماً واوسع نفساً وصدراً والحمدلله الذي بدلنا من هو خير منه وانشده

(بدل بالبازي غراب ابقع)

فضحك منه الرجل حتى استلقى وخجل وصارت نادرة يولع الرجل بها ٠

وهنا ننقل من ابن الجوزي بعض نكات المغفلين من القراء والمصحفين : ان رجلاً قدم ابناً له الى القاضي فقال : اصلح الله القاضي ان هذا ابني يشرب الخمر ولا يصلي فقال له القاضي : ماتقول ياغلام فيما حكاه ابوك عنك قال : يقول غير الصحيح اني اصلي ولا اشرب الخمر فقال ابوه : أصلح الله القاضي أتكون صلاة بلا قراءة فقال القاضي ياغلام تقرأ شيئاً من القرآن قال : نعم وأجيد القراءة فقال بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب ربابا بعدما شابت وشابا

ان دين الله حق لا اري فيه ارتيابا

فقال ابوه والله أيها القاضي ما تعلم هاتين الآيتين الا البارحة لانه سرق مصحفاً من بعض جيراننا ٠ فقال القاضي قبحكم الله احدكم يقرأ كتاب الله ولا يعمل به ٠

وكان رجل كثير المخاصمة لامرأته وله جار يعاتبه على ذلك فلما كان في بعض الليالي خاصمها خصومة شديدة وضربها فاطلع عليه جاره فقال : يا هذا اعمل معها كما قال الله تعالى اما إمساك ايش اسمه او تسريح ما ادري ايش ، يريد الآية الكريمة (إمساك بمعروف او تسريح بإحسان) ٠

ومما رواه في اخبار المغفلين من رواة الحديث : كان حيان بن بشر قد تولى قضاء بغداد وقضاء اصبهان وكان من جملة رواة الحديث فروى يوماً ان عرفجة قطع انفه يوم الكلام وكان مستمليه رجلاً من اهل كجة فقال : ايها القاضي انما هو الكُلاب فأمر بحبسه فدخل الناس اليه فقالوا : ما دهاك فقال : قطع انف عرفجة في الجاهلية وابتليت انا به في الاسلام ٠

ومما رواه من اخبار المغفلين من الامراء والولاة : جاء رجل من اشراف الناس الى بغداد فأراد ان يكتب الى ابيه كتاباً بخبره فلم يجد احداً يعرفه فانحدر بالكتاب

الى ابيه وقال : كرهت ان يبطيء عليك خبري ولم اجد احداً يجيء بالكتاب فجئت انا به ودفعه اليه . قال ابو عثمان الجاحظ : كان فزارة صاحب مظالم البصرة وكان أطول خلق الله لحية وأقلهم عقلاً وهو الذي قال فيه الشاعر :

ومن المظالم ان تكو ن على المظالم يا فزاره

واخذ يوماً من شعره فدعا بمرآة فنظر فيها فقال للحجام : اما شعر رأسي فقد جودت اخذه ولكنك والله يا ابن الخبيثة سجت على شاربي ووضع يده عليه . وسمع فزاره يوماً صياحاً فقال : ما هذا الصياح فقال قوم : يتكلمون في القرآن فقال : اللهم أرحنا من القرآن . قال المؤلف : وبلغنا ان يزيد بن المهلب ولى اعرابياً على بعض كور خراسان فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر وقال : الحمد لله ثم ارتفع عليه وقال : أيها الناس اياكم والدنيا فانكم لم تجدوها الا كما قال الله تعالى وما الدنيا بباقية لحي وما حيٌّ على الدنيا بباقي

فقال كاتبه : أصلح الله الامير ، هذا شعر قال : فالدنيا باقية على احد قال : لا قال : فيبقى عليها احد قال : لا قال : فما كلفتك اذن . وبلغنا ان بعض العرب خطب في عمل وليه فقال في خطبته : ان الله خلق السموات والارض في ستة اشهر فقيل له في ستة ايام فقال : والله اردت ان اقولها ولكن استقللتها . قال : حدثنا ابو بكر النقاش قال : كتب كاتب منصور بن النعمان اليه من البصرة انه أصاب لصاً فكره الاقدام على قطعه دون الاستطلاع على امره وانه خياط فكتب إقطع رجله ودع يده فقال : ان الله امر بغير ذلك فكتب اليه أنفذ ما أمرتك به فان الشاهد يرى مالا يرى الغائب . واتى منصوراً نخاس ببغل فقال : هذا شراؤه اربعون ديناراً فقال : لا تربح عليّ شيئاً هذه المرة ، يا غلام اعطه الفاً وخمسمائة دينار . ودخل على المأمون فقال : يا امير المؤمنين الموت فاش بالكوفة ولكنه سليم . ودخل على احمد بن ابي حاتم وهو يتغدى برؤوس فقال له احمد هلم ياابا سهل فانها رؤوس الرُّضَّع فقال هنيئاً أطعمنا الله واياك من رؤوس اهل الجنة . وقال له المأمون يامنصور قد مدت دجلة فأشر علينا فقال تكري مائة سقاء يستقون ذا الماء يرشون الطريق فقال له المأمون حرت فيك . كتب حيان عامل مصر الى عمر بن عبدالعزيز ان الناس قد أسلموا فليس من جزية فكتب اليه عمر ابعد الله الجزية ان الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً للجزية .

حدثنا ابو علي محمد بن الحسن الكاتب قال كنت اكتب لابي الفضل بن غلاب وهو بأرّجان يتقلدها فقيل له قد قدم ابو المنذر النعمان بن عبدالله يريد فارس والوجه ان تلقاه في غد وكان ابن الفضل يحمّ حمّى الربع فقال كيف اعمل وغداً يوم حمّاي ولا اتمكن من الرجل ولكن الوجه ان أحمّ الساعة حتى اقدر عليه غداً يا غلام هات الدواح حتى أحم الساعة فاذا عنده انه اذا اراد ان يقدم نوبة الحمى ويصح غداً تأخرت عنه الحمى . ودخل شجاع بن القاسم على المستعين مرة وطرف ثيابه مخرق فسأله عن سبب ذلك فقال اجتزت في الدرب وكان فيه كلب فوطئت قفاه فخرق دني فما تمالك المستعين ان ضحك .

وروى ابو الحسن محمد بن هلال الصابي قال خرج قوم من الديلم الى اقطاعهم فظفروا باللص المعروف بالعراقي فحملوه الى الوزير ابي عبدالله المهلبي فتقدم باحضار ابي الحسين احمد بن محمد القزويني الكاتب فكان ينظر في شرطة بغداد فقال المهلبي: هذا اللص العيار العراقي الذي عجزتم عن اخذه فخذه واكتب خطك بتسليمه فقال السمع والطاعة الى ما يأمر به الوزير ولكنك تقول ثلاثة وهذا واحد فكيف اكتب خطي بتسليم ثلاثة فقال ياهذا ، هذا العدد صفة لهذا الواحد . فكتب يقول احمد بن محمد القزويني الكاتب تسلمت من حضرة الوزير اللص العيار العراقي وهو رجل واحد وكتب بخطه في التاريخ فضحك الوزير وقال لنصراني هناك قد صحح القزويني مذهبكم في تسليم هذا اللص .

وحضر بعض حكماء الهند مع وزير ملكهم وكان الوزير ركيكاً فقال للحكيم ما العلم الاكبر قال : الطب قال : اني اعرف من الطب اكثره قال : فما دواء المبرسم ايها الوزير قال دواؤه الموت حتى تقل حرارة صدره ثم يعالج بالادوية الباردة ليعود حياً قال ومن يحييه بعد الموت ؟ قال هذا علم آخر وجد في كتاب النجوم ولم انظر في شيء منه الا في باب الحياة واني وجدت في كتاب النجوم ان الحياة للانسان خير من الموت فقال الحكيم أيها الوزير الموت على كل حال خير للجاهل من الحياة . وانشد عبد الله بن فضلويه عامل قرمسين في مجلسه والمجلس غاص باهله هذا البيت :

يوم القيامة يوم لا دواء له　　الا الطلاء والا اللهو والطرب

فقال بعض الحاضرين انما هو يوم الحجامة فقال اعذروني اني لا أحسن النحو .

وذكر ابن الجوزي في اخبار المغفلين من القضاة حدث عبد الرحمن بن مسهر قال ولاني

القاضي ابو يوسف القضاء بجُبّل وبلغني ان الرشيد منحدر الى البصرة فسألت اهل جبّل ان يثنوا عليّ فوعدوني ان يفعلوا ذلك وتفرقوا فلما آيسوني من انفسهم سرحت لحيتي وخرجت فوقفت له فوافى وابو يوسف في الحراقة فقلت ياامير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبّل قد عدل فينا وفعل وصنع وجعلت أثني فرآني ابو يوسف فطأطأ رأسه وضحك فقال له هرون مم تضحك فقال ان المثني على نفسه هو القاضي فضحك هرون حتى فحص برجليه وقال هذا شيخ سخيف سفلة فاعزله فعزلني ·

حدثنا الحسين بن جعفر الكوكبي قال حدثنا ابوالفضل الربعي قال حدثنا ابي قال سأل المأمون من أهل حمص عن قضاتهم قال ياامير المؤمنين ان قاضينا لا يفهم واذا فهم وهم قال ويحك وكيف هذا قال قدم اليه رجل رجلاً فادعى عليه اربعة وعشرين درهماً فأقر له الآخر فقال له: اعطه قال اصلح الله القاضي ان لي حماراً اكتسب عليه كل يوم اربعة دراهم أنفق على الحمار درهماً وعليّ درهماً وادفع له درهمين حتى اذا اجتمع ماله غاب عني فلم أره فانفقها وما اعرف الا ان يحبسه القاضي اثني عشر يوماً حتى أجمع له اياها فحبس صاحب الحق حتى جمع ماله واعطاه فضحك المأمون وعزله ·

حدثنا ابوبكر النقاش قال انبأنا ابو حاتم قال حكى ابو الخير الخياط عن بعض أصحابه قال دخلت تاهورت فاذا فيها قاض من اهله وقد اتى رجل جنى جناية ليس لها في كتاب الله حد منصوص ولا في السنة فأحضر الفقهاء فقال ان هذا الرجل جنى جناية وليس لها في كتاب الله حكم معروف فما ترون فقالوا باجمعهم : الامر لك قال فاني رأيت ان اضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات ثم افتحه فما خرج من شيء عملت به قال له وفقت ففعل بالمصحف ما ذكر ثم فتح فخرج قوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) فقطع انف الرجل وخلى سبيله ·

وذكر في باب المغفلين من الكتاب والحجاب : نابت الحجاج في صديق له مصيبة ورسول عبد الملك شامي عنده فقال الحجاج ليت انساناً يعزيني بابيات فقال الشامي اقول قال قل فقال : وكل خليل سوف يفارق خليله بموت او بصلب او يقع من فوق البيت او يقع البيت عليه او يقع في بئر او يكون شيئاً لا نعرفه فقال الحجاج قد سليتني عن مصيبتي باعظم منها في امير المؤمنين اذ وجّه مثلك رسولاً ·

كتب رجل من البصرة الى ابيه كتبت اليك ياابي ونحن كما يسرك والله بحوله وقوته لم يحدث علينا بعدك الا كل خير الا ان حائطاً لنا وقع على امي واخي الصغير واختي والجارية والحمار والديك والشاة ولم يفلت غيري ·

وذكر في اخبار المغفلين من المؤذنين · كان سعيد بن سنان ابو مهدي مؤذناً بجامع حمص وكان شيخاً صالحاً يسحّر الناس في رمضان فيقول في تسحيره يا اهل حمص استحثوا قُديراتكم عجلوا في اكلكم قبل انا أُذن فيسخّم الله وجوهكم · ومن اخبار المغفلين من الائمة : مر رجل بامام يصلي بقوم فقرأ آلم غلبت الترك فلما فرغ قلت يا هذا انما هو غلبت الروم فقال كلهم أعداء لا نبالي من ذكر منهم · قال الجاحظ اخبرني ابو العنبس قال كان رجل طويل اللحية احمق جارنا وكان أقام بمسجد المحلة يعمره و يؤذن فيه و يصلي وكان يعتمد السور الطوال و يصلي بها فصلى ليلة بهم العشاء فطوّل فضجوا منه وقالوا اعتزل مسجدنا حتى نقيم غيرك فانك تطول في صلاتك وخلفك الضعيف وذو الحاجة فقال لا اطول بعد ذلك فتركوه فلما كان من الغد أقام وتقدم فكبر وقرأ الحمد ثم افكر طويلاً وصاح بهم ايش تقولون في عبس فلم يكلمه احد الا شيخ أطول لحية منه وأقل عقلاً فانه قال كيسة مرّ فيها ·

ومن اخبار المغفلين من الاعراب قدم اعرابي على بعض اقاربه بالبصرة فدفعوا له ثوبا ليقطع منه قميصاً فدفع الثوب الى الخياط فقدّر عليه ثم خرق منه قال لم خرقت من ثوبي قال لا يجوز خياطته الا بتخريقه وكان مع الاعرابي هراوة من ارز فشج بها الخياط فرمى بالثوب وهرب فتبعه الأعرابي فأنشد يقول :

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله   فيما مضى من سالف الاحقاب
من فعل علج جئته ليخيط لي   ثوباً فمزقه كفعل مصاب
فعلوته بهراوة كانت معي   فسعى وأدبر هارباً للباب
أيشق ثوبي ثم يقعد آمناً   كلا ومنزل سورة الأحزاب

خرج قوم من قريش الى ارضهم وخرج معهم رجل من بني غفار فأصابهم ريح عاصف يئسوا معها من الحياة ثم سلموا فأعتق كل رجل منهم مملوكاً فقال ذلك الاعرابي اللهم لا مملوك لي أعتقه ولكن امرأتي طالق لوجهك ثلاثاً ·

كان رجل من الاعراب يعمل في معمل الذهب فلم يصب شيئاً فأنشأ يقول :

يا رب قدّر لي في هماس　　وفي طلابي الرزق بالتماس

صفراء تجلو كـل النعاس

فضربته عقرب صفراء اسهرته طول ليله وجعل يقول : يا رب الذنب لي اذ لم أبين لك ما أريد اللهم لك الحمد ولك الشكر فقيل له : ما تصنع اما سمعت انه يقول : « ولئن شكرتم لأزيدنكم » فوثب جزعاً وقال لا اشكر الا شكراً (؟) قال بعض الاعراب : لنا تمر تضع التمرة في فيك فتبلغ حلاوتها الى كعبك . قرأ امام في صلاته إنا أرسلنا نوحاً الى قومه فأرتج اليه وكان خلفه اعرابي وقال : لم يذهب نوح فأرسل غيره وأرحنا . كان اعرابي يقول : اللهم اغفر لي وحدي فقيل له : لو عممت بدعائك فان الله واسع المغفرة فقال اكره ان اثقل على ربي . كان لبعض المغفلين حمار فرض الحمار فنذر ان عوفي حماره صام عشرة ايام فعوفي الحمار فصام فلما تمت مات الحمار فقال يا ربي كأنك تلهيت بي ولكن رمضان الى هنا يجيء والله لاخذن من تقاوته عشرة ايام لا اصومها . كان اعرابي يصلي فأخذ قوم يمدحونه ويصفونه بالصلاح فقطع صلاته وقال مع هذا اني صائم . قال بعض الاعراب اللهم أمتني ميتة ابي قالوا وكيف مات ابوك قال اكل بلحاً وشرب عسلاً ونام في الشمس فلقي الله وهو شبعان ريان دفيان .

وصف بعض مدن الشام

« قبل تسعمائة عام »

« سافر ناصر خسرو القبادياني المروزي من أدباء فارس من بلاده سنة ٤٣٧ هـ (١٠٣٥م) ووصف البلاد التي مرَّ بها في سورية وفلسطين ومصر وبلاد العرب وبلاد الفرس حتى عاد الى وطنه سنة ٤٤٤ هـ (١٠٤٢م) وقد علق ما رآه بالفارسية في اوراق دعاها كتاب السفر او الرحلة (سفرنامه) ورسم بقلمه بعض الاماكن المقدسة التي رآها كالحرمين الشريفين والحرم القدسي فترجم رحلته بالافرنسية العلامة شيفر (Charles Scheffer) من علماء المشرقيات الفرنسيس ونشرها سنة ١٨٨١ على نفقة مدرسة اللغات الشرقية في باريز مشفوعة برسوم المؤلف الفارسي التي رسمها بقلمه فآثرنا ترجمة الفصل المتعلق ببلاد الشام التي اجتاز بها ليعلم من وصفه الفرق بين حالها امس وحالها اليوم » .

محمد كرد علي

« مروج ومنبج »

وصلنا يوم السبت الثاني من شهر رجب ٤٢٨ (٢ شباط ١٠٤٧) الى مدينة سروج واجتزنا بعد يومين الفرات فوصلنا الى منبج اول مدينة من ارض الشام وكنا في اليوم الثاني من شهر بهمان والهواء جيد وليس من بناء حول هذه المدينة .

« حلب وقنسرين وسرمين »

وارتحلنا من منبج الى حلب وبينها وبين ميافارقين مئة فرسخ (فرسنك) وحلب على ما رأيت بلدة طيبة يحيط بها سور متين قدّرت علوه بخمسة وعشرين ارشاً وقد بنيت قلعتها العظيمة بأسرها على الصخر ، وعندي ان حلب في عظمها كمدينة بلخ وهي عامرة جداً ودورها متصلة ويتقاضون فيها رسماً على البضائع المحمولة من سورية وبلاد الروم ودياربكر ومصر والعراق . وفي حلب تجار وباعة من هذه الاقطار المختلفة . ولها اربعة ابواب : باب اليهود و باب الله و باب الجنان و باب انطاكية . ورطلها المستعمل هو الرطل الظاهري و يساويَ وزنه اربعمائة وثمانين درهماً .

واذا اتجه المرء من حلب صوب الجنوب يصل الى مدينة حماة على عشرين فرسخاً

وبعدها حمص ومن حلب الى دمشق خمسون فرسخاً ومن حلب الى انطاكية اثنا عشر فرسخاً ومثل ذلك من حلب الى طرابلس (؟) ويقال ان المسافة الى القسطنطينية هي مائتا فرسخ . وفي اليوم الثالث عشر من شهر رجب (١١ شباط) سافرنا من حلب وبعد ان قطعنا ثلاثة فراسخ بلغنا قرية جند قنسرين ومن الغد قطعنا ستة فراسخ فبلغنا سرمين وهي مدينة لا سور لها .

« معرة النعمان »

وبعد ستة فراسخ (عن سرمين) نقول لك معرة النعمان هاهنا وهي مدينة آهلة بالسكان كثيراً ويحيط بها سور من حجر وشاهدت بالقرب من باب هذه المدينة سارية من الحجر زبرت عليها كتابة بحروف ليست بعربية فسألت احدهم عن ذلك فأجابني ان هذا طلسم يحول دون العقارب ودخول المدينة والبقاء فيها . فاذا جيء بعقرب من الخارج وأطلق يفرّ ويبتعد . وقدرت ان هذه السارية كان علوها عشرة آرش .

وأسواق المعرة طافحة بالارزاق والخيرات . وجامعها الاعظم مبني على أكمة قامت وسط المدينة ومن اي جهة اتجهت الى هذا الجامع كان عليك ان ترتقي سلماً ذا ثلاث عشرة درجة . ولا يزرع في هذه الجهات الا الحنطة . وتغل غلة حسنة ويكثر في قراها اشجار الزيتون والتين والفستق واللوز والكرمة . ومياه المعرة تجمع من المطر او تمتاح من الآبار .

وحاكم (؟) هذه المدينة رجل اعمى اسمه ابو العلاء المعري كان من ابناء الثراء وله عدد عظيم من العبيد والخدم والظاهر ان جميع سكان المدينة خدمته اما هو فقد تزهد ولبس ثياباً من الصوف الخشن وانقطع في داره فلا يخرج منه بتاتاً وخصص لطعامه اليومي نصف منّ من خبز الشعير لا يأكل سواه . وبلغني ان باب منزله مفتح على الدوام وان نوابه ورجاله يقضون مصالح الناس ولا يرجعون اليه الا في مهمات المسائل وهو يجود بالاحسان من ماله على كل من قصده ويصوم الدهر ويسهر الليل ولا يهتم لامور الدنيا . وقد بلغ هذا الرجل العظيم في الشعر والادب درجة من الكمال أجمع اهل الادب في الشام والمغرب والعراق على الاعتراف بها وانه لم يبلغ احد في هذا العصر ما بلغه من المكانة في هذا الشأن .

ألف ابو العلاء كتاباً سماه الفصول والغايات أدخل فيه جملاً معماة وكنايات غلفها بانشاء بليغ غريب بحيث لا يتأتى الآن فهم بعضها والواجب ان يقرأ كتابه عليه حتى يشرحه . وقد انتقد عليه في هذا الكتاب بانه حاول انتقاد القرآن . ويحيط بهذا الرجل مائتا طالب جاؤا من البلدان المختلفة وانقطعوا اليه يدرسون تحت نظره الادب والشعر . ونمي اليّ بانه نظم اكثر من مئة الف رباعية (Distique بيتان من الشعر) قال له بعضهم ان الله تبارك وتعالى قد اغناك ورزقك رزقاً عظيماً فلما ذا توزعه على الناس ولا تتمتع به . فأجابه انا لا املك الا ما اكلت . ولما وصلت المعرة كان ابو العلاء حياً يرزق .

« كويمات وحماة »

ووصلنا يوم ١٥ رجب ٤٣٨ هـ (١٥ شباط ١٠٥٧ م) الى كويمات ثم الى حماة وهي مدينة جميلة آهلة كثيراً بالسكان بنيت على شاطئ نهر العاصي وسمي هذا النهر بالعاصي لانه يجري الى بلاد الروم ويخرج من بلاد الاسلام ويدخل في بلاد غير المؤمنين فهو بذلك عاصٍ . وقد أقيمت على ضفافه نواعير كثيرة .

ومن حماة طريقان يذهب الواحد الى الشاطئ الغربي من الشام ويتجه الآخر جهة الجنوب فيصل دمشق وسرنا نحن في الطريق الاول وقد رأينا في الجبل عيناً أكد لنا بعضهم انها تجري كل سنة ثلاثة ايام بعد اليوم الخامس عشر من شعبان ثم لا يفيض ماؤها الى السنة المقبلة ويزورها عدد عظيم من الزوار يتقربون الى الله بعبادتهم وقد أقيمت في ذلك المكان أبنية عظيمة وحفرت آبار .

« طرابلس الشام »

وبعد ان ابتعدنا عن هذا المكان دخلنا في سهل مغشى على طوله بالنرجس الابيض وقد اضطرتنا كثرته الى السفر فبلغنا عرقة وعلى فرسخين منها وصلنا الى البحر فاتجهنا الى الجنوب وسرنا خمسة فراسخ الى طرابلس . والطريق من حلب الى طرابلس خمسون فرسخاً . وكان وصولنا الى طرابلس في ٥ شعبان سنة ٤٣٨ . وضواحي طرابلس مغشاة بالحقول المزروعة والبساتين والحدائق . وكان يري فيها قصب السكر والبرتقال والليمون والموز والنخيل وكان يوم وصولنا موسم عصير قصب السكر . يحيط

البحر بالمدينة من ثلاثة اطرافها وتصل اليها امواجه حال هياجه حتى تبلغ اعلا الاسوار . ويحيط بالقسم الذي يمتد الى اليابسة سور وخندق عظيم . والى جهة الشرق يفتح باب من الحديد صلب للغاية . والجدران وما يتبعها من الاسوار كلها من الحجر النحيت وهناك وضعت المجنيقات على اعلا الاسوار وكان اهل طرابلس يخشون غارات الروم في سفنهم . ومساحة المدينة الف آرش . وبيوت المدينة ذات اربع وخمس واحياناً ست طبقات . والاسواق والطرق جميلة ونظيفة للغاية . اذا رأيتها ظننتك أمام قصر مزين أجمل زينة . ورأيت في طرابلس جميع اصناف القوت والأثمار وجميع المآكل التي رأيتها في فارس . ولكنها كانت وافرة مئة ضعف .

والمسجد الاعظم قائم في وسط المدينة وهو جميل للغاية مزدان باحسن زينة ومبني على غاية القوة والمتانة . وفي صحنه قبة عظيمة تعلو حوضاً من المرمر في وسطه فوارة يخرج ماؤها من منقار نحاس اصفر . وفي السوق نبع يخرج ماؤه غزيراً من خمسة انابيب يستقي منها جميع السكان . وما فاض يجري على الرمل ثم يصب في البحر . ويقدر عدد الذكور في طرابلس على ما روي لي بعشرين الف نفس . وفي اعمال طرابلس كثير من القرى ويصنع فيها كاغد جيد يشبه ورق سمرقند الا انه احسن صنعاً . ويتولى امر طرابلس سلطان مصر وقد قيل لي ان ذلك يرد الى العهد الذي جاء فيه الروم من بيزنطية وحاولوا الهجوم على هذا الحصن فدفعهم المسلمون المصريون وردوهم وهزموهم شر هزيمة . وقد ابطل سلطان مصر الضرائب الموضوعة على المدينة ولا يزال ينفق على الحامية التي فيها . وللحامية قائد وُكل اليه امر رد الاعداء عنها . وطرابلس الشام مستودع تجاري ترد اليه السفن من بلاد اليونان والافرنج والاندلس والمغرب . ومن حقوق السلطان جباية العشور التي ينفق منها على الجنود . وللسلطان في طرابلس سفن تذهب الى اليونان وصقلية والمغرب . وسكان طرابلس شيعيون وقد أنشأ الشيعة في كل البلاد جوامع جميلة . ولهم في طرابلس ابنية تشبه الرُبُط ولكنها غير مسكونة . ويسمونها المشاهد . ولا يوجد خارج طرابلس سوى اثنين او ثلاثة من هذه المشاهد .

* * *

« القلمون وترابزن وجبيل »

ثم سافرنا من طرابلس جنوباً على شاطئ البحر فوصلنا على مسافة فرسخ الى حصن اسمه القلمون في داخله نبع ماء ووصلنا الى ترابزن (لعلها البترون) وهي على خمسة فراسخ من طرابلس ومنها الى جبيل وقد بنيت على شكل زاوية قاعدتها ساحل البحر . و يحيط بها سور عالٍ متين للغاية وقامت حواليها النخيل وغيره من اشجار البلاد الحارة ورأيت ولداً يحمل بيده وردة بيضاء وأخرى حمراء قد تفتحت وكان الوقت في اليوم الخامس من شهر شباط من سنة ٤١٥ للتاريخ الفارسي .

« بيروت »

وسرنا من جبيل الى بيروت وقد رأيت فيها قوساً من حجر والطريق تحته وقدرت ان علوه خمسون كزاً وسمكه بحيث لا يستطيع رجلان ان يحيطا به الا بصعوبة وقد بُني على هذه الدعائم حنايا من الصخر الضخم لاتلتحم اجزاؤها بملاط ولا بجبس وقد قام القوس الاعظم في الوسط و يزيد علوه على الحنايا خمسين ارشاً . وقدرت ان علو كل حجر من الحجارة التي يتألف منها سبعة ارشات في عرض اربعة ووزنه نحو سبعة آلاف منٍّ وقد نقشت جميع هذه الاحجار وزينت بنقوش بديعة قلما يشاهد لها مثيل حتى في الصور على الخشب ولم يبق من بناء في جوار هذا المصنع . وقد سألت عن ذلك فأجبت بان هذا البناء كان باب حديقة فرعون وان تاريخه قديم للغاية . وجميع السهل المجاور له تغشاه عمد وسوار وتيجان منقوشة من الرخام النحيت ومنه المدور والمربع والمسدس والمثمن . والحجر من الصلابة بحيث لا يعمل فيه الحديد وليس في الجوار من جبل حتى يقال انه استخرج هذا الحجر منه . وهناك حجر آخر يظهر انه صنعي والحديد لا يفله ايضاً . وفي ولايات الشام اكثر من خمسمائة الف عمود وتاج وقاعدة وما من يعلم فيم كان استخدامها ولا من اين جلبت .

« صيدا »

ورحلنا من بيروت الى صيدا وهي مدينة على ساحل البحر تحيط بها حدائق واسعة مغروسة بقصب السكر و يحميها سور من الصخر فيه ثلاثة ابواب وجامعها الاعظم جميل وله رواق خاص وارضه مغطاة كلها بالحصر المزينة بالصور المختلفة . والسوق جميل

ومزدان ألطف زينة بحيث ظننت لما رأيته انه زين لقدوم ملك او لوصول نبأ سار٠ وسألت عن علة هذه الزينة فقيل لي ان هذة عادة المدينة وانها على الدهر متجملة على هذه الصورة٠

ويظهر ان الحدائق والبساتين قد قام بغرسها ملك رغبةً منه وفي وسط كل واحد منها بيت وكانت معظم الاشجار ملأى بالاثمار٠

« صور »

ومن صيدا بلغنا صور بعد ان اجتزنا المسافة بينهما في خمسة فراسخ ومدينة صور على شاطىء البحر بُنيت على صخر يمتد في الماء بحيث ان الجزء المحصن من السور القائم على اليابسة لا يكون اكثر من مئة كوز (Guez) وسائر السور غائص في الماء معمول من الحجر النحيت ملئت من القطران لتحول دون نفوذ الماء ٠ وأرى ان مساحة بقعة صور الفا ارش مربع والبيوت ذوات خمس او ست طبقات يتصل بعضها ببعض ويرى في اكثرها فوارات والاسواق جميلة وفيها حاجيات الحياة بكثرة واشتهرت صور من بين جميع مدن الساحل الشامي بغناها ونعمتها ٠ ومعظم سكانها شيعة والقاضي رجل غني وذو اخلاق رضية واسمه ابن ابي عُقيل وكان سنياً ٠ وفي خارج المدينة مشهد حوى كثيراً من الطنافس والباري والمصابيح والثريات المعمولة من الذهب والفضة ٠ وقد قامت مدينة صور على اكمة ويجري اليها نهر من ينابيع في الجبل أنشئت له قناة من الحجر في البرية ليسيل فيها ٠ وفي اعلاه قناة تفتح السبيل أمام الماء وأمام صور في الجبال التي ذكرتها ينفتح وادٍ اذا سار فيه المرء متجهاً صوب الشرق يبلغ دمشق وهي بعيدة عن صور سبعة عشر فرسخاً ٠

« عكا »

غادرنا صور وسرنا سبعة فراسخ فبلغنا عكا واسمها في الكتابة الرسمية مدينة عكا٠ بنيت على اكمة قسم منها وعر والآخر معبّد ٠ وجميع مدن السواحل الشامية مبنية على اماكن مرتفعة لان القوم يخشون ان تداهمها المياه او تضربها امواج البحر التي تنكسر على ضفافه ٠ والمسجد الاعظم وسط المدينة وفي اعلا قمة من المدينة ٠ وقد جعلت السواري التي يقوم عليها من الرخام وفي خارجه على يمين المتجه الى القبلة قام ضريح النبي

صالح عليه السلام وبعض صحن الجامع مبلط والآخر قد ستره العشب . و يزعمون ان هذا الجزء قد حرثه آدم عليه الصلاة والسلام . وقد ذرعت سطح المدينة فكان طولها الفي آرش وعرضها خمسمائة و يحيط بعكا سور متين للغاية و يحيط بها البحر من الغرب والجنوب والميناء في جنوبها ولمعظم مدن ساحل الشام موانٍ و يطلق اسم ميناء على كل خليج بني لتكون فيه السفن بمأمن . و يشبه هذا الجون اصطبلاً يستند حائطه الداخلي الى المدينة وحائطاه الآخران يمتدان في البحر وقد فتح في طرفه مدخل عرضه خمسون كوزاً وله سلسلة مربوطة من احد الحائطين بالآخر . ومتى أريد ادخال سفينة الى الميناء يخفضون السلسلة حتى تنزل الى الماء فتجتاز السفينة عليها ثم يرسلونها ثانية حتى لا تنالها مراكب العدو بسوء اذا دهمتها من البحر .

وعلى مقربة من الباب الشرقي الى اليمين نبع ماء ينزل اليه في ست وعشرين درجة واسمه عين البقر و يزعمون ان آدم عليه السلام اكتشفها وانه كان يسقي منها بقرته ولذلك سميت عين البقر .

واذا خرجت من عكا واتجهت نحو الشرق تلقى جبلاً دفن فيه انبياء عليهم السلام وهو يرتفع عن طرف الطريق الذي يسيرون عليه اذا أراد المرء الذهاب الى الرملة . وقد عزمت ان اذهب اليه لزيارة هذه القبور وأغنم البركات التي خصها الباري تعالى بها . وقد ذكروا لي في عكا ان في تلك الطريق اشقياء يسيئون معاملة الغرباء و يسلبونهم مامعهم فخبأت ما كان معي من الدراهم في جامع عكا وخرجت من المدينة يوم ٢٣ شعبان سنة ٤٣٨ هـ (٨ آذار ١٠٤٦ م) فزرت في اليوم الاول قبر عك باني مدينة عكا وكان رجلاً صالحاً باراً . ولم استصحب معي دليلاً يهديني الى الطريق فحرت في تعيين الطريق التي يجب سلوكها فقضت حكمة الله تقدس اسمه ان ألتقي في ذاك اليوم رجلاً فارسياً اصله من اذربيجان كان زار هذه القبور المباركة وجاء مرة ثانية للتبرك بزيارتها وصليت ركعتين لاشكره تعالى على نعمته التي تفضل بها وسجدت اعترافاً بجميله على ان وفقني الى اتمام القصد .

وصلت الى قرية اسمها بروة فزرت فيها قبري اليسع وشمعون عليهما السلام ثم مررت الى قرية دمون فرأيت فيها مغارة صغيرة اكد لي القوم انها مغارة ذي الكفل وبعد ذلك قصدت الى قرية عبلين حيث دفن هود وقد قامت عليه شجرة خرنوب وزرت ايضاً قبر

الزير ثم اتجهت صوب الجنوب فوصلت قرية حاضرة وفي غربها واد صغير تنبع منه من الصخر عين صافية وقدبني مقابل هذه العين في الصخر مسجد في داخله غرفتان من الحجر و باب المسجد من الضيق بحيث ان الرجل يدخل اليه بصعوبة وفيه قبران متاوحان احدهما الى جانب الآخر وفي الاول شعيب وفي الثاني ابنته التي كانت امرأة موسى . و يُعنى سكان القرية بهذا المسجد و بهذه القبور كل العناية و يجعلون فيها مصابيح وفرشاً .

وبعد ذلك اتجهت جهة أربِل (او أربِد) وفي جهة القبلة جبل قام في سفحه اربعة قبور وهي قبور اربعة من اولاد يعقوب اخوة يوسف . ولما انتقلنا من هذا المكان رأينا أكمة قامت في سفحها مغارة فيها قبر ام موسى وفيها صليت وتعبدت . وتوغلت في واد رأيت في أقصاه بحيرة قامت مدينة طبرية على شاطئها وطول هذه البحيرة نحو ستة فراسخ وعرضها ثلاثة والمدينة على الشاطىء الغربي منها و يصب في البحيرة ماء الحمامات وما فاض من استعمال السكان . ومن البحيرة يستقي اهل طبرية ماء الشفة وكذلك السكان النازلون في جوار البحيرة . وسمعت ان اميراً كان جاء طبرية قديماً فأمر ان تغلق جميع المجاري التي تحمل القاذورات والمياه المالحة الى البحيرة فأنتن الماء حتى لم يعد احد يستطيع شربه . وعندئذ اسال جميع الاقنية فعاد الى ماء البحيرة طعمه اللذيذ الذي كان له سالفاً .

و يحيط بطبرية سور متين يمتد من شاطىء البحيرة ولا سور للقسم المتصل بالماء من المدينة . ووسط البحيرة صخور وقد بنيت وسط المياه أبنية عديدة وهي عبارة عن قباب للنزهة تقوم على عمد من المرمر غمست في المياه و يكثر السمك في بحيرة طبرية من وراء الغاية . وقد قام المسجد الاعظم وسط المدينة وعلى مقربة منه عين ماء بني عليها حمام وماؤها حار بحيث لا يستطيع المرء ان يصبها على بدنه الا اذا مزجها بماء بارد و يقال ان هذا الحمام من عمل سليمان بن داود عليهما السلام وقد دخلت هذا الحمام . وفي الجزء الغربي من المدينة مسجد اسمه مسجد الياسمين وهو بناء لطيف وفي وسط صحنه سطح عال بنيت فيه محاريب وحوالي هذا السطح غرسوا ياسمين وسمي المسجد باسمه .

وفي رواق غير مسور من جهة الشرق قبر يوشع بن نون وعلى السطح قبور اثنين وسبعين نبياً قتلهم ابناء اسرائيل . وفي جنوبي طبرية اوجنوبي البحيرة تجري بحيرة لوط وماؤها مر جداً واليها يجري النهر الذي يخرج من بحيرة طبرية وكانت مدينة لوط على

شاطيء تلك البحيرة ولم يبق لها اثر . وبلغني انه يستخرج من قعر بحيرة طبرية مادة في شكل البيضة لونها اسود وتشبه الحجر ولكن ليس لها صلابته فتستخرج وتكسر وتحمل الى المدن والولايات . و يزعمون ان هذه المادة اذا جعلت قطعة منها في جذع شجرة تسلم من الديدان بدون ان تتأثر جذوعها . وبذلك لا تسطو على الغراس الديدان ولا الحشرات التي تعيش تحت الارض . واني لادع تبعة هذه الرواية على ناقلها . وقد ذكر لي راوي هذه القصة ان الصيادلة يبتاعون هذه المادة و يدخلونها في العقاقير لتنجو من دودة اسمها النقرة .

وفي طبرية تعمل حصر تستعمل للصلاة تساوي الواحدة منها خمسة دنانير مغربية . وعلى غربي المدينة قصر من الحجر النحيت على قمة جبل وفيه كتابة بحروف عبرانية وفيه انه حفر يوم كان برج الثريا في آخر برج الحمل . وقبر ابي هريرة خارج المدينة صوب القبلة ولا تمكن زيارته لان سكان هذه المقاطعة شيعة واذا قصد واحد للصلاة يصخب الاولاد عليه و يتأكدونه و يهينونه و يرشقونه بالاحجار . فعدلت عن هذه الزيارة وذهبت الى قرية اسمها كفر كنة وفي جنوبها تمتد اكمة قام في اعلاها دير جميل له باب متين جداً وفيه قبر يونس وفي خارج الدير بئر لذيذ المذاق من وراء الغاية وبعد ان صليت في هذا المشهد عدت الى عكا البعيدة عن ذلك المكان اربعة فراسخ وقضيت يوماً في عكا ثم سرنا منها الى قرية حيفا وكانت الطريق التي سلكناها مغشاة بطبقة كثيفة من رمل يستخدمه الصاغة في فارس و يطلقون عليه اسم رمل عكا .

قامت حيفا على شاطئ البحر وفيها النخيل واشجار أخرى كثيرة وشاهدت فيها عملة كثيرين متوفرين على انشاء مراكب وتسمي هذه الابنية الخاصة بالملاحة البحرية بالجودي وعلى فرسخ منها قرية الكنيسة وهناك يبتعد الطريق عن البحر و يتجه نحو الشرق جهة الجبل و يجتاز ارضاً مستوية محفرة تسمي وادي التماسيح وبعد فرسخين يصير الطريق على الشاطئ حيث رأينا عظام بعض الحيوانات البحرية اختلطت بالطين وضربتها الامواج زمناً فأصبحت صورتها كالحجر .

وصلنا الى قيسارية وبينها وبين عكا سبعة فراسخ وقيسارية مدينة جميلة تشقها المياه الجارية وفيها النخيل والليمون الحلو والمر و يحيط بها سور متين فيه باب من حديد

وفي هذه المدينة كثير من العيون وجامعها الاعظم من اجمل الابنية. اذا جلست في صحنه تبصر البحر وما فيه من المناظر وفي الصحن إجانة (دورق) من المرمر يشبه اناء من عمل الصين وهو من الضخامة بحيث يسع مئة من من الماء ٠

غادرنا قيسارية يوم السبت آخر يوم من شعبان (١٠ آذار) وسرنا مدة فرسخ على الرمل الذي هو أشبه برمل مكة ثم شاهدنا في الطريق الذي كان تارة في السهل وأخرى في الجبل عدداً كبيراً من اشجار التين والزيتون ٠ وبعد بضعة فراسخ بلغنا مدينة اسمها كفر سابا او كفر سلام وهي على ثلاثة فراسخ من الرملة والاشجار على جانبي الطريق محيطة به كما قدمنا ٠

انتهى بنا أمد السير يوم الاحد اول يوم من شهر رمضان (١١ آذار) الى الرملة وبينها وبين قيسارية ثمانية فراسخ ٠ والرملة مدينة عظمى يحيط بهما سور عالٍ متين عمل من الحجر والملاط وهي على ثلاثة فراسخ من البحر وشرب اهلها من مياه الامطار يجمعونه في كل موسم في حوض وعندهم منه ما يحتاجونه على الدوام وفي وسط الجامع الكبير صهاريج واسعة اذا ملئت يستطيع الانسان ان يستقي منها بحسب حاجته ٠ ومساحة الجامع الاعظم ثلاثمائة قدم في مائتين ٠ وقد نقش في أعلا الصفة بان الارض زلزلت زلزالاً عظيماً يوم ١٥ المحرم ٤٢٥ (١١ كانون الاول ١٠٣٣) فهدمت عدة أبنية ولم يجرح احد من السكان ٠

والرخام كثير جداً في الرملة وجدران معظم الابنية والدور مغشاة بصفائح من الرخام مرصعة باتقان ومغشاة بنقوش ورسوم ويقطع الرخام بمنشار لا أسنان له و برمل تلك البلاد و بالمنشار تقطع قطع من الرخام بقدر طول السواري والعمد كما تقطع الدفوف من شجرة الا من حيث العرض ٠ ولقد رأيت في الرملة رخاماً من كل جنس ومنه المجزع (المبقع) والاخضر والاحمر والاسود والابيض وبالجملة من مختلف الالوان ٠

وفي الرملة يخرج نوع من التين اللذيذ ولا يوجد مثله في بلد آخر ومنها تحمل الى سائر البلدان وتعرف هذه المدينة في الشام والمغرب باسم فلسطين (كذا) انتهى بنا نفس السير في اليوم الثالث من شهر رمضان (١٤ آذار) بعد ان غادرنا الرملة الى قرية

خاطون (لعلها اللاطرون او النطرون) ثم الى قرية العنب وقد لاحظنا في الطريق كثيراً من شجر البطم ينبت نباتاً طبيعياً في السهل والجبل . وشاهدنا في قرية العنب عيناً تنبع من صخر وكان ماؤها عذباً طيباً وقد وضعت هناك أجران لسقاية ابناء السبيل وأقيمت مساكن لنزولهم عمرها اهل الخير طلب الثواب .

وبعد قرية العنب يبدأ الطريق بالارتفاع تدريجاً حتى خُيل لنا بعد ان صعدنا الجبل ونزلنا الى الجهة المقابلة اننا وصلنا الى المدينة ولكن بعد ان صعدنا زمناً بلغنا سهلاً عظيماً مستوياً ومعظمه حجري على حين تبدو الارض في الاماكن الاخرى عريانة مجردة وفي اعلا نقطة من هذا النجد قامت مدينة بيت المقدس . وهي على ستة وخمسين فرسخاً من طرابلس على ساحل الشام وعلى خمسمائة وستة وسبعين فرسخاً من بلخ وكان وصولنا القدس في اليوم الخامس من رمضان ٤٣٨ (١٦ آذار ١٠٤٦) وقد مضت سنة شمسية منذ غادرنا مسقط رأسنا وطفنا المعالم زمناً دون ان نقف في مكان ودون ان ننال الراحة التامة في موضع . و يطلق سكان سورية وفلسطين على مدينة بيت المقدس اسم القدس وكل من يعجز من سكان هذه الارجاء عن الرحلة الى مكة يذهبون الى القدس في موسم الحج ويقيمون فيها خلال الموقف قائمين باعمال الحج محتفلين بعيد الاضاحي . و يجتمع في بعض السنين في الايام الاولى من ذي القعدة اكثر من عشرين الف رجل في هذه المدينة و يأتون معهم باولادهم ليختنوهم . و ينزل القدس النصارى واليهود زرافات زرافات من ولايات مملكة الروم والاقطار الاخرى ليزوروا الكنيسة والمعبد . وستجد وصف الكنيسة العظمى في محله .

وتحيط ببيت المقدس جبال تنبت فيها الحبوب وفيها اشجار الزيتون والتين وغيرها وجميع الاراضي خالية من المياه ومع ذلك فان المأكولات كثيرة رخيصة . ومن رؤساء البيوت من لا تقل وارداتهم من زيت الزيتون عن خمسة آلاف منّ ويحمل هذا الزيت في آبار وأحواض و ينقل الى اطراف المعمور . و يقال ان المجاعة لم تشتد قط في بلاد الشام . وذكر لي الثقة ان احد الاولياء رأى النبي عليه الصلاة والسلام في المنام فقال له : يا رسول الله أعني على العيش فأجابه الرسول (انا أضمن رزقك من خبز الشام وزيتها) .

وهاءنذا أصف لك مدينة القدس فهي قائمة على مرتفع وليس فيها غير ماء المطر ولئن كان في بعض القرى المجاورة عيون فليس لها اثر داخل المدينة و يحيط بها سور وثيق البنيان عمل من الحجر والملاط وابوابه من الحديد · واذ كانت المدينة مبنية على الصخر فليس في جوارها مباشرة شجر · وبيت المقدس بلدة عظيمة وكان فيها عندما زرتها عشرون الف رجل واسواقها جميلة وبيوتها عالية وتربتها ممزوجة بالحجارة وقد نحتت الطرق وعبّدت بحيث ان الامطار تنظفها وتغسلها وارباب الصنائع فيها كثار ولكل اهل صنعة في السوق مكان خاص بهم ·

والمسجد الاعظم حيث تقام صلاة الجمعة هو الى الشرق من جهة السوق واسوار المدينة عبارة عن حيطانه ومتى خرج المرء من المسجد يرى أمامه سهلاً عظيماً منبسطاً اسمه ساهرة وفي هذا السهل على ما يزعمون تقوم القيامة وتحشر الاجساد و ينصب الميزان وبفضل هذا المعتقد يأتي من جميع اقطار العالم الى القدس جمهور كبير من البشر ينزلونها ليموتوا فيها وليكونوا على مقربة من المكان الذي عينه المولى تعالى وتحقق فيه ارادته · اللهم يا باريء النسم احفظ عبدك واغفر لهم خطاياهم آمين يا رب العالمين اهـ ·

القائد مالنجو

فقد المجمع العلمي في اليوم الثلاثين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٦ احد اعضائه القائد مالنجو (Comd. Malinjoud) وكان من العاملين المخلصين المحبين للعرب والمسلمين الواقفين على كثير من شؤونهم الاجتماعية . قال سعادة الجنرال اندريا قائد جيش دمشق على قبره يوم الاحتفال بدفنه في هذه المدينة : « انه ولد في مدينة الجزائر سنة ١٨٧٣ م وصرف معظم ايام حياته في المستعمرات الفرنسية في افريقية ثم في بلاد الشام فخدم في تونس والجزائر وبلاد الصحراء ودخل في سنة ١٩١١ في دائرة الشؤون الاهلية في الغرب الاقصى فقام باعظم الخدم لاضطلاعه بمعرفة اللغة العربية ، وكان من الرجال الذين أثروا بنفوذهم الشخصي وعلمهم الثابت القائم على سمو المدارك — في توطيد دعائم الامن والاخلاص في بلاد مراكش مدة الحرب العظمى ، وجاء الى الشام (سورية) مع أوائل مجيء الجيش الافرنسي فتولى وظيفة مندوب اداري في الاسكندرونة وقام باعبائها على صعوبتها أحسن قيام .

وفي سنة ١٩٢١ عهدت اليه ادارة فرع الترجمة في المدرسة الحربية السورية ، ثم إدارة المدرسة العالية للغة العربية في دمشق فتخرج به كثير من الضباط على ممارسة اللغة العربية . وله كثير من الرسائل والمصنفات في الشعوب الاسلامية وفي الشام الذي كان يحبه ُعدّ بها في الدرجة الاولى بين المستعربين من الافرنسيين . وكان يجتهد ان ينشر بين تلاميذه واصدقائه الكثيرين في الشام معرفة فرنسا وحبها .

وقد داهمه الموت غير راحم له في أشد ما يكون من عمله فطفئ وهو يعمل و يجد تاركاً وراءه اسفاً عظيماً في قلوب كل من عرفوه وقدروا أعماله قدرها . واني لانحني معكم أيها السادة أمام هذا القبر لأحيي افرنسياً صالحاً وصديقاً عظيماً للمسلمين » .

هذا ما قاله قائد الجيش الافرنسي وفيه ترجمة حياة الاستاذ مالنجو السيفية ، اما حياته القلمية فقائمة باحسان الترجمة من اللغتين العربية الى الافرنسية وتسهيل طريقة تعلم الافرنسية على العرب وتعلم العربية على الفرنسيس فأخذ عنه هاتين اللغتين عشرات من ابناء الامتين في مدة وجيزة . وكان له غرام باللغة العربية العامية كما له غرام باللغة

الفصحى وقد نشر لتعلم العامية كتاباً سماه «الدليل» في مجلدين لطيفين وله عدة مقالات في الصحف والمجلات تدل على اجتهاد متواصل وكان ممن يقول بان المدنيتين العربية والافرنسية يمكن اجتماعها من طريق العلم ، والاجتماع من هذا الطريق اجمل اجتماع واعوده بالفائدة على الامتين ، وكان يتلطف في بث ما يريد بثه بين تلاميذه من الافكار التي يعتقد صحتها وغناءها دون ان يجرح عاطفة احد وله حرص على تعليم الناشئة الاسلامية اشتهر عنه وعُرف به . وما المدرسة العليا للغة العربية في حاضرة الأمويين الا أثر اجتهاده وجلادته . وكانت له صلات مستديمة مع كبار علماء المشرقيات في فرنسا والجزائر ولذلك يعد المجمع العلمي فقده خسارة عليه وعلى الادب العربي .

وقد انتدب المجمع العلمي احد اعضائه الاستاذ السيد انيس سلوم لتأبينه في المقبرة ساعة دفنه فذكر من صفاته الحسنة وبلائه في خدمة العلم والآداب ونشر اللغتين الجميلتين — اموراً كثيرة . ومما قاله ان الفقيد العزيز كان متحلياً باجمل الصفات ، فكان متواضعاً لطيفاً كثير الجلد والدأب والنشاط وكان يحترم الآخرين ولا سيما العلماء ويبذل جهده في توثيق عرى الاتحاد بين الامتين الافرنسية والسورية من طريق العلم ولطالما آزر المجمع العلمي بقلمه وعلمه وغيرته فدل على نفس كريمة تحب الخير وتتناغى بالفضائل . فلا غرو ان عدت وفاته خسارة عظيمة على المجمع العلمي كما حسب فقده خسارة على آله وصحبه واصدقائه الكثيرين .

وقد خطب على قبره الاساتذة السادة نزيه الزعبي وابو الخير القواص والدكتور جود ومما قاله هذا مخاطباً الفقيد وكان رفيق صباه منذ عشرين سنة : لقد سعيت بجد وراء التوفيق وتحقيق الاتحاد في هذا الشرق المضطرب حيث يسود عدم التفاهم فنصحت للجميع ان لا يتسرعوا في امورهم وان لا يبنوا احكامهم على الظواهر حاثاً اياهم على درس المسائل فيما بينهم درساً دقيقاً بكل روية وامعان . أليس اذا درس الافرنسي اللغة العربية والسوري الافرنسية يصبح بامكانهما ان يتعارفا ومتى حصل التعارف يتقربان ويتصاحبان لان الجهل هو آفة الآفات ومصدر البغضاء والحروب » .

فالمجمع يشارك أصدقاءه وتلاميذه في الاسف عليه رحمه الله . م . ك

آراء اناتول فرانس (١)

— ١ —

« من أعمال البشر كلها احد عاملين : الجوع والحب · لقد علّم الجوع المتوحشين ان يقتلوا وان يخوضوا غمار الحروب والغارات · اما الشعوب المتمدنة فهي ككلاب الصيد : تهيجهم غريزة فاسدة الى الهدم بلا سبب اوجدوى · ويدعى جنون الحروب الحديثة مصلحة ملكية · اومبدأ قوميات · اوتوازناً اوربياً · اوشرفاً · ولعل هذا العامل الاخير أبعدها عن المعقول ، اذ ما من أمة الا احتملت كل المهانات التي قدر لجماعة من الناس ان تنزل بساحتهم وعلى كل ان كانت لا تزال عند الشعوب بقية شرف فأعجب الوسائل الى صيانتها إشعال نار الحرب : اي ارتكاب كل الجرائم التي تعرّي الفرد من شرفه : الحرق والنهب والقتل وهتك الاعراض · اما الاعمال التي يوحي بها الحب فهي عنيفة جنونية فظيعة بقدر الاعمال التي يوحي بها الجوع حتى يحق القول ان الانسان وحش شرّير ·

— ٢ —

لا اعتقد ان البشر أخيار بالفطرة · وأرى انهم على الضد من ذلك ، لا يخرجون من وحشيتهم الاولى الا ببطء وجهد ، لينظموا نظامي عدل غير أكيد وخير غير دائم ، ولا يزال بعيداً الزمن الذي يصبحون فيه وادعين يعطف بعضهم على بعض · ولا تقاتل أمة منهم أمة بل تخبأ الصور التي تمثل الحروب لانها منافية للأخلاق الحسنة يخجل منظرها الناظرين · وأرى ان ملكوت العنف سيدوم طويلاً · وان الشعوب لن يكف احدها عن تمزيق الآخر لأسباب تافهة · وان ابناء الشعب الواحد سيسلب بعضهم بعضاً القوت الضروري بدلاً من ان يتقاسموه قسمة عادلة · ولكني على يقين من ان البشر أقل وحشية وفظاظة اذا كانوا أقل بؤساً وشقاء ، وان ترقي الصناعة سيؤدي في النهاية الى تلطيف الطباع · لقد قال لي عالم نباتي ان شجر البوت اذا نقل من ارض جرداء الى ارض خصبة تبدل بشوكه زهراً ·

(١) منتخبات من كتيّب وقع في ١٤٣ صفحة صغيرة ترجمة السيد عمر الفاخوري مصدرة بمقدمة للاستاذ السيد أمين الريحاني قدمته مجلة منيرفا هدية الى مشتركيها ·

— ٣ —

ليس موضوع الفن الحقيقة · ينبغي ان تُطلب الحقيقة في العلوم لان موضوعها الحقيقة ولا ينبغي ان تطلبها في الأدب الذي لا يصح ان يكون موضوعه شيئاً غير الجمال ·

— ٤ —

ليست الحقائق العلمية محبّبة الى قلوب العامة · فان الشعوب تحي بالميثولوجيا وتتناول من الاساطير كل مبادي العرفان التي تحتاج اليها · وقليلة ما هي : ان بضع اكاذيب كافية لاسعاد ملايين من الناس و بالجملة ليس للحقيقة سلطان على البشر ولو كان لها سلطان لكان هذا مدعاة أسف لان الحقيقة مضادة لطبيعتهم بقدر ما هي مضادة لمصالحهم .

— ٥ —

اكثر ما يتنازع الناس على ألفاظ · ومن اجل ألفاظ يقتلون ويُقتلون بطيب خاطر .

— ٦ —

يثور المرء اذا غُلِب · اما الغالبون فلا يكونون عصاة ثائرين ·

— ٧ —

كل ذي حياة غذاء لمن يجيء بعده · والعربي الذي يبني كوخه برخام هيكل تدمر أعقل من كل حفَظَة المتاحف في لندن و باريس ومونيخ ·

— ٨ —

هل يوجد تاريخ منصف ؟ بل ما التاريخ ؟ هو تمثيل الحوادث الماضية بالكتابة · ولكن ما الحادث ؟ أهو اي حادث كان ؟ كلا بل هو حادث جدير بان يذكر · كيف يحكم المؤرخ على الحادث بانه جدير ام غير جدير بالذكر ؟ يحكم المؤرخ اعتباطاً بفعل ذائقته وطبعه ورأيه اي بصفته فناناً · ذلك ان الحوادث ليست بطبيعتها على نوعين : الحوادث التاريخية والحوادث غير التاريخية · ثم ان الحادث شيء عويص مركب فهل ينقل المؤرخ الحوادث كما هي في تركيبها ؟ هذا مستحيل فانه يعرضها مجردة من كل الخصائص التي تقوم بها ناقصة مشوهة مختلفة عن حقيقتها اما علاقات الحوادث فيما بينها فالأفضل ان لا نذكر عنها شيئاً : اذا كان الحادث الذي يسمى حادثاً تاريخياً

ناشئاً — وهو الاقرب الى التصديق — عن حادث او عن بضعة حوادث غير تاريخية ، اذاً مجهولة ، فكيف يستطيع المؤرخ ان يعيّن الصلة بين هذه الحوادث في تسلسلها ؟ واني لأفرض فيما أقوله الآن ان المؤرخ ينظر في شهادات صحيحة ثابتة على حين انه بالحقيقة مخدوع في أكثر الأحوال ، وانه لا يثق بهذا الشاهد او بذاك الا لدواعٍ عاطفية · ليس التاريخ بعلم بل هو فن ولا ينجح فيه الا صاحب المخيلة ·

— ٩ —

ينسخ المؤرخون بعضهم عن بعض فيكفون انفسهم العناء ولا يُتّهمون بالغرور · اقتدِ بهم ولا تكن مبتكراً : فان المؤرخ المبتكر موضع ريبة واحتقار واشمئزاز عند الناس كافة ·

— ١٠ —

لا تدوم الممالك بحكمة بعض الوزراء ورجاحة عقولهم بل بحاجة الملايين من الناس الذين يحترفون لكسب معاشهم ضروب الحرف الدنيئة كالصناعة والتجارة والزراعة والجندية والملاحة · فان هذه الصغائر هي التي تؤلف ما يسمونه : عظمة الشعوب ، وليس فيها للأمير ووزرائه ادنى نصيب ·

— ١١ —

الحقيقة هي ان الحرب من لوازم الطبيعة الانسانية وانه يتعذر تصور شعوب لا يحارب بعضها بعضاً أعني لا يكونون قتلة نهّابين محرقي القرى كذلك يتعذر تصور ملك او امير ليس بمتعصب وان قليلاً ، لئلا يُزدري ويلام على زهده في المجد أشد اللوم · الحرب اذاً ضرورية للانسان بل هي ألزم لطبعه من السلم الذي لا يكون الا فترة او هدنة · لذلك كنا نرى الملوك والامراء يقذفون جيوشها بعضها ببعض لشر العلل وأتفه الاعذار فيتوسلون الى الحرب بشرفهم ، ويا لله ما أدقه وأسرع انفعاله : يكفي نفخة ضعيفة لإحداث لطخة لا تغسل الا بدم عشرة او عشرين او ثلاثين او مئة الف رجل ، على نسبة عدد السكان · ومهما أطلنا الروية فلن نفهم كيف يُغسل شرف الامير بدم هؤلاء المساكين ، ولكننا نعلم ان هذه الالفاظ خلو

من المعنى ، وان الناس يقدمون على الموت ، غير وجلين من أجل ألفاظ . وثمة ما هو أعجب فان الامير يصيب فخراً عظيماً من سرقة ولاية . واذا كان التعدي الذي يأتيه فرد جري جزاؤه الموت فهو امر ممدوح اذا قام به الملك بمعونة جنوده المرتزقة مظهرين فظاعة لا مثيل لها .

— ١٢ —

ما التاريخ مجموعة أقاصيص اخلاقية او مزيج من الحوادث والخطب البليغة حسبما يكون المؤرخ فيلسوفاً او واعظاً . قد توجد فيه قطع بيانية جميلة ولكن لا ينبغي ان نلتمس فيه الحقيقة ، لان الحقيقة هي في اظهار مابين الاشياء من نسب لازمة ، ولا سبيل الى اثبات هذه النسب لان المؤرخ عاجز عن اتباع سلسلة العلل والمعلولات . انظر : كلما كانت علة الحادث التاريخي من حادث غير تاريخي فان علم التاريخ لا يراها . ولما كان بين الحوادث التاريخية والحوادث اللاتاريخية صلة مكينة نتج عن هذا ان الحوادث لا تتسلسل في التواريخ تسلسلاً طبيعياً بل ترتبط بروابط بيانية صنعية ليس الا . كذلك لا يعزب عن فكرك ان المؤرخين يميزون بين الحوادث التي تدخل في التاريخ والحوادث التي لا تدخل فيه الا اعتباطا . ليس التاريخ اذاً بعلم لانه مقضي عليه بعيب في طبيعته ان يلزمه غموض الكذب وان يعوزه السياق والاتصال اللذان لا معرفة حقيقية بدونهما . كذلك لا يمكن ان نستخرج من اخبار الامم وسيرها اقل دلالة يرجم بها عن مستقبلها . ولما كانت خاصة العلوم التنبؤ والاخبار عن الحوادث الآتية كما هو مشاهد في الالواح التي تعين فيها بالحساب الاهلة ومد البحر وجزره والكسوفات قبل وقوعها ، فقد أثبتنا ان التاريخ ليس بعلم لان الثورات والحروب لا تضبط بحساب .

— ١٣ —

على مَ تؤلف تاريخاً ؟ اذ ليس عليك الا ان تنسخ من اشهر كتب التاريخ كما هي العادة . ان كان عندك فكر جديد ورأي خاص ، او كنت تظهر الناس والاشياء من وجهة غير مألوفة ؟ فانك اذاً تباغت القارئ ، والقارئ لايحب ان يباغت .

هو لا يلتمس في التواريخ الا الحماقات التي يعرفها · فاذا اجتهدت بتعليمه كانت ثمرة جهدك انك حقرته في عين نفسه فأغضبته · لا تحاول إنارة فكره والا صرخ قائلاً : انك تسفه عقائده ·

— ١٤ —

التغيير شرط جوهري في الحياة · والمدن كالناس تبقى مازالت متغيرة متطورة ·

— ١٥ —

ان الحرب اليوم هي عار الانسانية وكانت من قبل فخرها · لقد اوجبتها الضرورة على الممالك فكانت مربية النوع البشري الكبرى · فيها مارس ابناء آدم الفضائل التي تشاد عليها الحضارات وتدعم بها قواعدها : علمتهم الصبر والحزم والاستهانة بالمخاطر ومجد التضحية · ويوم دحرج الرعيان قطع الحجارة الضخمة ليبنوا منها سوراً يحامون وراءه عن نسائهم وثيرانهم — أنشئ اول مجتمع انساني وضمن ترقي الصناعات · وهذا الخير العظيم الذي ننعم به اعني الوطن او المدنية او ذلك الشيء الجليل الذي عبده الرومان ورفعوه فوق الآلهة انما هو ابن الحرب ·

— ١٦ —

ينعم المرء اذ يعيش بمخيلته في الماضي نعيم الشعراء ولكن فلنعلم ان سحر الماضي ليس الا من أحلامنا وان العصور الغابرة التي نتنشق عرفها بلذة كان لها في جدتها ما لكل الاشياء التي تجري في وسطها الحياة الانسانية : من طعم عادي داعٍ الى الحزن ·

— ١٧ —

كبار الشعراء هم لكل الناس · اما صغارهم فأحق بالغبطة ايضاً لان شعرهم لذة للمترفين الذين لا يقنعون بما يقنع به العامة ·

— ١٨ —

لا يستطيع أحد ان يجزم بان المذهب الذي تبدو في النتائج الاولى اضراره ومساويه لن يكون في الغد نافعاً كثير الخيرات · فكل الافكار التي يقوم المجتمع عليها اليوم كانت ضارة متلفة قبل ان تصبح واقية محسنة · وباسم المصالح الاجتماعية

التي يتوسل بها (المسيو برونتيار) حوربت في الماضي مبادئ التساهل والانسانية زمناً طويلاً ٠

– ١٩ –

متى يشتبك البيض بالصفر او بالسود يجدوا أنفسهم مكرهين على إبادتهم اذ لا يُغلب المتوحشون الا بتوحش بالغ الاتقان ٠ وهذا هو الحد الذي تنتهي عنده المشاريع الاستعمارية كلها ٠

– ٢٠ –

لا مراء في انه ستقع ايضاً حروب كثيرة فان الغرائز الوحشية والاطماع الفطرية والكبرياء والجوع التي أقلقت العالم خلال عصور متطاولة ستستمر على إقلاقه ايضاً ٠ وهذه الكتل البشرية الكبرى الآخذة اليوم في التآلف لم تجد بعد قاعدتها ولم توفق الى توازنها ٠ كذلك فان تداخل الشعوب بعضها في بعض لم ينتظم الانتظام الكافي لضمان الرفه العام بحرية المبادلات و يسرها كما ان الانسان لم يصبح بعد محترماً في نظر الانسان ولم تتساو أجزاء البشرية في دنوها من روح الاشتراك والتعاون لتكون جميعاً كالتجبيرات والاعضاء في الجسد الواحد ٠ وليس بمقدر حتى لأحدثنا سناً ان يشهد ختام عهد السلاح ٠ بيد ان تلك الايام السعيدة التي لم نعرفها نحن نحسُّ بمجيئها ٠ فاذا مددنا الى عالم الغيب هذا الخط الذي نرى بدايته كان في وسعنا ان نرى مواصلات اوفر واكمل بين الامم والشعوب ، وشعوراً اعم واقوى بالتضامن الانساني ، وتنظيماً افضل للعمل ، و بالنهاية قيام « الدول المتحدة » في العالم باسره ٠ وسيتحقق السلم العام ذات يوم لا لأن البشر يصبحون خيراً مما كانوا (هذا لم يؤذن لنا ان نرجوه) بل لان نظاماً شديداً للاشياء ، وعلماً جديداً وضرورات اقتصادية جديدة ستلزمهم بحالة السلام كما كانت ضرورات الحياة في الماضي ترميهم في حالة الحرب وتبقيهم فيها ٠

– ٢١ –

يلوح لي ان الانسان انما يشقى لافراطه في اجلال نفسه وفي الثقة بالناس ٠ فلو كان رأيه في الطبيعة البشرية اصح واقرب للتواضع لاصبح في احكامه على نفسه وعلى الناس ارق واحلم ٠

— ٢٢ —

سآمة الشعراء سآمة مذهبة فلا تفرطوا في الرثاء لهم : ان الذين يغنون قادرون على ان يسحروا بأسهم . ولا سحر اقوى من سحر الكلام . والشعراء كالاطفال يعزّون انفسهم بالصور .

— ٢٣ —

العمل يجعل الحياة سعيدة أحياناً ، ومحتملة دائماً .

مطبوعات حديثة

اصلاح الفاسد من لغة الجرائد

(لغة الجرائد) : عنوان مقالات كان ينشرها العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلة الضيا ينتقد فيها كلمات للكتاب والمنشئين وأساليب لهم غير منطبقة على أصول اللغة وقواعدها . وقد أجاد رحمه الله فيما كتب وأفاد . ثم ان تلك المقالات جمعت بشكل كتاب وسمي (كتاب لغة الجرائد) . واتفق في المدة الاخيرة ان وقعت نسخة من هذا الكتاب بيد الاستاذ اللغوي المشهور السيد محمد سليم الجندي فكان وهو يتصفحه يرى فيه بعض مايصح مؤاخذة العلامة اليازجي به فرأى ان يكتب مقالات ينتقد فيها ما لاح له من أغلاط لغة الجرائد . فكتبها ونشرها في جريدة (الفيحاء) التي تصدر بدمشق . وقد كبر الامر على احد عشاق اليازجي وهم كثيرون ونحن منهم فتصدى للرد على الاستاذ الجندي . ولايخفى ان الاستاذ الجندي عضو في مجمعنا العلمي كما أن الذي رد عليه عضو في المجمع ايضاً (وهو السيد قسطاكي الحمصي) الاديب الحلبي المشهور .

ولا يُستغرب ان يخطئ العلامة اليازجي فيما كتبه في لغة الجرائد كما لا يستغرب ان يتصدى الاستاذ الجندي لنقده ثم لايستغرب ايضاً ان يخطئ الجندي في نقده هذا كما لايستغرب ان ينبه السيد قسطاكي الى بعض خطأ الجندي فيتصدى للرد عليه — كل ذلك غير مستغرب . ولاهو بموضوع عجيب . وانما الغريب ان يبدر من السيد

قسطاكي بك — وهو مؤلف كتاب في النقد مشهور — كان تشمر بانكار أن يقوم مثل الجندي فيخطّئ مثل اليازجي — لا جرم ان رصيفنا السيد قسطاكي لم يصب في انكاره هذا بل ان اليازجي نفسه لو كان حياً لما وسعه الا ان يكون معنا في تخطئة السيد قسطاكي. وهذا هو المعهود من أخلاق اليازجي ولين جانبه وفرط تواضعه رحمه الله.
أما رصيفنا الآخر السيد الجندي فانه لم يطق صبراً على دعوى رصيفه السيد قسطاكي. ولم يتسع صدره لما بدر منه من الانكار عليه فكتب مقالات متسلسلة في مناقشة السيد قسطاكي فيما انتصر به للمرحوم اليازجي. وقد نشر مقالاته في إحدى جرائد دمشق. ثم عاد فجمعها في شكل كتاب بلغ نحو (١٥٠) صفحة. وسماه (اصلاح الفاسد من لغة الجرائد). وقد ادرك القارئ مبلغ الفائدة التي تضمنها هذا الكتاب في علم اللغة والأدب. كيف وابطال البحث فيه هم من خيرة علماء عصرنا الذين أخصوا في آداب لغتنا العربية لولا بعض كلمات اوهنات. تخللت تلك المناقشات. كنا نود لو نتزهت عنها. وموضوعات البحث بلغت ثلاثين موضوعاً ونيفاً. من ذلك كلمة (ضوضاء) أمؤنثة هي ام مذكرة؟ وكلمة غير هل يصح دخول (أل) عليها او لا؟ و(مشهور) هل يصح جمعه على مشاهير؟ و (خصم) هل يجمع على اخصام؟ وهل يقال امرهامّ اوهمّ؟ وتعرف الى فلان او بفلان؟ وهل ورد في فصح اللغة أغاظه وأشغله وأرعبه من الرباعي او لم يرد؟ في نظير ذلك من المباحث التي يحرص على مثلها عشاق اللغة. والمولعون بآدابها. فنشكر للرصيف الجندي هديته. ونقدر له عنايته بخدمة لغتنا الشريفة. كما لا نبخس رصيفنا الآخر السيد قسطاكي حقه من الثناء والتقريظ فان الرصيفين المتناظرين فرسا رهان. وفي خدمة اللغة العربية أخوان. رضيعا لبان.

المغربي

قصر آل العظم في دمشق

هي رسالة في ٢٤ صفحة نشرها رصيفنا الاستاذ السيد عيسى اسكندر المعلوف في مجلة المشرق اولاً ثم أخرجها كراسة برأسها. وقد صدرها بمقدمة في آل العظم ورجح عروبة هذه الأسرة استناداً على ما قاله الشيخ عبد الرحمن الفاسي المغربي في

تاريخه المخطوط في مصر بعد سنة ١١٠٠ هـ وقد ذكر وفاة احدهم فقال : « ان هذا اللقب من الدولة وانما اصلهم عربان من بادية الشام » . وقد اقتبس صديقنا ما قاله ابن بدير الحلاق في يومياته عن قصر اسعد باشا العظم في دمشق وكيف عُمّر ، وما قاله احد احفاد البساني خليل بك العظم في وصفه من رسالة الى غير ذلك من الفوائد التي اعتاد الاستاذ الباحث ان يتحف بها عالم الادب والتاريخ . م . ك

فتح مصر الحديث

— او —

« نابوليون بونبارت في مصر »

(تأليف احمد حافظ بك عوض صاحب جريدة كوكب الشرق طبع في مطبعة (.مصر سنة ١٩٢٥ ص ٤٣٨)

مؤلف هذا الكتاب من رجال النهضة المصرية الحديثة معروف بآثاره النافعة عند قراء العربية بما نشره من بنات افكاره وعرّبه عن اللغات الافرنجية خلال حياته الصحافية المملوءة بالفوائد الممتعة . وكتابه هذا في موضوع طريف كتبه على أسلوب النقد التاريخي باسهاب . لذ خالف فيه سنة اكثر مؤرخي العرب وتابع فيه طريقة المؤرخين من الافرنج معتمداً فيه على مصادر افرنجية مهمة ومصادر عربية للمؤرخين العربيين المعاصرين لتلك الحوادث وهما عبدالرحمن الجبرتي وتقولا الترك ونقد بعض ما روياه ورواه المؤرخون من الافرنج في حملة نابوليون على مصر وما وقع من الحوادث المؤلمة في فتحه وما ادخله من الانظمة والقوانين والاصلاحات العمرانية الجديدة وما جدّ من الاحوال في حملة نابوليون على الشام والسبب في إخفاقه فيها على عكا وماعملته الدولةالعثمانية وانكلترا وغيرهما من الاعمال لوضع حدّ لهذه الحملةالافرنسية . ومن اجمل فصول الكتاب فصل اسمه « سياسةالانشاء للبقاء » ذكر فيه ماعمله نابوليون لانشاء المجمع العلمي المصري الذي لا يزال الى اليوم سائراً في الخطة التي اختطها له هذا الفاتح العظيم من خدمة العلم والآثار والتاريخ قال المؤرخ في خاتمته « ... ان العمل العلمي الذي قام به رجال البعثة العلمية من بحث وفحص وتأليف وتصوير . قد

غطى على تلك العيوب وابقى الى اليوم اثراً علمياً فاخراً باهراً ، ان لم يكن قد افادنا من وجهة مباشرة فائدة مادية علمية وحتى وان لم نستفد منه فرنسا ماانلته الاان ذلك لايمنع من الاعتراف بانه عمل تطأطئ أمامه الرؤوس إجلالاً واكباراً .. » فنثني على همة صديقنا في معالجة كل موضوع ينفع مصر ، ونعجب بتبريزه في فهم روحها وتفسيتها فهماً يغبط عليه ، ونرجو ان تدوم له هذه الهمة الشماء في خدمتها فان خدمتها خدمة لجميع بلاد العرب على الاطلاق .

م . ك

نظرة تاريخية

« في حدوث المذاهب الاربعة وانتشارها »

هذه الرسالة لمؤلفها العلامة المحقق الاستاذ احمد تيمور باشا كان كتبها مقالات متفرقة في مجلة (الزهراء) ثم جمعت على حدة بشكل رسالة لطيفة الحجم بلغت صفحاتها (٤٥) صفحة وطبعت في المطبعة السلفية . وهذا البحث يهم كل مؤرخ وكاتب اجتماعي يلذ له الوقوف على اصول التشريع الاسلامي وتطوره وكثرة أئمته والمقارنة بينهم ثم كيف كان الظهور والغلبة لارباب هذه المذاهب الاربعة وحدها وهم الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وتقصي الاسباب التي جعلت هذه المذاهب تنتشر وتحيا بينما المذاهب الاخرى تموت وتخفى . ومن فوائد هذه الرسالة ان مؤلفها ذكر إحصاء تقريبياً لاتباع هذه الاربعة المذاهب في مختلف أقطار العالم الاسلامي معتمداً في ذلك على أصح المصادر الافرنجية . كما كان اعتماده في الكلام على المذاهب — على أهم الكتب المطبوعة والمخطوطة في هذا الشأن . وعلى الجملة فان البحث ممتع مفيد قل من يجيد فيه إجادة مؤلفه فالشكر له على مساعيه الجمة . في خدمة العلم والامة .

*

هدية

أهدى الاديب السيد حسام الدين الكزبري الى المجمع العلمي تسع رسائل خطية منها : (١) شرح غرائب صحيح للاشبيلي تأليف يحيى بن عبد الرحمن الاصفهاني المعروف بالقرافي من علماء القرن العاشر . (٢) إجازة للشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبري في الطريقة الشاذلية من السيد محمد تقي الدين كتبت سنة ١٢٠٧ . (٣) رسالة في الفروع مأخوذة من صحيح البخاري للشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني بخط محمد بن عبد القادر المجذوب سنة ١٢٩٨ . (٤) براءة من السلطان محمود الى الشيخ محمد مسلم الصمادي الادهمي بتوليه القضاء بدمشق سنة ١١٦٧ . (٥) براءة من السلطان سليمان الى الشيخ محمد الكزبري بتدريس ثلاثة اشهر رجب وشعبان ورمضان في جامع بني أمية بدمشق سنة ١١١١ احدى عشرة ومائة والف . (٦) صورة وقفية آمنة خانم بنت المرحوم الحاج سليمان باشا على مدرس مدرسة والدها مع بيان اقلام الوقف كتبت سنة ١١٨٢ . (٧) كتاب من مصطفى عبد الله اغا مردار الى الشيخ سعيد الكزبري كتبت سنة ١٢٣٣ يعلم منه حالة الانشاء والخط في ذلك العصر . (٨) براءة ايضاً من السلطان محمود الاول الى صفية خانم بنت نصوح باشا كتبت سنة ١١٤٤ . (٩) إجازة من الشيخ احمد البقري من علماء الازهر بالقراآت السبع من طريق الشاطبية الى الزين علي بن احمد الدمشقي الشهير بابن كزبر كتبت سنة ١٢١١ تضمنت سلسلة شيوخ القراء وبعض مسائل تتعلق بفن القراآت . فالمجمع العلمي يشكر للمهدي هذه الاريحية على هديته . *

التذمر من الدهر

(الوزير المغربي) هو وأسرته من رجال الدولة الفاطمية ثم لما قتل الحاكم اباه واخوته خرج من مصر وجعل يكيد للحاكم ثم تولى الوزارة لآل بويه حتى توفي سنة ٤١٨ هـ . ولما خرج من مصر وضرب في البلاد كان معه غلام يخدمه اسمه داهر فقال متذمراً من غربته وفراق أحبته ومعاشرة هذا الغلام . الكثير الكلام .

(كفى حزناً أني مقيم ببلدة يعللني بعد الأحبة داهر)
(يحدثني مما يجمع عقله أحاديث : منها مستقيم وجائر)

وقد حذا حذوه في هذا التذمر والشكوى (ابو المجد المعري) وهو ابن اخي ابي العلاء حكيم المعرة . وقد كان ابو المجد قاضياً فيها الى ان دخلها الصليبيون سنة (٤٩٢) هـ فنزح عنها وأقام بشيزر ضيفاً على أمرائها آل منقذ ثم لجأ الى حماه الى ان مات سنة (٥٢٣) عن ثلاث وثمانين سنة قال الامير (أسامة بن منقذ) : لما فارق ابو المجد أهله بالمعرة بقي منفرداً في غربته لا مؤنس له سوى غلام اسمه (شعيا) فقال نادباً سوء حظه وما يلقاه من معاشرة (شعيا) غلامه .

(زمان غاض اهل الفضل فيه فسقياً للحمام به ورعيا)
(أسارى بين أتراك وروم وفقد أحبة ورفاق شعيا)

اما أسامة بن منقذ صاحب قلعة شيزر الذي روى لنا خبر (ابي المجد المعري) فانه نزل به ايضاً من الغربة ومفارقة الأهل والوطن ما نزل برفيقيه فانه لما جلا عن بلده شيزر نزل دمشق ثم فارقها الى مصر حتى ملك السلطان صلاح الدين فاستدعاه الى دمشق وهو شيخ قد جاوز الثمانين . قال العماد الكاتب : وكنت أتمنى ابداً لقياه . واشيم على البعد حياه . حتى لقيته في صفر سنة ٥٧١ هـ ثم مات سنة ٥٨٤ هـ ودفن شرقي جبل قاسيون قال ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي وقرأت عنده شيئاً من القرآن وترحمت عليه . حكى أسامة عن نفسه قال : « ولما بليتُ انا بفرقة الأهل كتبت الى اخي استطرد بغلامَي ابي المجد والوزير المغربي اللذين ذكراهما في شعر يهما فقلت :

(أصبحت بعدك يا شقيق النفس في بحر من الهم المبرّح زاخر)
(منفرداً بالهمّ مَنْ لي ساعة برفاق (شعيا) او علالة (داهر)

التنبيه

على غلط الجاهل والنبيه

— ٢ —

❊ فصل الهمزة ❊

فاعلم ان من جملة ما يلحنون فيه (فيما فاؤه همزة) لفظ (الإِباء) يزيدون فيه ياء فيقولون (إيباء) وكأنهم يظنونه من الإِفعال . وقد نظمت في هذا ما يدلهم على الصواب . وبعيّن بابه من بين الأبواب . فقلت :

(أخو الجهل الموقّر لا يبالي   أينطق بالخطا ام بالصواب)
(وأما من له عقل سليم   أبى يأبى إباءً فهو آبي)

ومنها لفظ (الإِباق) يزيد فيه اكثر الناس تاء فيقولون (الإِباقة) زعماً منهم ان اللفظ من باب الإِفعال . وقد غيره الإِعلال كالإِفاقة مثلاً . لكنه من الثلاثي والهمزة أصلية . قال في الصحاح أبَق العبد يأبِقُ (بكسر الباء وضمها) اي هرب .

ومنها لفظ (ابي ايوب) هو كنية خالد بن زيد الانصاري الخزرجي المشهور رضي الله تعالى عنه والعوام يقولون (أيوب) زعماً منهم انه اسمٌ له .

ومنها قولهم بالآخر على وزن فاعل وقول بعضهم (بالآخَرة) بفتح الخاء في موضع (بأَخِرَة) على وزن نَحِرَة . ففيها لحنان : تحريف لفظ (أَخِرة) وادخال اللام عليه . والصحيح حذف اللام لانها في موضع الحال تقول جاءني فلان أَخِرةً وبأَخِرةٍ وعرفته بأَخِرةٍ اي أخيراً وحق الحال ان تكون نكرة [1] .

ومنها لفظ (ام غيلان) يلحنون فيه ويقولون (مغيلان) فان زعموا انه صح بكثرة

---

(١) قصر المؤلف كلامه على تصحيح (أَخِرة) لحكمة وكان عليه ان يتم تصحيح (الآخر) على وزن فاعل فصوابه (آخراً) من دون أل يقال جاء آخراً اي اخيراً . والظاهر ان إعراب هذه الكلمات على الظرفية لا الحال كما قال المؤلف وان كانت في قوة الحال في المعنى اي متأخراً .

الاستعمال وصار كأنه من الالفاظ الأعجمية — قلنا قد عرفت ان كثرة استعمال الغلط لا يخرجه من الغلطية · وان سلّم فلا اقلّ من معرفة الأصل وعروض التحريف · وان ادّعوا ان سبب استعماله خفته على اللسان قلنا فلمَ يقولون في المقياس أم القياس مع انه [1] أخف وأصح · و بالجملة لا يُعذر اهل العلم في هذا · و (أمّ غَيْلان) شجرة السَمُر التي تكثر في بوادي الحجاز ·

ومنها لفظ (الإناث) هو ككتاب جمع الانثى ذكره في القاموس · والبعض بضم [2] همزته وهو وهم صريح ·

ومنها (الأنانية [3]) هي اختراع محض لا أصل لها ·

ومنها لفظ (الأوان) هو كزمان لفظاً ومعنىً وبعض الناس تمدّ همزته · فقلت في هذا :

(أنكرُ لحنَ أبناء الزمان ووهمَ الناس في لفظ الأوان)

(ولو حاولت للأوهام عداً اذا ضاقت عن البعض الأواني)

ومنها لفظ (الإيوان) هو والإوّان بكسر اولها الصُفّة العظيمة كذا في الصحاح والقاموس · والناس يفتحون همزته وهو لحن اذ هو لفظ [4] عربي كالديوان ولكن يجوز الفتح [5] في الديوان حكاه في القاموس · وتكسير الإيوان أواوين كديوان ودواوين لان أصله إوّان أبدلت من احدى الواوين ياء كما ذكر في الصحاح · ويمكن الاعتذار بان أهل بلادنا تلقفوا [6] هذه الكلمة من أبناء العجم وهو مفتوح الهمزة في لغاتهم [7] ·

فصل الباء

ومنها (في فصل الباء) (البرّية) بتشديد الراء الصحراء والجمع براري وتخفيف الناس راءها غلط اذ هي بالتخفيف فعيلة من بَرَأ الله الخلق اي خلقهم والجمع البرايا [8] والهمزة مليّنة ·

---

(١) اي مع ان لفظ المقياس · (٢) اما المضموم الهمزة فهو أُناس بالسين بمعنى الناس (٣) تصحيح الانانية ساقط من بعض النسخ (٤) صوابه غير عربي وفي التاج نقلاً عن المحكم وهو أعجمي (٥) اي فتح الدال (٦) وفي نسخة تلقّوا · (٧) وفي نسخة في لسانهم · (٨) وفي نسخة (والجمع البرايا والبريات) ·

ومنها (البُزاق) مع اخويه البُساق والبُصاق بالتخفيف . والتشديدُ خطأ والمعنى معروف .

ومنها (البشارة) هي بالفتح بمعنى الجمال [١] . والاسم من البُشرى البِشارة بكسر الباء وضمها لا غير . والناس يفتحون الباء في الاسم من البُشرى وهماً منهم ولحناً [٢] .

ومنها (البقّم [٣]) وهو بالتشديد نص عليه في القاموس . فالتخفيف خطأ . ولا ينقص عجبي من هؤلاء القوم : يشدّدون المخفّف ويخفّفون المشدّد كأنهم جبلوا معكوسين .

ومنها (الباكرة) وهي من مخترعات العوام وليست من كلام العرب والصحيح البِكْر .

ومنها (البلّور) هو على وزن التَنّور والسنّور وبالتخفيف كَسِبَطْر [٤] جوهر معروف كذا في القاموس . فكسر الباء مع ضم اللام على ما هو المشهور خطأ .

ومنها لفظ (الابن) يقطعون [٥] ما قبل الابن الواقع بين العلمين عنه ويكسرون باءه مبتدئين بها ويسكنون آخره فيقولون أحمد بِن محمد مثلاً . وقد شاع هذا بين الناس حتى كاد لا يتحاشى عنه الخاصة ايضاً لاعتياد الألسن له . والوجه الوصل اذ لولاه لما سقطت الهمزة . وانما ذكرتُ (الابن) في هذا الفصل [٦] لان اصله بَنَوٌ او بَنَيٌ .

ومنها (المبتني) الصحيح فيه ان يقال الامر مبتَنًى على كذا مبنيّاً للمفعول بمعنى المبنيّ لان ارباب اللغة مطبقون على ان بنى الدار وابتناها بمعنًى واحد . والناس يخطئون فيه ويقولون الأمر مبتنِي على كذا . زعماً منهم انه لازم .

ومنها (بنيامين) كاسرائيل [٧] اخو يوسف عليه السلام ولا تقل ابن يامين كذا في القاموس . وقد شاع بين الناس ابن يامين ظنّاً منهم انه لفظ عربي وليس كذلك بل هو اعجمي . واما (ابن يامن) الذي ذكره طَرَفة بن العبد البكري في معلقته حيث

---

(١) والحسن وفلان أبشر من فلان اذا كان أحسن منه وأجمل وأسمن .

(٢) وفي نسخة وخطأ . (٣) البقم خشب شجر أحمر يصبغ بطبيخه . (٤) السِبَطْر على وزن هزبر الرجل الماضي الشهم . (٥) اي يسكنون آخر اللفظ الذي قبل ابن ثم يبتدأون بالباء مكسورة مع ان الواجب تحريكه ووصله بباء ابن مع حذف همزته التي هي همزة وصل . (٦) اي فصل الكلمات التي أولها باء . (٧) وفي نسخة كاسرافيل .

يقول : (عَدَوْلِيّة أو من سفين ابن يامن [١]) فهو رجل من اهل حجر [٢] او تاجر بالبحرين وليس من اخوته عليه السلام ومعنى ابن يامن ابن رجل مسمى بيامن . و يامن [٣] من الاسماء المشهورة فكيف يصح ان يقال لابن يعقوب عليه السلام ابن يامين [٤] .

﴿ فصل التاء ﴾

ومنها (في فصل التاء) (التوأمان) هذا اللفظ تثنية توأم على وزن فوعل يقال اتأمت المرأة اذا وضعت اثنين في بطن واحد فهي متئم . وذكر في القاموس ان التوأم من جميع الحيوانات المولود مع غيره في بطن ذكراً كان أو أنثى . ويقال توأم للذكر وتوأمة للانثى فاذا جُمعا [٥] فهما توأمان . وغَلطُ الناس فيه انهم يستعملونه [٦] بمعنى التوأم . يقولون فلان توأمان فلان بالاضافة ظناً منهم انها كلمة واحدة [٧] كالزعفران والصحيح هو توأم فلان . وهما توأمان . وانما ذكرته في اول الفصل [٨] مع ان ثانيه واو لأن الواو زائدة والثاني هو الهمزة في الحقيقة وهكذا ذكره اصحاب اللغة .

ومنها (الترجمة) بفتح الجيم مصدر على وزن (فعللة) من تَرْجَمَ يقال ترجمه وترجم عنه اي فسّره . وماشاع [٩] بين الناس من ضم الجيم خطأ . وقد سمعت هذه اللفظة من بعض الأماثل فشدّدتُ النكير عليه ففكر طويلاً ثم أدى رأيه الا انها بوزن التفعلة كالتبصرة فاستحييت [١٠] ووددت اني لم اسأله عنها .

ومنها (الترجمان) يقولونه بفتح التاء وضم الجيم ولم يقل به احد من اصحاب اللغة .

---

(١) تتمته (يجور بها الملاّح طوراً و يهتدي) . (٢) بالفتح مدينة اليمامة وأم قراها ولعل صوابه هجر بالهاء لانها هي قاعدة البحرين . وفي نسخة من اهل الحجاز . (٣) وفي نسخة و يامن و ياسر . (٤) وفي نسخة ابن يامن . (٥) وفي نسخة (واذا اجتمعا فهما توأمان) . (٦) اي يستعملون (التوأمان) . (٧) اي مفردة لاتثنية . (٨) اي فصل التاء . على ان توأم اصلها (ووأم) من الوئام فهو مما أوله واو فكان الانسب ان يذكره في فصلها . (٩) كأنه سرى لم ذلك من ضم جيم ترجُمان الشائعة على الالسنة . (١٠) اذ الفرق بين الترجمة والتبصرة ان الترجمة مصدر الرباعي المجرد كالدحرجة . اما التبصرة فمصدر الثلاثي المزيد عيناً من جنس عين فعله وهو باب فرّح اذ له مصدران التفعيل والتفعلة .

قال في القاموس الترجمان كعُنْفُوان وزَعْفَران وزبرقان [١] هو المفسر للسان ·

ومنها (المتروك) يستعملونه استعمالاً شائعاً مكان التارك فيقولون مثلاً (فلان متروك) اذا ترك العلم او غيره · ولا يجوز ان يكون هذا مفعولاً بمعنى الفاعل كقوله تعالى (انه كان وعده مأتيا) وكقوله تعالى (حجاباً مستوراً) — لانه لا يجري فيه القياس بل هو مقصور على السماع · على أن صاحب الكشاف قال في قوله تعالى (مأتيا) مفعول بمعنى الفاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها · وحكى في قوله تعالى (حجاباً مستوراً) أقوالاً : منها انه حجاب لا يُرى فهو مستور · ومنها انه يجوز ان يراد به حجاباً من دونه حجاب · فهو مستور بغيره ·

ويمكن ان يُستخرج للمتروك [٢] وجه وان كان بعيداً وهو انهم نسبوا الترك الى العلم تأدباً ثم شاع هذا الاستعمال حتى قيل لمن ترك شيئاً من الصنعة [٣] متروك ايضاً ·

واما (المشغول) فهو صحيح بلا نزاع لأن من يعكف على الشيء يشتغل به عن غيره فيصح ان يقال فلان مشغول بكذا اي مصروف به عن غيره · قال في الصحاح يقال شُغِلت عنك بكذا : على ما لم يُسَمَّ فاعله ·

فصل الثاء

ومنها (في فصل الثاء) (الثِقَل) كعِنَب ضدُّ الخفة ويستعمله البعض في هذا المعنى بسكون القاف · وهو خطأ لانه [٤] اسم للثقيل قال في الصحاح الثِقْل واحد الاثقال كحِمْل واحمال ·

ومنها (الثيِّب) يزيدون في هذه اللفظة هاء [٥] و يقولون ثيّبة وهو خطأ لانها

(١) قوله زبرقان بكسر الزاي والراء · لكن الذي رأيناه في نسخة مخطوطة لدينا من القاموس وفي التاج مكان زبرقان (ريهقان) بفتح الراء وضم الهاء بمعنى الزعفران فلى هذا يقال ترجمان بفتح التاء وضم الجيم ولا غلط في كلام العامة · (٢) اي في قولهم : فلان متروك اذا ترك العلم · (٣) وفي نسخة : حتى قيل لمن ترك صنعته وفي أخرى لمن ترك ضيعته · (٤) اي لأن (ثقل) بالسكون · (٥) وفي نسخة تاء

وردت مجردة عن التاء بلا خلاف بينهم[١] قال في القاموس : الثيب المرأة فارقت زوجها اودُخل بها · والرجل دُخل به · او لا يقال للرجل الا في قولك (ولدالثيبين) يعني انه لا يطلق على الرجل الا تغليباً · وفي تحرير[٢] هذه الكلمة اختلافات تتضمن فوائد لا بأس بذكرها :

فاعلم انه قال العلامة في المفصل : للبصريين في نحو حائض وحامل[٣] وطالق مذهبان : فعند الخليل انه على معنى النسب : كلابن وتامر : كأنه قال : ذات حيض وذات حمل · ذات طلاق · وعند سيبويه انه متأول بانسان او بشيء حائض · كقولهم غلام ربعة ويفعة[٤] على تأويل النفس · وانما يكون ذلك في الصفة الثابتة · واما الحادثة فلا بد لها من علامة التأنيث فتقول : حائضة وطالقة الآن او غداً ·

أقول قد أوضح في الكشاف الفرق بين الصفة الثابتة والحادثة في تفسير قوله تعالى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) — بان (المرضع) هي التي من شأنها الإرضاع وان لم تكن ثابتة[٥] الارضاع في حال وصفها به · و (المرضعة) هي التي في حالة الإرضاع ملقمة[٦] ثديها الصبي · وذكر انه هو سبب اختيار (المرضعة) على (المرضع) لان المراد تعظيم[٧] شأن الزلزلة وهي أدخل فيها[٨] ·

ثم قال في المفصل : فمذهب الكوفيين يبطله جري (الضامر) على الناقة والجمل و (العاشق) على المرأة والرجل · على أن مذهب الكوفيين هو أن حذف التاء من نحو حائض للاستغناء عنها · وهذا يوجب اثبات التاء في محل الالتباس كضامر وعاشق وايم وثيب وعانس وغيرها[٩] على الذكور والاناث · وهذا[١٠] الاعتراض متين لكن

(١) وفي نسخة على خلاف بينهم · (٢) وفي نسخة تجريد هذه الكلمة · (٣) وفي نسخة و(طامث) بدل وحامل · (٤) رَبْعَة اي وسيط القامة وغلام يفعة شب ولم يبلغ · (٥) وفي نسخة وان لم تكن تباشر الإرضاع · (٦) وفي نسخة تلقم · (٧) وفي نسخة تفظيع · (٨) كذا في النسخ ولعل صوابه فيه اي في تعظيم شأن الزلزلة والمعنى ان إلقام الثدي والإرضاع بالفعل أدخل في تعظيم شأن الزلزلة وأشد تصويراً لاحضار هولها في أذهان المخاطبين · (٩) متعلق بمحذوف اي مما يصح اطلاقه على الذكور الخ · (١٠) وفي نسخة لان الاعتراض الخ ·

الاعتراض باثبات التاء في الاوصاف المختصة بالاناث كامرأة مُصْبِيَة وكلبة مُجْرِيَة على ماذكره في الصحاح[١] ليس بسديد : لأن ماذكروه مجوّز لا موجب : لانهم يقولون: الاتيان بالتاء في صورة الاستغناء جَرَى على الاصل كحاملة في المرأة . قال في الصحاح : يقال امرأة حامل وحاملة : اذا كانت حبلى : فمن قال حامل قال هذا نعت لا يكون الا للإناث . ومن قال حاملة بناها[٢] على حَمَلَتْ فهي حاملة . وأنشد[٣] :

(تَمخضت المنون له بيوم أَنَى[٤] ولكل حاملة تمام)

فاذا حملت المرأة شيئاً على ظهرها او على رأسها فهي حاملة لا غير لان الهاء انما تلحق للفرق فيما لا يكون[٥] للمذكر لاحاجة له فيه الى علامة التأنيث فان أتي بها فانما هو على الاصل هذا قول اهل الكوفة انتهى . وانما أطنبتُ الكلام في هذا المقام تكثيراً للفوائد . (للكلام صلة)

---

(١) وفي نسخة على ما ذكره في الاوصاف . (٢) وفي نسخة بناه . (٣) وفي نسخة (وأنشد للشيباني عمرو بن حسان) . (٤) وفي نسخة (أنى) اي دنا وقرب وحضر . (٥) قوله فيما لا يكون الخ وفي نسخة (فأما ما لا يكون للمذكر فقد استغنى فيه عن علامة التأنيث فان اتى بها الخ) ورجعنا الى عبارة الصحاح فاذا هي هكذا (فما لا يكون للمذكر لاحاجة فيه الى علامة التأنيث فان أتى بها الخ) ولعل صواب العبارة هكذا : (انما تلحق للفرق فيما لا يكون للمذكر حاجة الى علامة التأنيث الخ) .

الجزء ٣ المجلد ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) آذار سنة ١٩٢٦ م الموافق شعبان ورمضان سنة ١٣٤٤ هـ

نموذج من معجمنا (١)

« في العاميّة المصرية »

الدِوان

بفتح فسكون فكسر والأتراك يضمّون داله ولهم فيه لغات وهو عندهم بمعنى لباس اليد والعامة تستعمله في ذلك ولم تغير في لفظه الا الضم في الدال — بالكسر . وقد قلّ استعمال هذا اللفظ الآن بعدما فشت العجمة الافرنجية بينهم واستعاضوا عنه (بالجِوَنْتي) وصفة هذا اللباس انه شبه خريطة تعمل على مثال اليد باصابعها فتلبس للوقاية من البرد او للزينة ويخصّ الابيض منه بالزينة في المواكب فيلبس مع حلة التشريف . والعرب تقول له القُفَّاز بضم القاف وتشديد الفاء وكانت تتخذه من الجلود واللبود ومنه ما كان يجعل له بطانة وظهارة ويحشى بالقطن وتكون له أزرار تزرّر على الساعدين من البرد ومنه ما كان طويلاً يصل الى كعوب المرفقين . وتدل النصوص اللغوية على انه كان خاصاً بالنساء عند العرب . وهو من خير الألفاظ المرادفة للالدوان .

---

(١) عُني العلامة الاستاذ احمد تيمور باشا احد اعضاء مجمعنا منذ سنين بوضع معجم في العامية المصرية فأتمه وهو على عزم طبعه عما قريب وقد رجوناه ان يتفضل ويكتب لنا نموذجاً منه فتكرم على عادته واقتطف من كل حرف من حروف المعجم لفظة وها نحن ننشر بحثه مع الشكر ليرى العلماء والادباء مبلغ تحقيق العلامة المشار اليه وينتفع طلاب هذا الشأن بثمرة علم الاستاذ .

ومن القنافيز نوع كان يلبسه حاملو البزاة في خروجهم الى الصيد ويسمونه بالدستبان وهو لفظ فارسي معناه حافظ اليد وفي قصد السبيل للمحبي انه معرّب ولم نره في كلام عربي فالظاهر انه مولد التعريب · ولابي نواس من طردية في وصف البازي وكان دستبانه من فرو ·

لما رأيت الليل قد تشزّرا　　عني وعن معروف صبح أسفرا
كسوت كفّي دستباناً مُشْعَرا　　فروة سنجاب لؤاماً أو برا
تقي بنان الكف ان لا تحصرا　　وغمزة البازي اذا ما ظفرا

وقال ابو الفرج الاصبهاني في وصف الخمر من قصيدة :

وسلاف كالتبر أذكى من المسـ　　ـك واصفى صبغاً من الزعفران
وكأن اليد التي تحتويها　　من صبيب العقيان في دستبان

ومثله قول الخبّاز البلدي :

قهوة لو أنها نطقت　　ذكرت قحطان في العرب
وهي تكسو كف شاربها　　دستبانات من الذهب

اي كأن شعاع الخمر على يد حامل الكأس كساها دستباناً من عقيق اوذهب · وهو كثير الورود في شعر المولدين ولا سيما في الطرديات عند ذكر البزاة والصقور · والعرب تقول للدستبانات الختاع بكسر الاول ككتاب على ما هو وارد في النصوص اللغوية قال عاصم في ترجمة القاموس وعلى هذا فهو جمع «واحدته ختاعة» قلنا ولا يخفى ان الجمع الذي بينه وبين واحده التاء نادر في غير المخلوق فان ثبت هذا فهو من المسموع كما سمع في جمع سفينة سفين وفي لَبِنة لبن ·

وربما اطلقوا الدستبان على ما يلبس للزينة كما يعلم من قول ابن بطوطة في وصفه لهدية سلطان الهند لملك الصين «وعشر خلع من ثياب السلطان مزركشة وعشر شواشي (1) من لباسه احداها مرصعة بالجوهر وعشرة تراكش (2) مزركشة

(1) الشواشي كلمة مولّدة يريدون بها جمع شاشيّة بمعنى القلنسوة التي تلف عليها العمامة نسبة الى النسيج المعروف عندهم بالشاش وهو الذي تتخذ منه العمائم عادة ·

(2) التراكش جمع تركش وهي كلمة مولّدة فارسية الاصل يريدون بها كنانة السهام ·

احدها مرصع وعشرة من السيوف احدها مرصع الغمد بالجوهر والدستبانات وهو قفاز مرصع بالجوهر » . والظاهر انه كان مرصع الازرار او كان الترصيع فيما يلي منه رسغ اليد في موضع السوار ولا يبعد انه كان مرصع الظهر في موضع خطوط الحرير التي توشّى بها بعض القفافيز اليوم .

باغة

الباغة مادة تعمل منها الامشاط والاسورة ونحوها والحافظ للفائف الدخان وقد تعمل منها العصيّ الثمينة وبعض الطُرَف . وهي دخيلة في العاميّة من التركية وتطلق في هذه اللغة على انواع السلاحف والضفادع و يراد بها ايضاً ظهر السلحفاة البحرية الذي تعمل منه هذه الاشياء وهو المراد بهذه اللفظة عند العامة . وفي الدرر المنتخبات المنثورة للحفيد انها دخيلة في التركية ومحرفة عن (باخة) بمعنى السلحفاة في الفارسية و يظن الاستاذ بدروس العكس في معجمه الاشتقاقي للالفاظ التركية المؤلف بالفرنسية .

وقد تقلّد الباغة بالملام وبمواد أخرى وقد تطلقها العامة توسعاً على مواد تتخذ منها هذه الطرف وان لم تشبه الباغة . و يرادف الباغة من الفصيح الذبل بفتح فسكون وهو ظهر السلحفاة البرية او البحرية الذي تتخذ منه الاسورة والامشاط وقيل عظام ظهر دابة من دواب البحر قال جرير يصف راعية :

ترى العَبَس الحوليّ جوناً بكوعها لها مَسَكاً من غير عاج ولا ذبل[1]

وفي تصحيح التصحيف وتحرير التحريف للصفدي : « و يقولون ذِبْل والصواب ذَبل بفتح الذال قال ابو عمرو أخبرني ثعلب عن ابن الاعرابي ان الذبل ظهر سلحفاة يعمل منه المشط » . وقال علي بن حمزة البصري في التنبيهات في كلامه على أغلاط الكامل للمبرّد « وقال ابو العباس : الذبل شيء يتخذ من القرون كالاسورة وهذا غلط انما الذبل قشر ظهر دابة من دواب البحر معروف اوصدف له وقد قيل ان الذبل جلود سلاحف البر حكاه ابن دريد وغيره » . وقد استعمله المولّدون فيما استعملته فيه العرب وورد بذلك في كثير من كتب الأدب والتاريخ كقول مسلم بن الوليد .

(١) العبس بالتحريك الوسخ والمسك بالتحريك ايضاً الأسورة والخلاخيل .

معذّقة لا تشتكي وطأ عاصر حرورية في جوفها دمها يغلي
أغارت على كفّ المدير بلونها فصاغت له منها أنامل كالذبل

قال شارحه قوله فصاغت اي عملت له منها أنامل كالذبل في لونها والذبل عظام صفر كعظام الفيل و يقال انه من سلحفاة البحر وانما يريد ان الخمر يخرج لها شعاع من ظاهر الزجاجة تصفر منه أنامله انتهى · وفي سلسلة التواريخ « ويحمل اليهم العاج واللبان وسبائك النحاس والذبل من البحر وهي جلود السلاحف » · وفي المسالك والممالك لابن خرداذبة [١] في الكلام على البحر الشرقي الكبير « وفيه سلاحف استدارة السلحفاة عشرون ذراعاً وفي بطنها مقدار الف بيضة وظهورها الذبل الجيد »· وفي نخبة الدهر لشيخ الربوة في وصف بحر اليمن ومافيه « وحيوان يسمى البسة [٢] طوله نحو عشرين ذراعاً وظهره عظيم [٣] اسود موشّى باصفر حسن التوشية رقيق وهو سطح جلده وهو الذبل الذي يصنع منه الناس أمشاطاً ونُصُب السكاكين والخواتيم وغيرها » ·

تُلّ

التُّل بضم التاء وتشديد اللام نسيج من القطن او الحرير ذو عيون يشفّ عما وراءه تعمل منه الكلل المسماة عندهم بالناموسيات لاتقاء البعوض وقت النوم ويعملونها عادةً من الابيض القطني منه · وتتخذ نساء الريف من اسوده خُمُراً يسمى الواحد منها (باليمنية) ويسمى في الصعيد (بالتلية) نسبة الى التل ولكن بكسر الاول · ولفظه دخيل في العامية من الفرنسية واصله (Tulle) سمي باسم المدينة التي بنيت له اول

(١) المعروف انه بالباء الموحدة وفي مادة (ر د م) من شرح القاموس للزبيدي انه بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال بعدها الف وكسر الذال المعجمة وسكون الياء التحتية وآخره هاء · (٢) كذا بالنسخة وترجمت في آخر الكتاب بكلمة (La tortue) اي السلحفاة ولم نعثر عليها في معاجم اللغة والحيوان ولعلها مولّدة او تكون محرّفة عن الحَسَة بفتحتين وهي دابة بحرية او السلحفاة كما في القاموس · وفي شرح السيرافي على كتاب سيبويه « والفيلم ذكره سيبويه في الاسماء وهو دابة في البحر يقال لها السلحفاة · قال ابو سعيد رأيت بعض العرب المجاورين للبحر يسمونها الحَسَة » · (٣) لعل الصواب عظم ·

مناسج بهـا وهي مدينة (Tulle) قصبة كورة كوريز (Corrèze) بفرنسة والاتراك يقولون (تول) بتخفيف اللام ·

ويرادفه من الفصيح السكب بفتح فسكون وقد عرَّفه اللغويون بانه ضرب من الثياب رقيق كأنه غبار او سكب ماء من رقته ثم اردفوا هـذا التعريف بقولهم « والسكبة مشتقة من ذلك وهي الخرقة التي تقوّر للرأس كالشبكة تسميهـا الفرس الشستقة » فـدلوا بذلك على ان السكبة تعمل من نسيج ذي عيون كالشبكة اي شبه التي تسمى عند العامة الآن (بالطاقية الشبكة) وان اختلف فيها نوع النسيج · والتل كما لا يخفى نسيج على هيئة الشبكة رقيق كأنه غبار ·

ويجوز لنا تسميته (بالمعيّن) بتشديدالياء اسم مفعول من عيّن والاصل فيه ما كان منقوشاً بشبه العيون قال في القاموس : « والمعيّن كمعظّم ثوب في وشيه ترابيع صغار كعيون الوحش » وقد ورد بهذا المعنى نظماً ونثراً في كثير من كتب الادب فلا مانع من اطلاقه ايضاً على هذا النوع من الثياب ذي العيون اي الثقوب ·

جكتّه

بالجيم الأعجمية المفتوحة وامالة الكاف وتشديد التاء او جاكتّة بالالف وبعضهم يقلب الجيم زاياً فيقول زكتّة · وكان الصواب ان ترسم بالزاي الأعجمية المنقوطة بثلاث المصطلح عليها في تصوير هذه الجيم ولكنا جارينا كتّاب العامة في رسمها · ويراد بها رداء قصير يستر النصف الأعلا من الجسم وهي دخيلة في العامية من الايطالية (Giacchetta) ويقال لها بالفرنسية (Jaquette) · وقد وضع لها المجمع العلمي العربي بدمشق (الرداء) ولا بأس به اذا اصطلح عليه لان الحلّة عند العرب رداء وازار فالرداء ما ستر النصف الاعلا والازار ما ستر الأسفل · واذا اعترض بان ذلك كان في غير المخيط يجاب بان العرب أبقت على كثير من اسماء ملابسها لما لبست المخيط وحسبنا ان الحلّة أطلقت على اللباس الكامل المشتمل على سروال وجبة وغيرهما اي على ما نسميه اليوم (بالبدلة) وكانت في الاصل للرداء والازار ·

ويرادف الجكتّة ايضاً الجُمّازة بتشديد الميم وحقق ابن الاثير انها بضم الاول

وهي على ما في المخصص « درّاعة قصيرة من صوف » وقد فسر صاحب اللسان الدراعة بانها جبة مشقوقة المقدَّم ولا يخفى ان الجكّتة ما هي الآ جبة قصيرة مشقوقة المقدَّم ·

وورد لفظ النصفية في عبارات المؤلّفين لنوع من الثياب والظاهر ان المراد بها شبه جبّة قصيرة تستر نصف القامة ولهذا نسبوها الى النصف · ففي الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر في ترجمة علي بن احمد الأسديّ الملقب بزين الدين العاير « واهدى اليه بعض اصحابه نصفية فسرقت » الخ · وأنشد ابن حجة في خزانة الأدب لجمال الدين بن نباتة وقد أنعم عليه بنصفية :

سُوَرَ الذِكرِ سهّلت لي نصفية علت
فياسين عوّذت وبحاميم فصلت

وتلطف بكتابته الى من أنعم عليه بالنصفية بقوله :

ياسيدي نصفيتي قد فصلت وعجزت لما غبت عن تبطينها
ما حلت فيها عن ندا نعمى يديــ ـك ولا اتخذت بطانة من دونها

وأنشد الأدفويّ في الطالع السعيد لحسن بن هبة الله وكان حاضراً درس الفقيه شمس الدين النوّيّ وحضر العسقلاني فوقع على نصفيته حبر :

جاء البهاء الى العلوم مبادراً مع ما حوى من اجره وثوابه
ملئت صحائفه بياضاً ساطعاً غار السواد فشنّ في أثوابه

وأنشد النواجيّ في حلبة الكميت لابي الحسين الجزّار :

لي نصفية تعدّ من العمــ ـر سنينًا غسلتها الف غسلة
لا تسلني عن مشتراها فتيها منذ فصلتها نشاء بجملة
نشف الريح صدرها والارازبــ(١) فباتت تشكو هواء ونزلة
كل يوم يحوطها العصر والدقّ مراراً وما تقرّ بعملة

وتدل ابيات الجزار على ان نصفيته كانت من نسيج أبيض تغسل وتدقّ وتسقى بالنشاء وله ايضاً :

(١) جمع ارزبّة لعصيّة من حديد والمراد هنا التي تتخذ لدقّ الثياب ولعل الدق كان يقوم مقام الكيّ الآن ·

أشكر مولاي وتصفيتي تشكره اكثر من شكري
أراحها جدواه من كل ما تشكوه من دق ومن عصر
كم مرة كادت مع الماء اذ يغسلها غسالها تجري
تموت في الماجور لولا الشتا يبعثها في ساعة النشر

واللفظ صحيح وان كان مولّد الوضع وعدم وضوح المراد منه وضوحاً شافياً غير مانع من اطلاقه على الجكتة اذا اردناه او اطلاقه على (القميص الافرنجي) لانه يستر النصف و يُغسل و يُسقى بالنشاء ويكوى كنصفية الجزار فنستغني بكلمة عن كلمتين كما استغنينا بالشعار عن قولنا القميص الداخلي او القميص الذي يلي الجسد عند ارادة تمييزه. والعبرة بالتواضع بعد ان يكون اللفظ صحيحاً مناسباً للمعنى .

(تتمة) قال ياقوت في معجم البلدان : « وحزّة ايضاً بليدة قرب اربل من ارض الموصل تنسب اليها النصافي الحزّية وهي ثياب قطن رديئة » والظاهر ان لا علاقة بينها وبين النصفية المتقدم ذكرها ولا يبعد ان تكون سميت بذلك لان شقة كل ثوب منها كانت على النصف من شقق الثياب الاخرى .

حطب

التحطيب لعب يتكافحون فيه بالعصيّ يشبه المثاقفة بالسيوف اشتقوه من الحطب اي العصيّ وهو اشهر اسمائه و يسمى في الصعيد لعب (القَلاوي) وفي جهات الفيوم خاصة (الملاقفة) وفي بعض جهات الريف (المحاجنة) ولعلها مقلوب المجاحفة من قولهم تجاحفوا اذا تناول بعضهم بعضاً بالعصيّ والسيوف على ما في كتب اللغة .

واكثر ما يفعلونه في الأعياد والمواسم ومواكب الأعراس ولا سيما أعراس القرى فيقفون بالموكب وقفات في الطريق يتكافح فيها اللاعبان . وصفة هذه المكافحة ان يتبارز فتيان بيد كل منها هراوة يسمونها (بالنبوت) يضرب بها وتتلقى الضربات فتكون سلاحه وترسه فاذا شرعا في اللعب كان همّ كل واحد ان يصيب ولا يصاب فلا يزالان يتكافحان حتى يجد احدهما غرّة من صاحبه فيصيبه اصابة خفيفة يسمونها الكشف ويقولون قد كشفه فيجتهد المصاب ان يقابل هذه الضربة بأخرى اقوى منها

يسمونها (الفَطا) اي الغطاء فاذا اصابه استوت اللعبة ولم يغلب احدهما الآخر والا عُدَّ المكشوف مغلوباً . وللتحطيب رسوم يلتزمونها عندالبدء فيه وعند الاشتباك وأنواعٌ تختلف باختلاف الجهات لا فائدة من ذكرها .

وقد سميت هذه اللعبة في بعض العصور (باللبخة) وهي لفظة مولّدة لم نعثر عليها في المعاجم ولكن لها اصلاً في اللغة ففي اللسان « اللبخ الاحتيال للاخذ واللبخ الضرب والقتل » الى ان قال « واللباخ اللطام والضراب » . وعدّها السخاوي في الضوء اللامع من انواع الفروسية فقال في ترجمة محمد بن مهنّى بن طرنطاي العلائي « وكان فاضلاً خياراً درس بالازهر وغيره وانتفع به الفضلاء كل ذلك مع براعته في رمي النشاب والبندق والرمح واللبخة والدبوس وغيرها من انواع الفروسية » . وقال الشيخ الشعراني في طبقاته الكبرى المعروفة بلواقح الانوار في ترجمة الشيخ عثمان الحطاب المتوفى سنة نيّف وثماني مئة مانصه : « وكان شجاعاً يلعب اللبخة فيخرج له عشرة من الشطار ويهجمون عليه بالضرب فيمسك عصاه من وسطها و يردّ ضرب الجميع فلا تصيبه واحدة هكذا أخبر عن نفسه في صباه » . ومنه يعلم انها المسماة الآن بالتحطيب او قريبة منه .

ولعل المكافحة من اصلح الالفاظ لهذه اللعبة وهي في اللغة المضاربة والمدافعة تلقاء الوجه و يقال كفحه بالعصا اذا ضربه مواجهة .

كتاب الاوراق للصولي

من الاسفار التي حوتها دار الكتب المصرية جزء من كتاب الاوراق للصولي من اهل القرن الرابع . وقد استنسخه لخزانته العلامة احمد تيمور باشا ونظر في النسخة المنسوخة ، وجعل لها فهرساً على عادته في معظم ما اقتناه وضمه الى جملة كتبه المعتبرة .

والصولي هو ابو بكر محمد بن يحيى بن العباس ترجم له ابن النديم في الفهرست بانه من الادباء والظرفاء والجامعين للكتب ، نادم الراضي وكان اولاً يعلّمه ونادم المكتفي ثم المقتدر دفعة واحدة ، وكان من ألعب اهل زمانه بالشطرنج حسن المروءة ، وعاش الى سنة ثلاثين وثلاثمائة (او سنة خمس وقيل ست وثلاثين وثلاثمائة) وتوفي مستتراً بالبصرة لانه روى خبراً في علي عليه السلام فطلبته الخاصة والعامة لتقتله . وله من الكتب كتاب الأوراق في اخبار الخلفاء والشعراء ولم يتمه ، والذي خرج منه اخبار الخلفاء باسرها ، واشعار اولاد الخلفاء وايامهم ، من السفاح الى ايام ابن المعتز ، اشعار من بقي من بني العباس ممن ليس بخليفة ولا ابن خليفة لصلبه ، واول ذلك شعر عبد الله بن علي وآخره شعر ابي احمد محمد بن احمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عيسى بن المنصور ، ويتلو ذلك اشعار الطالبين ولد الحسن والحسين وولد العباس بن علي وولد عمر بن علي وولد جعفر بن ابي طالب ثم تلي ذلك اشعار ولد الحارث بن عبد المطلب ، وبعده اخبار ابن هرمة ومختار شعره واخبار السيد الحميري ومختار شعره ، قال ابن النديم وهذا الكتاب عوّل عند تأليفه على كتاب المرثدي في الشعر والشعراء بل نقله نقلاً وانتحله وقد رأينا دستور الرجل في خزانة الصولي فافتضح به .

وذكر ابن النديم من كتبه كتاب الوزراء ، كتاب العبادة ، كتاب ادب الكاتب على الحقيقة (طبع حديثاً) ، كتاب تفصيل السنان ، كتاب الانواع ولم يتمه ، كتاب سؤال وجواب رمضان لابي النجم ، كتاب رمضان ، كتاب الشامل في علم القرآن ولم يتمه ، كتاب مناقب علي بن الفرات ، كتاب اخبار ابي تمام ، كتاب اخبار الجبائي ابي سعيد ، كتاب العباس بن الاحنف ومختار شعره ، كتاب اخبار ابي عمرو بن العلاء كتاب الغرر . ومما صنفه ابو بكر من اشعار المحدثين على حروف المعجم : ابن الرومي ،

ابوتمام ، البحتري ، ابو نؤاس ، العباس بن الاحنف ، علي بن الجهم ، ابن طباطبا ، ابراهيم بن العباس ، ابن عيينة ، ابن شراعة ، الصولي ، ابن الرومي . وكان اغلب فنون الصولي « اخبار الناس وله رواية واسعة ومحفوظات كثيرة ، وكان حسن الاعتقاد جميل الطريقة مقبول القول » . والصُولي (بضم الصاد) نسبة الى صُول وصول رجل من الاتراك كان خود واخوه فيروز ملكي جرجان تمجسا وتشبها بالفرس .

والجزء الذي أمامنا من كتاب الاوراق يبدأ بترجمة أبان عبد الحميد اللاحقي ناقصة من اولها واخبار ابان مع الرشيد ومع جماعة من الشعراء ، وماروي في صحة دينه وغزله ومختار من شعره في المدح وغيره ، ومختار شعره في قصائده المزدوجات . وفيه ترجمة ابنه حمد بن ابان وشعره ، وترجمة ابان بن حمدان بن ابان ، وعبد الله بن عبد الحميد اللاحقي ، واسماعيل بن بشر بن المفضل اللاحقي ، واشجع السُلمي ومختار شعره في المديح وغزله ومراثيه ، وترجمة احمد بن عمرو اخو اشجع ، وأُسرة احمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون ، واحد كتاب الدنيا ، وهم ابوالقاسم يوسف بن القاسم ، والقاسم بن يوسف ، واحمد بن يوسف وزير المأمون ، وعبدالله بن احمد بن يوسف ، ومحمد بن عبدالله بن احمد بن يوسف ، واحمد بن ابي سلمة الكاتب ، وهو ابن اخت احمد بن يوسف وزير المأمون .

هذه ابواب هذا الجزء من كتاب الاوراق و يدخل في النسخة التيمورية في ٣٨٥ صفحة و يغلب التحريف كثيراً على نسخة الاصل . و كيف كان فان فيه فوائد في الشعر والاخبار قلما توجد في غيره ، ولاسيما اخبار احمد بن يوسف الكاتب وشعره ونثره وشعر آل بيته وحبذا لو عُني احد الوراقين بطبعه ، فانه من المواد المتممة لاخبار الادباء والشعراء ، و يقرأوه الناس بلذة و يتداولونه مغتبطين ، لانه عنوان الادب في القرن الثالث ونموذج من حالة امتنا الاجتماعية في تلك العصور البعيدة .

وهاكم الآن نموذجات من كتاب الاوراق قال أبان ابيات بعث بها مع الفضل فأمر له بعشرين الف درهم وهي :

نشدت بحق الله من كان مسلماً اعم به ما قلته والعجم العرب
اعم نبي الله اقرب زلفة اليه ام ابن العم في رتبة النسب

وايهما اولى به وبعهده ومن ذا له حق التراث بما وجب
فان كان عباس احق بتلكم وكان عليٌّ بعد ذاك على سبب
فابناء عباس هم يرثونه كما العم لابن العم في الارث قد حجب
وفي حسن اذ قلتم فيه حجة فقد باعها لا ينكر الناس اووهب
فان كان ذا حق فعمداً أضاعه وان ذا دعوى فكفوا عن الشغب
وهبه كما قلتم وليس كذاكم اما زادكم عنها المطالب فاعتصب
فاهملتموها لم تروا حيلة لها الى ان اراد الله اتمام ما احب
يخط بنو مروان منها وحظكم مع الغيظ والحرمان والعيلة الحرب
نقام بها من لم يكلها اليكم ومن هو اولى بالذي بزّ واستلب
امام بني العباس حين سما لها وبالله فيما رام ادرك ما طلب
فشرد اهلوها وأدى وصية بحبس ابن مروان فلم وا احتسب
فان كانت القربى فهم اهل حقه وهم اهلها ان كان حق لمن غلب

قال الصولي : حدثنا محمد بن علي الماوردي قال حدثنا الجاحظ قال قيل لأبان قل في الغزل كما يقول فيه ابو نواس قال : ابو نواس لم ينقل الكتب بشعر كما نقلت وانما اعمل الشعر فيما ينفعني وقال أبان :

حرمتك بعد وصالها وسئمت طول مقامها
ورمت فلم تخطئ فؤا دك مرشقات نبالها
لما رأت كلفي بها منعت قليل نوالها
ولمان ما ارضى به وأراه من اجمالها
انس الحديث وقبلة اشفي الصدا بزلالها
فاذا أردت عتابها ألجمت من إجلالها
فكر الفؤاد بها وهمّ الـ ـنفس من بلبالها
اما النهار فلا تجف الـعين من تهمالها
وأبيت منتحي الهمو م اخوض في اهوالها
وكأن ناظر مقلتي وقف على تمثالها

ونبيت فارغة الهوى ما ان خطرت ببالها
لو خيرت من خلقها لم تعدُ فضل كمالها
ماء الشباب بخدّها والحسن في سربالها
فالموت ان هي أدبرت والعيش في إقبالها

وقال أبان في قصيدته التي نقل بها كليلة ودمنة :

هذا كتاب كذب ومحنه وهو الذي يدعى كليلة دمنه
فيه دلالات وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهند
فوصفوا آداب كل عالم حكاية عن ألسن البهائم
فالحكماء يعرفون فضله والسخفاء يشتهون هزله
وهو على ذاك يسير الحفظ لذّ على اللسان عند اللفظ
يا نفس لا تشاركي الجهّالا في حب مذموم كأن قد زالا
يا نفس لا تشقي ولا تعنّي في طلب الدنيا ولا تمني
ما لم ينله احد الا ندم اذا تولى ذاك عنه وسدم
دنياك بالاحباب والاخوان كثيرة الآلام والاحزان
وهي وان نيل بها السرور آفاتها وغمها كثير
يانفس لايحملك حب اهلك ولا أدانيك على ان تهلكي

ومنها : ومثل الدنيا كبرق الخلب من يغترر منه يبقى يكذب
وهو قياساً مثل نوم النائم يفرحه أضغاث حلم الحالم
حتى اذا استيقظ صار همّاً ما كان في النوم به ألمّا
فكيف بالصبر على ايام عما قليل هن لانصرام
وكيف والدنيا بلاء كلها لا يأمن الآفات فيها اهلها

وقال من باب الاسد والثور :

وان من كان دنيّ النفس يرضى من الارفع بالاخس
كمثل الكلب الشقي البائس يفرح بالعظم العتيق اليابس

وان اهل الفضل لا يرضيهم شيء اذا ما كان لا يعنيهم

* * *

وتلك اخلاق اللئيم الفاجر الكافر المغرور غير الشاكر
ما إن يزال ناصحًا نفاعا حتى يرى من حاله ارتفاعا

* * *

وربما كان هلاك الشجر في حسن الغصن وطيب الثمر
وذنب الطاووس فهو زينته كذاك احياناً وفيه حينه
وباذل النصح لمن لم يشكره كطارح في سبخ ما يبذره

* * *

الرجل العاقل من لا يسكره كأس سمو واقتدار ينظره
فالجبل الثابت في اصوله لا يقدر الريح على تحويله
والناقص العقل الذي لارأي له يطغى اذا ما نال ادنى منزله
مثل الحشيش اينما ريح جرت مالت به فأقبلت وأدبرت

* * *

الرجل العاقل فيما يسديه مغتبط لكسبه للحمد
لانه باع قليلاً فانيا واعتاض من ذاك كثيراً باقيا
فأغبط الناس الكثير نائله ومدرك النجح لدين سائله
فلا تعدن ذا غنى غنيا حتى يكون ماجداً سريا
واعلم بان الملك المشاورا ذا العقل فيما به (؟) المؤازرا
فانه يعضد بالتأييد يغنى به عن كثرة الجنود
والتابع الحازم امر الحزمة النصحاء غير اهل التهمة
يزداد حزماً بهم ورشدا زيادة البحر اذا ما مدا
بما يصب فيه من انهاره حتى يهيج الموج من تياره
والموت من مات كريمًا صابرا خيراً من العيش ذليلاً صاغرا

قال الصولي والاحسان في هذه القصيدة قليل . ولما عمل ابان كتاب كليلة ودمنة شعراً في قصيدته المزدوجة اعطاه البرامكة على ذلك مالاً عظيماً ، فقيل له بعد ذلك اعمل شعراً في الزهد فعمل قصيدة مزدوجة في الصيام والزكاة يوائم بها تلك وقد وجدت هذه القصيدة وترجمتها :

قصيدة الصيام والزكاة   نقل أبان من فم الرواة

ومما اختاره الصولي من قصيدة حمدان بن ابان بن عبد الحميد بن ابان في وصف الحب واهله وهي طويلة :

مابال اهل الادب   منا واهل الكتب
قد وصفوا الآدابا   وأتعبوا الكتابا
لكل فن دفتر   منقط محبر
ففرقت أجناسا   وعلموها الناسا
بالحيل الرقيقة   والفطن الدقيقة
فأرشدوا الضلالا   وعلموا الجهالا
سوى المحبين فلم   يرعوا لهم حق الذمم
في علم ما قد جهلوا   وما به قد ابتلوا
قد غلقت رهونهم   واستعبرت عيونهم
وحالفوا السهادا   وخالفوا الرقادا

وهي طويلة وكلها حكم ولطائف بديعة . وقدأورد المؤلف نكتاً واخباراً ومجوناً وضروباً من شعر من ترجم لهم في هذا السفر كلها مما يبعث على التسلية ويحمل في طياته فوائد اثيرة . وقد استغرقت اشعار اشجع السلمي نحو ربع هذا الجزء .

قال (ص١٠٥) ابوبكر محمد يحيى الصولي : قدحررت من كتاب الخلفاء وهو كتاب الاوراق الى ذكر الشعراء الذين اول اسمائهم الف فذكرت منهم جماعة ، ثم رأيت بعض الاجلاء يحب ان اقدم له ذكر احمد بن يوسف الكاتب وآله جميعاً ، ومن قال الشعر من آبائه وولده ، فآثرت مراده واتبعت محبته ، وانا اذكر من ذلك ما سهل عليَّ طلبه ، وقرب مني وجوده ، وتارك في اخبار كل واحد واشعاره باضا لما يمجه السماع ، ويثبجه من الاصول ان شاء الله . وهنا اخذ يتنقل المؤلف من اخبار آل احمد بن يوسف بين نثر ونظم ماهو سلوى النفوس ، وادب الرئيس والمرؤوس ، فمما آثره من النثر شذرات ورسائل نأتي بنموذجات منها ، ومن ذلك ماقاله محمد بن انس للقاسم بن صبيح : « ما زلنا في سامر نصل فصوله بتشوقك ، فيذهب ذكرك ملل السامر ، ونعسة الساهر ، فقال القاسم : مثلك من ذكر صديقه فأطراه ، وحركه الشوق اليه واغراه ، ولو ادنيتموني

باجتماعكم ، لكنت مسرعاً كأحدكم ، مسروراً بما سررتم ، مفيضاً بما فيه افضتم ». دخل القاسم الى صديق له عليل وقد ابلّ من علته فقال له : جئتك وانا مثقل من الم ، فلما رأيتك تجلت ظلل الغم ، لاقبال العافية اليك ، وظهور تباشيرها اليك » .

كتب يوسف بن القاسم الى ابي العباس السفاح عن عبدالله بن علي يعزيه عن ابن له توفي : « اما بعد فان احق الناس بالرضا والتسليم لامر الله جل وعزّ ، من كان اماماً لخلق الله وخليفةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعزّ امير المؤمنين بفهمك ، وارجع في وعد الله جل وعز من الصابرين الى علمك » .

حدث احمد بن يوسف عن ابيه قال : لما قدم ابي بغداد قصده اخوانه وداعوه فلزم الشراب معهم والسماع فقالت له امه ، يابني قد ترى كثرتنا ، وما يلزمك من نفقتنا ، وان ادمت الشراب اضعتنا وافقرتنا ، مع سيئة لك في دنياك ، وتزيده لك الوزر الى أخراك ، فقال : حسبك والله لا وَاَج لي رأس ابداً . فما شرب حتى مات » .

وكان يوسف بن القاسم مع عبدالله بن علي وكان يبره كثيراً ويوجه بره مبتدئاً في رأس كل شهر ، فغفل عنه شهرين ، فكتب اليه ابياتاً يذكره بمعاودته ، فوقع في رقعته : « لم يكن تأخير برّنا عنك لبخل وضن ، ولا إهمال وتناس ، لكنها غفلة من موجب لحقك ، عارف شغله عنك ما يقسم قلبه ، متكلاً على معرفتك به ، وبسط عذرك له ، على اني ظننت انما كنت عليه اولاً قد زال فيما بيننا وبينك ، اذ كنا قد احللناك على محل الشريك ، وخالطناك بانفسنا خلط النسيب ، لتنفق من نفقتنا ، وتقرن امرك بامرنا ، وقد امرت لك بالفي درهم رزقك لشهرين ، فاقبضها ولا تنظرن لي امراً بعدهما في مثلها عند وجوبها ، وامرت لك بالفي درهم تصلح بها حالك ، وقد اطلقت بعد هذا يدك في المال لتأخذ منه كفايتك ، وفضلاً يكون عدة لك لما لا يؤمن من عثرات الدهور ، وحوادث الامور ، فانك لم تصحبنا الا بقلب وامق ، وودّ صادق ، وانا لنحب ان يتبين عليك لنا اثر محمود ، تغتبط به ونغتبط عليه ، فاعمل على ذلك ان شاء الله » .

وكتب يوسف بن القاسم الى محمد بن زياد : حفظك الله وحاطك ، رأيتك اكرمك الله في خرجتك هذه رغبت عن مواصلتنا بكتبك ، وابلاغنا خبرك ، وقطعتنا قطع ذي السلوة او اخي الملة ، حتى كأنك كنت الى مفارقتنا مشتاقاً ، اوالى البعد منا توّاقاً ،

فوقع بعدك بحيث تحب من جهتين ، احديها حلاوة الولاية ، والاخرى لذة الراحة منا ، فان يكن ذلك كارحبناه (؟) قاطعناك مجملين ، اولبسناك على يقين ، وان لم يكن إدلالاً بهدية اعددتها لنا من ناحية عملك ، فليس قدر الهدايا وان كثرت ، ولا الفرائد وان جلت ، احتمال لوم الاخوان ، اذ كانت الهدايا انما تراد لهم ، والفرائد انما تُنال بهم ، والمباهاة بأعراض الدنيا تراد خلطهم ، وما ادري ما اقول في اختيارك ترك الكتب المحدثة ، عن العتب بالاسرار المفهومة ، حتى كأنها محادثة (؟) الحضور ، على تنائي الدور ، والقلوب بها مشاهدة ، وان كانت الابدان متباعدة ، ولئن كذب فيك الرجاء لقديما (؟) عن الوفاء وقد اصبتك من مرارة العتاب ، بما لا نقيم بعده على قطيعة ولا جفاء .. ولا يتوهمن اني اردت إعنـاتك باعتابي ، ولا ازراء عليك بكتابي ، فان وصلت فشكور ، وان قطعت فمعذور والسلام » .

زوج يوسف بن القاسم ابنه احمد بابنة الحسن بن سليمان و يعرف بالشيعي ، وكان من كتاب البرامكة ؛ فكتب اليه يحيى بن خالد : عرضت حاجة فكرهت ان اعدل بها عن الوزير فأبخسه مع معرفتي بمحبته ، لربيب نعمته ، والزيادة في صنيعته ، حظاً ولزمني حق لا يمكن دفعه ولا تأخيره ، وهو نقد مهر عن احمد الى ابنة الحسن بن سليمان ، فان رأى الوزير ان يوقع مع ما استحققته من ارزاقي لشهرين سلف لشهرين فعل ، فاني ارجو ان ابلغ بذلك لعبده احمد محبته ، وانال بغيته ان شاء الله .

فوقع يحيى اليه : هذه فضيلة من اوليائنا ، وحقوق في ضيافنا ، فنحن بالقيام منها دونك حريون ، و بحط ثقلها عن مالك جديرون ، وقد امرت لاحمد بقدر ما سألت من المال بمسألتك فيه ، وزيادة الضعف استظهاراً مني له ومؤكداً ، وامرت باستحقاقك لشهرين من مال السلطان اعزه الله ، ومثله صلة من مالي ، وانفذت اليك بذلك كله رقاعاً بخطي الى من يقبض ذلك منه ، فاما السلف من مال السلطان فلا سبيل اليه ولا اعرف جعفراً بتارك احمد اليك ، ولا الينا ، كما لم يترك الفضل قاسماً ان شاء الله »
وفي اسفل الرقعة من شعر يحيى :

عندي لمثلك احسان وتكرمة فثق بذلك مني وابسط الاملا
اعمل على ثقة اني انا رجل لا امنع المرء موجوداً اذا سألا

وان عندي لك الحسنى ونافلة بنصح عينك اذ لم تبغ لي بدلا

فكتب اليه يوسف بن القاسم :

فهمت ما قلت في بري ومنزلتي ونصح عيني و بسطي نحوك الاملا
ولم ازل فيك من امري على ثقة لا ابتغي بك ممن قد ترى بدلا
بصدق وعدك اذ اسلفت عارفة وحسن عفوك عمن زاغ او جهلا
في و بابني وسم في محبتكم كما تعرفت من نيرانها الابلا
فقد بسطتم لنا جاهاً بجاهكم وقد كفيتم ببذل العرف من بخلا
لولاكم كان جود الناس مشتبهاً لكن برعتم فأضحى جودكم مثلا

قال معاوية بن صالح فلقيني من الغد القاسم منصرفاً من عند الفضل بن يحيى ، فأعلمته ما كان بين يحيى وبين ابيه ، فقال : قد امر لي الفضل لما بلغه خبر ابي واحمد اخي — بثلاثين الف درهم . قلت : فما عزمك ان تعمل فيها وانا اقدر ان تقول اشتري بها ضيعة فقال : ارفد بها اخي احمد في عرسه . قلت : فان اخذها كلها (؟) قال وان فلا بأس . للكلام صلة

محمد كرد علي

تصحيح نهاية الارب

اغلاط الجزء الثالث

في ص٣ سطر ٨ قوله (ان انقيد انقاد) فعل (انقاد) لازم فلا يُبنى للمجهول وصوابه (اقتيد) يقال اقتاده فانقاد له ٠

وفي ص٥ سطر ١٧ — قوله (ما الخمر صرفاً بأذهب للعقول من الطبع) صوابه الطمع بالميم ٠ اما الطبع بالباء فله معان لا تناسب هنا ٠

وفي ص٨ سطر ١٧ — قوله (لم أر كاليوم أطيب خمراً لولا ان حُبْلته نبتت على قبر) (حُبْلته) ضبطها بضم الحاء وسكون الباء ٠ وصوابه (حَبَلته) بالتحريك لان المراد بها الكرمة التي منها يكون الخمر ٠ ومنه الحديث (نهي عن حَبَل الحَبَلة)٠ اما (الحُبْلة) بضم فسكون فهو ثمر العِضاه ومنه (ولقد رأيتنا مع رسول الله وما لنا طعام الا الحُبْلة وورق السَمُر) ٠

وفي ص١٧ سطر ١٥ — قوله (انك أبل من مالك) صوابه آبل بمد الهمزة لانه أفعل تفضيل من فَعِل (أَبِل) اذا حذَق مصلحة الابل والقيام عليها ٠ وكان مالك بن سعد مناة كذلك فضُرب به المثل ٠

وفي ص٣٦ سطر ٧ — قوله (يرعى لاهله إبلاً ضخمة) لا معنى لوصف الابل بالضخمة على انها لو وصفت بها لقيل بعير ضخم وناقة ضخمة مثلاً فصوابه هنا (إبلاً هجمة) والهجمة على وزن ضخمة ما بين الاربعين والمائة من الإبل كأنه يقول : انه كان يرعى إبلاً تقدّر بهذا المقدار ٠

وفي ص٣٦ سطر ٨ — قوله (وكان أفجح الرجلين) كذا بتقديم الجيم على الحاء ٠ وصوابه العكس اي بتقديم الحاء على الجيم ومصدره الفَحَج وهو تداني صدور القدمين وتباعد العقبين يقال : رجل أفحج وامرأة فحجاء ٠

وفي ص٤٢ سطر ١٩ — قوله (غرّني بُرْدَاكَ من خدافلي) كذا بفتح كاف الخطاب ٠ وصوابه بكسرها لانه خطاب رجل لإمرأة كما هو واضح من شرح المثل والامثال لا تغيّر ٠

وفي ص ٥١ سطر ١٨ — قوله (فاغتاله زبيل فقتله) ضُبِط (زَبيل) على وزان عظيم مكبراً وصوابه التصغير هكذا ضبطه في التاج وهو اسم رجل له قصة مشهورة ٠

وفي ص ٦٤ سطر ١٩ — قوله (تُهْدَى الامور باهل الرأي ما صَلَحت) كذا (تُهدى) بضم اوله والف مقصورة مرسومة بالياء في آخره فأوهم بذلك انه من الهداية ٠ ولا معنى لقولنا ان اهل الرأي يهدون الأمور اي يرشدونها فصوابه (تَهْدا) بتاء مفتوحة في اوله والف مقصورة ترسم الفاً في آخره ٠ وهو مضارع معلوم من (هدأ) المهموز اذا سكن واستقر وهمزة هذا الفعل تبدل أحياناً الفاً وتصرف الفعل تصرف الناقص كقول الشاعر:

(ان السباع لَتهْدا عن فرائسها والناس ليس بهادٍ شرهم أبدا)

أراد (لَتَهْدأ) و (بهادىء) ومثله قول الآخر :

(تلقى الأمان على حياض محمد ٭ ثولاء مخرفة وذئب أطلسُ)

(لا ذي تخاف ولا لهذا جرأة : تَهْدا الرعيّة ما استقام الرئّس)

والهمزة اذا قلبت الفاً تكتب الفاً لا ياء كالموما اليه اصلها الموماً ٠ ومعنى (تهدأ الامور باهل الرأي) أنها تسكن وتستقر بعد اضطرابها وبعد ان ضاق المأفونون بها ذرعاً ٠

وفي ص ٦٦ سطر ٦ — قوله (ولقد غنَوا الخ) بفتح نون (غنوا) وهو خطأ وصوابه ضمها لانه من باب رَضي ٠

وفي ص ٦٨ سطر ١٧ — قوله (عوّدت كَندة الخ) «كِندة» بكسر الكاف لا بفتحها ٠

وفي ص ٨٦ سطر ٥ — وقوله (ورب امرئ قد لام وهو مَليم) بفتح ميم (مليم) والصواب ضمها من (ألام) الرجل فعل ما يستحق عليه اللوم ومنه المثل (ربّ لائم مُليم) وقد ضبطه التاج بضم الميم ٠

وفي ص ٩٤ سطر ٢ — قوله (مُسرّ من عاش ماله فاذا حا سبه الله سرّه الإعدام) (سَرّ) معلوم لا مجهول وفاعله (ماله) ومفعوله (من) ٠

وفي ص ٩٥ سطر ٢ — قول ابي تمام :

(ما أبّ من أبّ لم يظفر بحاجته ولم يعَب طالب للنجح لم يُجب)

صواب (أبّ من أبّ) (آب من آب) من الأوبة ٠ وصواب (لم يُعَب) لم (يخب) من الخيبة ٠ وصواب (لم يُجب) لم (يخب) من الخيبة ٠ والمعنى : ان الآيب

الخائب كأنه ما آب . والآيب الناجح كأنه ما غاب . وهذا البيت في ديوان ابي تمام المطبوع كما صححناه .

وفي ص١٠٠ سطر ١٢ — قوله (كما حلّئت عن ماء برد طريدةٌ) صوابه عن (ماء ورد) اي الماء الذي يورد وهو المنهل . ولو فرض انه من البرودة لكان صفة للماء وللزم اذ ذاك تنوينه واذا نُوّن كسر الشعر .

وفي ص١٠٣ سطر ١٨ — قوله :

(وزمانٍ مثل ابنة الكرم حسناً عاد عند العيون مثل الداذي)

كذا (العيون) بالنون وهو (بفتح العين) الشديد الإصابة بالعين . ولا معنى له هنا فصوابه (العَيوف) بالفاء . وهو الذي يشم الشراب فيعافه فيدعه وقد يكون عطشان .

وفي ص١٠٦ سطر ٥ — قوله (ما خاب الا لانه جاهدُ) كذا بضم الدال وصوابه سكونها والبيت من قصيدة للمتنبي ساكنة القافية ومطلعها (أزائرٌ ياخيال ام عائدْ) .

وفي ص١٠٧ سطر ٣ (ذكرُ الفتى عمره الثاني وحاجته ما فاته وفضول العيش اشغال) كذا (فاته) بالفاء ولا معنى له وصوابه (قاته) بالقاف واذ ذاك يتجلى المعنى .

وفي ص ١١٢ سطر ٤ — قوله (الافوال) صوابه (الأموال) .

وفي ص ١١٢ سطر ١٧ — قوله (من يُشف من ذا بآخر مثله) صوابه (من داء) وبذلك يصح المعنى و يستقيم وزن الشعر .

وفي ص١١٥ سطر ٢ـ قوله (اذا مرَّ بي يوماً ولم أتخذ يداً الخ) صوابه يومٌ بالرفع لانه الفاعل

وفي ص١٢١ سطر ١٤ — قوله (اذا بلغت إبله مائة عمد الى البعير الذي أمات به) صوابه (أمأتْ) بالهمز اي صارت ابله مائة بذلك البعير : يقال أمْأى فلان القوم تممهم مئة وأمأى القومُ صاروا مئة .

وفي ص١٢٤ سطر ٣ — قوله (وغول العُقر) للعُقر معانٍ ولا واحد منها يناسب ان ينسب اليه (الغول) كما نسب الشيطان للحماطة والجان للعُشَرة . والجاحظ في كتابه (الحيوان) ذكر امثال هذه الاضافات : ضب الكُدى . جان العُشَرة . شيطان الحماطة . ظباء الرمل . الى ان قال (وغول القَفْرة) اي بالقاف والفاء فهو اذن الصواب هنا .

وفي ص١٢٦ سطر ١٨ — قوله (فرُفع لي بيت جريد) بالجيم وصوابه (حريد) بالمهملة اي

معتزل متنح · وقد ذكرت كتب اللغة هذا الحديث عن صعصعة بلفظ (حريد) بالمهملة كما قلنا ·

وفي ص١٢٧ سطر٥ — قول صعصعة (على ان تبلغني الجمل واياها) صوابه الحي او الحى يعني ان صعصعة قبل ان يعطي ناقتيه وجمله للذي كان يئد ابنته فكاكاً لها من الوئد بشرط ان يوصله واياها الى الحيّ ·

وفي ص١٢٨ سطر١٥ — قوله (فلما أصبح كسرى) صوابه فلما أصبح وأخبر كسرى لأن الضمير يرجع الى المحدّث عنه وهو الموبذان الذي رأى الرؤيا ·

وفي ص١٢٩ سطر٣ — قوله (يسكن مشارق الشام) صوابه (مشارف) بالفاء وهي قرى من ارض العرب تدنو من ريف الشام واليها تنسب السيوف المشرفية ·

وفي ص ١٢٩ سطر ١٨ — قوله (وغاصت بحيرة ساوة وخمُدت نار فارس) صوابه (غاضت) بالضاد المعجمة · وخمدت بفتح الميم اوكسرها لا بضمها ·

وفي ص١٣١ سطر٢ — قوله (فاتبعه لاتحتالك الاوثان) كذا بالحاء المهملة وصوابه لا تجتالك بالجيم يقال (اجتاله) اذا حوّله عن قصده · ومنه (اجتالتهم الشياطين) اي صرفتهم عن الهدى الى الضلالة ·

وفي ص١٣٦ سطر ١و٣ — قوله (فشخ غرابٌ على رأس الشريف) صوابه فشَحَج بحاء مهملة ثم معجمة والشحيج صوت الغراب اوالغليظ من صوته اوصوت مسانّ الغربان ·

وفي ص١٣٧ سطر٢٠ — قوله (ورجِع سالمًا) صوابه بفتح الجيم من باب ضرب لا بكسرها من باب علم ·

وفي ص١٤٠ سطر١٢ — قوله (أحد يا بُنَيّ فأحداه) كذا بالدالين المهملتين · وصوابه بالمعجمتين من (أحذاه) اذا أعطاه · وفي الحديث : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحذي النساء والصبيان من المغنم) ·

وفي ص١٤١ سطر٧ — قوله (تيمّمت لَهبًا الخ) صوابه بكسر لام (لِهب) لابفتحها (كذا ضبطه في حاشية الخضري على ابن عقيل في شرحه بيت (خبير بنوا لهب الخ) ·

وفي ص ١٤١ سطر ٨ — قوله (فيممت شيخًا منهمُ ذا مَخالةٍ) صوابه (بجالة) بموحدة فجيم من بجُل بَجالة ساد وشرُف · والبَجَال الرجل الشيخ السيد ·

وفي ص ١٤٣ سطر ١٨ — قوله (ايّ شيءٍ تجاه) صوابه (نحاله) اي تعطيه ؟ قال دجاجة بفرار يجها ٠

وفي ص١٤٨ سطر١٥ — قوله (السلطان مسعود السلجقلي) صوابه السلجوقي أحد ملوك السلاجقة المشهورين٠ ويحتمل ان يكون أراد بالسلجقلي النسبة التركية لكنها نسبة غير مأنوسة الاستعمال في ألقاب هؤلاء الملوك ٠

وفي ص ١٥٠ سطر ٩ — قوله (فحلّ الهَمَيان) كذا بالتحريك ٠ وصوابه الهِمْيان بكسر فسكون ٠

وفي صفحة ١٥٣ سطر١٨ — قوله (فان اعراق السوء تزرع اولادها) لا معنى للزرع هنا وصوابه تنزع ٠ قال في الاساس (يقال للمرء اذا أشبه أخواله او أعمامه نزعهم ونزعوه ونزعه اليهم عرق ٠ قال الفرزدق :

(أشبهتَ أمك يا جرير فانها نزعتك والأُم اللئيمة تنزع)

وجاء في الحديث : (العرق نزّاع) ٠

وفي صفحة ١٥٤ سطر ٧ — قوله (المجامعة والمرافعة والمباضعة) صوابه (والموافعة) بدل (والمرافعة) فانه الملائم لما قبله وما بعده ٠

وفي صفحة ١٥٦ سطر ٧ — قوله (ذهبت تقبُل امرأة نُفَساء) صوابه تقبَل بفتح بائها من باب علم لا بضمها ٠ ومصدره القبالة ٠

وفي صفحة١٥٦ سطر١٣ — قوله (ليسقَى الإبل) بفتح القاف خطأ وصوابه ليسقي بكسرها من باب ضرب ٠

وفي صفحة ١٥٩ سطر ١٤ — قوله (كنّى عن اكبار الصيام) صوابه عن إكثار الصيام بالمثلثة ٠

وفي صفحة ١٦٠ سطر ١١ — قوله (فأجد على بابك جَرْواً) صوابه (خرءاً) بدليل بيت الشعر الذي بعده ٠

وفي صفحة ١٦٠ سطر١٣ — قوله (يخرى) صواب كتابته و(يخرا) بالالف لان اصلها همزة كالموما اليه أصلها المومأ ٠ فتكتب بالالف لا بالياء ٠

وفي صفحة ١٦٠ سطر ١٥ — قوله (ولو وُطِئت) مجهول وصوابه (وَطِئت) مبنيًا للفاعل اي داست بأرجلها بدليل قوله بعده (على تُرب الخ) ·

وفي صفحة ١٦٨ سطر ٢ — قوله ملغزاً في التذبين :

(وما أخَوان مشتبهان جداً كما اشتبه الغرابة والغَراب)

ضبط الغَرابة بفتح عينها ولا معنى لها هنا · وصوابه (الغُرابة) بضم الغين والمعنى كما تشابه الغُرابان ومنه المثل المشهور (أشبه من الغُراب بالغراب) · ولكن هل يقال لانثى الغُراب غُرابة بالتاء ؟ ·

وفي صفحة ١٧٠ سطر ١٤ قوله (فلا يُكلّمها) بضم ياء (يُكلم) وهو خطأ صوابه فتحها لانه لم يجئ من الإكلام وانما جاء من الكلم والتكليم بمعنى الجرح ·

وفي صفحة ١٧٠ سطر ١٥ — قوله (وما راقَ وما سفَك) صوابه (وما أراق) اي دمًا ولا يقال راق دمًا ·

وفي صفحة ١٧٤ سطر ١٥ — قوله (دع ذا وعُدَّ القول في هَرِم) جعل (عُدّ) من العدّ اي اعدُد وصوابه (عَدِّ) بفتح العين من التعدية · عدّى الشيء جعله يتعدّى ويتجاوز والمعنى اجعل قولك وشعرك في مدح هَرِم يتغلغل في القبائل ويتعدّى من واحدة الى أخرى و يسير فيها مسير الأمثال ·

وفي صفحة ١٧٥ سطر ٢ — قالت عائشة (وابوها يَغْمُض) ببناء الفعل للمعلوم وصوابه (يُغْمَض) مجهولاً · يقال : (أغْمَضوا الميت) اذا أغلقوا عينيه حين الموت لئلا تظلا مفتوحتين ·

وفي صفحة ١٧٥ سطر ١٣ — قال متمم بن نويرة يصف اخاه (كان أخي يحبس المزاد ····· فيُصبح ضاحكاً) صوابه فيصبح بالباء الموحدة اي انه بعد كل تلك الاتعاب لا يكلح ولا يضجر بل يصبح ضاحكاً مستبشراً ·

وفي صفحة ١٧٧ سطر ٣ — قوله (لقد قابلتهم فما أجبتهم · وسألتهم فما أبخلتهم) صوابه (فما أجبنتهم) اي ما وجدتهم جبناء كما لم أجدهم بخلاء ·

وفي صفحة ١٧٧ سطر ٧ — قوله (ودخل على النعمان الخ) صوابه (ودخل النابغة على النعمان) لانه هو الذي دخل عليه وقال هذا القول المأثور عنه فسقوط اسمه مع عدم تقدم ذكره سهو ·

وفي صفحة ١٧٧ سطر ١١ — من قول النابغة للنعمان (لَقَفَاكَ أحسن من وجهه • ولَظَنُّك أصدق من يقينه • • • • • ولَنَفْسُك أمنع من جنده) صوابه و (لنَشُك) بالشين المعجمة وتحريك • والنَّشَ الإبل والغنم ترعى ليلاً بلا راع • والمعنى ان ابل الملك المهملة ذاتُ مناعةٍ وحفاظ أشدّ من مناعة جند عدوه • اما كون نفس النعمان أمنع من جند عدوه فليس بكبير مدح • بل هو لعمري عين القدح •

وفي صفحة ١٧٧ سطر ١٣ — قوله (اخلاق مجدك جُلّت مالها خطر) صوابه جَلَّتْ بالبناء للتانل • وقوله مالها خطر اي ما لها عديل ولا مماثل •

وفي صفحة ١٧٧ سطر ١٧ — وكسا النعمان النابغة أثواب الرضى (وكانت حبابُ أطواقها الذهب) صوابه وكانت (حِباباً) بالجيم مع النصب اي ان النعمان كان يكسو من يريد اكرامهم جِباباً هذه صفتها وتسمي (أثواب الرضا) وقد كسا النابغة منها : فهي أشبه بكسوة الرتب والتشريفات العلية في هذه الأعصار • وقد وصفها في صفحه ٢٦٢ سطر ١٩ بانها (حبرات خُضُر مطوّقة بالجوهر) •

وفي صفحة ١٧٩ سطر ٧ — قوله (يا أمير المؤمنين بارك الله لنا في مَقْدَمك • • • وشكرك على رعيّتك) كذا بتشديد الياء وصوابه (رِعَايَتك) بكسر الراء وتخفيف الياء وهي اسم بمعنى الرعاية يقال رعى الأمير رعيّته رعيةً اذا ساسها وأحسن القيام عليها فهو يدعو له على ما كان من حسن رعايته وسياسته لرعيّته • ولا معنى لكونه تعالى يشكره على رعيته نفسها •

وفي صفحة ١٧٩ سطر ١٣ — قوله (حتى تمنى البُراء انهم الخ) صوابه البِراء بكسر الباء وهو جمع بريءٌ كِكرام في جمع كريم • ويقال في جمعه بُراء كفقهاء ايضاً • اما بُراء كغُراب فلم يُسمع في جموعه •

وفي صفحة ١٨٠ سطر ٩ قوله (فأما الاسداخادر فأشبهُ منه مضاؤه) كذا بالرفع وصوابه (فأشبه) فعل ماض مبني الفتح و (مضاءه) بالنصب مفعوله • وكذا قوله بعده (فأشبه منه جوده وعطاءه • • • وضياءه • • • وبهاءه — كلها أفعال ومفاعيل لا مبتدآت وأخبار •

وفي صفحة ١٨٠ سطر ١٨ — قوله (ما رأيت وجهاً اسمح . ولا حلماً أرجح . ولا سجية اسمح) تكررت (اسمح) فصواب الاخيرة (اسجح) من السجاحة وهي السهولة واللين يقال (في عقله رجاحة . وفي خلقه سجاحة) ومنه (اذا ملكت فأسجح) اي كن ليّن الملكة . حسن العفو .

وفي صفحة ١٨١ سطر ١٦ — قوله (وأنجبه المنصور . تجرى على سَنَنه . وأدب فأخذه بسُنَنه) صوابه وأدّبه .

وفي صفحة ١٩٠ سطر ٩ - قوله (وهذي بنات المدح فاجرر ذيولها) صوابه (ثياب المدح)

وفي صفحة ١٩٣ سطر ١٠ — قوله :

(اذا أظلم الدهر أعدَوا عليه وان أظلم الخطب يوماً أضاءوا)

(أظلم) الثانية من الظلام بدليل (أضاؤا) اما الاولى فصوابها (ظَلَمَ) من دون همزة من الظُلم بدليل (أعدَوا عليه) الذي معناه أعانوه ونصروه عليه .

وفي صفحة ١٩٧ سطر ٨ — قوله :

(وإن راسل الاعداء فالجودُ رُسله اليهم وأطراف العوالي الرسائل)

صوابه (فالجُرد) بالراء جمع أجرد وهو الفرس : فكما أن الرماح رسائله الى أعدائه كذلك خيوله هي رسله اليهم . ولا معنى لكون (الجود) رسله اليهم . لا سيما ان الجود مفرد والرُسُل جمع .

وفي صفحه ٢٠٠ سطر ١٩ — قول عمرو بن كلثوم :

(ونحن الحاكون اذا أطعنا ونحن العائفون اذا عصينا)

ليس في وصف قومه بانهم يحكمون المطيع كبير أمر وأما قوله (العائفون) للعصاة فلا معنى له فصواب البيت :

(ونحن العاصمون اذا أطعنا ونحن العارمون اذا عُصينا)

المعنى نحن (العاصمون) اي الحامون المدافعون عن حوزة المطيع كما اننا (العارمون) اي أصحاب العُرام والشر والاذى لمن يعصينا .

المغربي

اخبار الحمقى والمغفلين

ذكر ابن الجوزي في انباء من قصد الفصاحة من المغفلين عن ابي عمر عن مسلمة قال : كان عند المهدي مؤدب يؤدب الرشيد فدعاه يوماً المهدي وهو يستاك فقال كيف تأمر من السواك قال : استك يا امير المؤمنين فقال المهدي : انا لله ثم قال: التمسوا من هو افهم من هذا قالوا : رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي من اهل الكوفة قدم من البادية قريباً فلما قدم على الرشيد قال له : ياعلي قال : لبيك يا امير المؤمنين قال : كيف تأمر من السواك قال : سك يا امير المؤمنين قال : احسنت واصبت فأمر له بعشرة آلاف درهم ٠

وقال رجل لابن اخ له : مافعل ابوك قال : مات قال : وما كانت علته قال ورمت قدميه قال : قل قدماه قال قدماه فارتفع الورم الى ركبتاه قال قل ركبتيه فقال : دعني يا عم فما موت ابي باشد علي من نحوك هذا ٠

لقي رجل رجلاً من اهل الادب وأراد ان يسأله عن اخيه وخاف ان يلحن فقال : اخاك اخوك اخيك هاهنا فقال الرجل لالي لو ماهو حاضر ٠ وكان شيخنا ابو بكر محمد بن عبد الباقي البزار يقول : قال رجل لرجل : قد عرفت النحو الا انني لا اعرف هذا الذي يقولون ابو فلان وابا فلان وابي فلان فقال له : هذا اسهل الاشياء في النحو انما يقولون ابا فلان لمن عظم قدره وابو فلان للمتوسطين وابي فلان للرذلة ٠

حدثنا الاصمعي عن عيسى بن عمر قال : كان عندنا رجل لحان فلقي رجلاً مثله فقال: من اين جئت قال من عند اهلونا فتعجب منه وحسده وقال اعلم من اين اخذت اهلونا قال : اخذتها من قوله تعالى شغلتنا اموالنا واهلونا ٠

حدثنا ابو القاسم الحسن قال: كتب بعض الناس من طيبي يريد طوس فقيل له في ذلك فقال لان من تخفض ما بعدها فقيل انما تخفض حرفاً واحداً لا بلداً له خمسمائة قرية ٠

قال : (فصل) وقد تكلم قوم من النحويين بالاعراب مع العوام فكان ذلك من جنس التغفيل وان كان صواباً لانه لا ينبغي ان يكلم كل قوم الا بما يفهمونه ٠ قال ابن عقيل كان شيخنا ابو القاسم بن برهان الاسدي يقول لاصحابه : اياكم والنحو بين العامة فانه كاللحن بين الخاصة قال ابن عقيل : وتعليل هذا ان التحقيق من المحرفين ضايع وتضييع العلم لا يحل

ولهذا روي (حدثوا الناس بمايعقلون أتحبون ان يكذب الله ورسوله) . وقد قال صلى الله عليه وسلم (ياابا عمير مافعل النغير) ولعب مع الحسن والحسين . وانما نسب المعلمون للحماقة لمعاملتهم الصبيان بالتحقيق .

وذكر في اخبار المغفلين من الشعراء : حدثنا عبد الوهاب بن قاسم قال قال الجاحظ انشدني بعض الحمقى :

ان داء الحب سقم ليس يهنيه القرار
ونجا من كان لا يعـ شق من تلك المخازي

فقلت : ان القافية الاولى راء والثانية زاي فقال : لا تنقط شيئاً فقلت: ان الاولى مرفوعة والثانية مكسورة فقال : انا اقول لا تنقط وهو يشكل . وحكى بعضهم قال : اجتمعنا ثلاثة نفر من الشعراء في قرية تسمى طهياثا فشربنا يوماً ثم قلنا : ليقل كل واحد بيت شعر في وصف يومنا فقلت : نلنا لذيذ العيش في طهياثا

فقال الثاني : لما احتثثنا القدح احتثاثا

فارتج على الثالث فقال : امرأته طالق ثلاثا . ثم قعد يبكي على امرأته ونحن نضحك عليه .

قال اخبرني ابو الحسن علي بن منصور الحلبي قال : كنت احضر مجلس سيف الدولة فحضرته وقد انصرف من غزو عدو له ظفر به فدخل الشعراء ليهنئوه فدخل رجل وانشد:

وكانوا كفار وسوسوا خلف حائط وكنت كسنور عليهم تسلقا

فامر سيف الدولة باخراجه فقام على الباب يبكي فأخبر سيف الدولة ببكائه وامر برده فقال : مالك تبكي فقال : قصدت مولانا بكل ما اقدر عليه فلما خاب املي وقابلني بالهوان ذلت نفسي فبكيت فقال له سيف الدولة : و يلك من يكن له مثل هذا النثر يكن له ذلك النظم فكم املت . قال خمسمائة درهم . فامر له بالف درهم .

واورد في باب المغفلين من القصاص حكايات منها : جاء رجل الى قاص وهو يقرأ يتجرعه ولا يكاد يسيغه فقال اللهم اجعلنا ممن يتجرعه و يسيغه . وسرق باب دار ابي سالم القاص فجاء الى باب المسجد وقلعه قالوا ما تصنع قال اقلع هذا الباب فان صاحبه يعلم من قلع بابي .

واتى في باب المغفلين من المتزهدين بحكايات منها : قال بعض معارفنا انه حضر

في بعض البلاد عند متزهد وحضر جماعة يتبركون به منهم قاضي البلد فجرى ذكر لوط عليه السلام فقال المتزهد كلمة قبيحة فقيل له ويحك هذا نبي قال : علمت ثم التفت الى القاضي فقال خذ علي التوبة مما قلت فتاب • ثم افاضوا في الحديث فجرى ذكر فرعون فقالوا له ما تقول فيه فقال انا الآن تبت فلا ادخل بين الانبياء •

وتقل في باب المغفلين من المعلمين ما نصه : وهذا شيء قل ان يحصى ونراه مطرداً ولا نظن السبب في ذلك الا معاشرة الصبيان • ولقد بلغني ان بعض المؤدبين للمأمون اساء ادبه على المأمون وكان صغيراً فقال : ما ظنك بمن يجلو عقولنا بأدبه ويسد عقله بجهلنا ويشحذ اذهاننا بفوائده ويكل ذهنه تعباً فلا يزال يعارض بعلمه جهلنا وبيقظته غفلتنا وبكماله نقصنا حتى نستغرق محمود خصاله ويستغرق مذموم خصالنا فاذا برعنا في الاستفادة برع هو في البلادة واذا تحلينا باوفر الآداب تعطل من جميع الاسباب فنحن الدهر ننزع منه آدابه المكتسبة فنستفيدها دونه ونبث فيه اخلاقنا الغريزة فينفرد بها دوننا فهو طول عمره يكسبنا ويكتسب منا جهلاً فهو كذبالة السراج ودود القز •

حدثنا الجاحظ كان ابن شبرمة لا يقبل شهادة المعلمين وكان بعض الفقهاء يقول النسلة أعدل شهادة من معلم • حدثنا محمد بن خلف قال قال بعض المجان مررت ببعض دور الملك فاذا انا بمعلم خلف ستر قائم على اربعة ينبح نبح الكلاب فنظرت اليه فاذا صبي قد خرج من خلف الستر فقبض عليه فقلت للمعلم عرفني خبرك قال نعم ان هذا صبي يبغض التأديب ويفر فيدخل الى الداخل ولا يخرج فاذا طلبته بكى وله كلب يلعب به فأنبح له فيظن انه كلبه فيخرج الي فآخذه قال الجاحظ : وقلت لمعلم تضرب غلمانك من غير جرم قال جرمهم اعظم الاجرام يدعون لي ان احج وان حججت نفر قوا في المكاتب فمتى احج انا مجنون؟

قال غلام للصبيان : هل لكم ان يفلتنا الشيخ اليوم قالوا الله نعم قال تعالوا لنشهد عليه انه مريض فجاءه واحد منهم فقال : أراك ضعيفاً جداً وأظنك محموماً فلو مضيت الى منزلك واسترحت فقال لاحدهم يافلان يزعم فلان اني عليل فقال صدق والله وهل يخفى هذا على جميع الغلمان الا سألتهم ليخبروك فسألهم فشهدوا فقال لهم انصرفوا اليوم وتعالوا غداً •

ضرب معلم غلاماً فقيل لم تضربه؟ فقال انما اضربه قبل ان يذنب لئلا يذنب • قال الجاحظ ومررت بمعلم صبيان وهو جالس وحده فقلت له ما فعل صبيانك قال ذهبوا يتصافعون

فقلت اذهب ولننظر اليهم فقال ان كان ولا بد فغطِ رأسك لئلا يحسبوك انا فيصفعوك .
قال الجاحظ ومن اعظم ما رأيت معلماً بالكوفة وهو شيخ جالس ناحية من الصبيان يبكي : فقلت له يا عم م تبكي؟ قال سرق الصبيان حبري . قال بعضهم مررت بمعلم والصبيان يضربونه وينتفون ذقنه فتقدمت لاخلصه فمنعني وقال دعهم بيني وبينهم شرط ان سبقتهم الى الكتاب ضربتهم وان سبقوني ضربوني واليوم غلبني النوم ولكن وحياتك لابكرن غداً من نصف الليل وتنظر فعلي بهم فالتفت اليه صبي وقال انا ابات الليلة ها هنا حتى تجيء واصفعك .

وقال في اخبار المغفلين على الاطلاق : ولد لمغفل وكان جاراً للجاحظ فقيل له ما تسميه فقال عمر بن عبد العزيز وهنؤه به فقال انما هو من الله ومنكم . قال الجاحظ حدثنا اسماعيل ابن زياد قال نشزت على الاعمش امرأته وكان يأتيه رجل يقال له ابو البلاد فصيح يتكلم بالعربية يطلب منه الحديث فقال له يا ابا البلاد ان امرأتي قد نشزت عليّ وغمتني فادخل عليها واخبرها بمكاني بين الناس وموضعي عندهم فدخل عليها فقال : ان الله قد أحسن قسمك هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ اصل ديننا وحلالنا وحرامنا لا يغرك عموشة عينيه وحموشة ساقيه . فغضب الاعمش عليه وقال اعمى الله قلبك قد اخبرتها بعيوبي كلها اخرج من بيتي فأخرجه .

قال حدثنا محمد بن سلام قال قال الشعبي : كان شاب يجلس الى الاحنف فأعجبه ما رأى من صورته الى ان قال له ذات يوم اود ان تكون على شرف هذا المسجد وان لك مائة الف درهم فقال له يا ابن اخي والله ان المائة الف درهم لحروص عليها ولكني قد كبرت وما اقدر على القيام على هذه الشرفة وقام الفتى فلما ولى قال الاحنف :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

حدثنا علي بن الحسن التنوخي عن ابيه قال : تقدم اليّ في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وانا اتقلد القضاء بالاهواز في مجلسي رجلان ادعى احدهما على الآخر دعوى فسألته عنها فأنكرها فطالبت المدعي ببينة فعدمها وطلب استحلاف الخصم فقلت له احلف له فقال ليس له عليّ شيء كيف احلف ولو كان له عليّ شيء لحلفت له واكرمته .

قال واخبرني بعض اصحابنا قال تزوج رجل امرأة صغيرة فقيرة فقيل له في ذلك فقال انما المرأة شر وكلما اقللت من الشر كان خيراً . حدثنا ابوعلي التصري أخبرت ان رجلاً ورث مالاً جزيلاً فعمل فيه كل ما اشتهى فقال أريد ان تفتحوا عليّ صناعة لايعود عليّ منها شيء فأتلف بها هذا المال فقال له احدجلسائه : اشتر التمر من الموصل واحمله الى البصرة وقال له آخر اشتر من ابر الخياطة التي ثلاثة بدرهم فاذا جمعت عشرة اسبكها نقرة تبعها بدرهمين وقال آخر اشتر ما شئت واخرج الى الاعراب فبعه عليهم وخذ سفاتجهم الى الاكراد وبع على الاكراد وخذ سفاتجهم الى الاعراب فكان يفعل ذلك حتى فني ماله .

قال سمعت ابي يقول قال المأمون لقامم : اختر لي اسماً اسمي به جاريتي هذه قال سمها مسجددمشق فانه احسن شيء . دُعي بعض المتفلين الى دعوة فاشتغل الناس بالاكل وجعل هو ينظر الى الستور المعلقة وكانت الحيطان كلها قد سترت فقيل له : مالك لا تأكل فقال والله لقد طال تعجبي من هذه الستور الطوال كيف دخلت من هذا الباب القصير .

حدثنا ابوالفضل احمد الهمداني قال : جاءت امرأة الى القاضي وذكرت ان زوجها طلقها فقال القاضي لك بينة؟ فقالت نعم جارنا قال فأحضرته فقال القاضي أسمعت طلاق هذه المرأة فقال ياسيدي خرجت الى السوق فاشتريت لحماً وخبزاً ودبساً وزعفراناً فقال له القاضي ما سألتك عن هذا هل سمعت طلاق هذه المرأة قال ثم تركته في البيت وعدت فاشتريت حطباً وخلاً . فقال دع هذا عنك فقال ما احسن الحديث الا الحديث من اوله ثم قال جلت في الدار جولة فسمعت زعقاتهم وسمعت الطلاق الثلاث فما ادري أهي طلقته ام هو طلقها .

قال حدثني جماعة من اهل سابور فيهم كتاب وتجار وغير ذلك انه كان عندهم في سنة نيف واربعين وثلاثمائة شاب من كتاب البلد وهو ابن ابي الطيب الصلاتي الكاتب خرج الى بعض شأنه في الرستاق فأخذه الاكراد وعذبوه فطلبوا منه ان يشتري نفسه منهم فلم يفعل فكتب الى اهله اهدوا اليّ اربعة دراهم افيون واعلموا انه هو دواء اشربه فتلحقني سكتة فلا يشك الاكراد اني ميت فيحملوني اليكم فاذا جعلت عندكم فأدخلوني الحمام واضربوني ليحمى بدني وشوكوني بالابر فاني افيق وكان الصبي مغفلاً (اي احمق) وقد سمع

انه من شرب أفيوناً أسكت فاذا دخل الحمام وضرب كاذ كر براً . ولم يدر مقدار ما يشرب به من ذلك فشرب اربعة دراهم فلم يشك الا كراد في موته فلفوه واتقدوه الى اهله فلما حصل عندهم ادخلوه الحمام وضربوه وشكوه فما تحرك واقام في الحمام اياماً فرآه الاطباء فقالوا هذا قد تلف كم شرب من الافيون قالوا اربعة دراهم فقالوا هذا لو شوي في جهنم ما عاش انما يجوز ان يفعل هذا بمن شرب اربعة دوانيق او وزن درهم فاما هذا فقد مات فلم يقبل اهلوه وتركوه في الحمام حتى تغير فدفنوه وانعكست حيلته على نفسه .

قال بعضهم رأيت رجلاً محموماً مصدوعاً يأكل التمر ويجمع النوى فقلت ويحك انت بهذه الحال وتأكل التمر فقال يامولاي عندي شاة ترضع وما لها نوى فانا آكل هذا التمر مع كراهيتي له لأطعمها النوى فقلت اطعمها التمر والنوى قال ويجوز ذلك قلت نعم قال والله لقد فرجت عني لا اله الا الله ما احسن العلم .

قال ابو العباس سألت رجلاً طويل اللحية فقلت : ايش اليوم قال والله ما ادري فاني لست من اهل هذا البلد انا من دير العاقول . قال الجاحظ دخلت الكوفة فبينا انا أطوف في طرقاتها رأيت شيخاً ذا هيئة جالساً على باب داره ومن جانب الديار صياح فقلت له يا عم ما هذا الصياح فقال هذا رجل افتصد فبلغ موضع شادروانه فمات يريد شريانه . قال ابو العبيس صحبني رجل في السفينة فقلت له ممن الرجل فقال من اولاد الشام ممن كان جدي من اصدقاء المنصور على يد ابي سالم شاعر الانبار الانباري وكان من الذين بايعوا تحت الشجرة مع ابي سالم بن يسار في وقت الفاروق ايام قتل الحجاج ابن يونس النهرواني على شاطئ الفرات . قال العبيس : لم ادر على اي شيء احسده على معرفته بالانساب ام على بصره بايام الناس ام حفظه للسير ! .

حكي ان جماعة من اهل حمص تذاكروا في حديث الاعضاء ومنافعها فقالوا الانف للشم والفم للاكل واللسان للكلام فما فائدة الاذنين فلم يتوجه لهم في ذلك شيء فأجمعوا على قصد بعض القضاة ليسألوه فمضوا فوجدوه في شغل فجلسوا على باب داره واذا هناك خياط فتل الخياط خيوطا ووضعها على اذنه فقالوا : قد اتانا الله بما احببنا ان نسأل القاضي عنه . وانما خلقت الآذان للخيوط وانصرفوا مسرورين بما استفادوه . قال بعضهم رأيت رجلاً ألحى قائماً في حلقة قاص يقص مقتل عثمان فلما فرغ قال الالحي أعيذك بالله ما احسن ما تروي كلام منصور بن عمار .

اثر جديد من الفسيفساء

في دمشق

ترامى الى ادارة دار الآثار العربية انه بينا كان احدهم يحفر أساساً في داره على مقربة من الجامع الأموي بين زقاق السلطان صلاح الدين والجامع الأموي الى الشمال الغربي ظهر على عمق اربعة امتار قطع مكعبات من الفسيفساء. فذهبتُ الى المحل المذكور للتحقيق فلم يكن هنـاك لحسن الطالع بناء يعوق سير العمل والتنقيب، وبعد رفع التراب ظهرت قطعة ارض مرصوفة بالفسيفساء الملونة، مزينـة بصور الطيور والحيوانات، متقنة الصنع، محكمة الوضع، حسنة الترتيب، فحددت اطرافها الثلاثة الشمالية بجملتها وقسماً من الشرق والغرب بطول ٣٫٢٥ متر مكعب وعرض ٠٫٧٥ سنتيمتراً وبسبب حفر اساس في القديم أتلفت القطعة الجنوبية فيها او ربما كان فصل بينها وبين البقية المتممة التي تمتد الى الجنوب وشوه قسم منها وقد قسمها الصانع الى ثلاثة اقسام ففي الزاوية الشرقية الشمالية مربع فيه صورة طير جميل مشوه رأسه جعل في دائرة وفي الزاوية الغربية الشمالية مربع فيه صورة عنقاء مشوه رأسها في دائرة شبيهة بالاولى وبينهما القسم الثالث وهو أهمها واكبرها حجماً وهو سالم غير مشوه مستطيل الشكل فيه صورة غزالين او ثعلبين متقابلين وخلف كل منهما طير، وفي الوسط شكل نباتي ويضم جميع ذلك بعضه الى بعض من الاطراف الثلاثة نطاق بشكل مجدول.

من الصعب البتّ في تاريخ هذا الاثر لانه مغفل من كل كتابة او تاريخ يرجع اليه، وكل ما يمكن استنتاجه من الصور والرموز بانها ليست من المسيحية على شيء. ولو امكن التوسع في الحفر وظهر البناء او القسم المتمم لقطعة الفسيفساء لعثرنا على ما ينير سبيلنا ويسهل علينا بحثنا ويجوز بان يكون البناء في بعض الاحيان اقدم من زخارفه اما لكونها زينة حادثة بعد البناء او لما طرأ عليها من تغير وتبديل حين الترميم في القديم وهكذا وقع لقطعتنا هذه كما وقع لكثير من امثالها التي ظهرت في امكنة مختلفة.

ويرى المتأمل في هذه القطعة بعض الاختلاف في نوع المادة المركبة منها وحجم مكعباتها تختلف بين صورة وأخرى، وهذا ظاهر في بعض اقسامها وخصوصاً في

صورة الغزالين او الثعلبين فالذي في جهة اليمين تختلف الوانه عن الذي في جهة اليسار . فترى في الاول الواناً كثيرة من ابيض واسود واحمر واخضر وازرق ومذهب وقطع مكعباته اصغر حجماً من البقية . اما الثاني فهو بسيط اختصر فيه على الألوان الثلاثة الابيض والاسود والاحمر وقطع مكعباته بحجم بقية القطعة . وماأظن هذا التباين هو مقصود من الاصل بل ذلك حادث حين الترميم الذي وقع بعد ذلك .

وانه اصعب علينا والحالة هذه معرفة تاريخ انشاء هذه القطعة ولكن من السهل التمييز بين القديم والحديث منها . فالقسم القديم الباقي هو القسم الاكبر ، مكعباته حجرية و بحجم واحد والوانه طبيعية وقد دام استعمال هذا النوع طويلاً حتى في عهد تطور هذه الصناعة ورقيها . واما القسم المحدث منها فقد استعيض عن الاحجار الطبيعية بمكعبات صناعية زجاجية بألوان خضراء وزرقاء ومذهب وهذا النوع وخصوصاً لون المذهب لم يشع استعماله الا في آخر العهد البيزنطي . نعم ان النوع القديم البسيط قد استعمل في كل ادوار الفسيفساء ولوكانت جميع صورها على شكل الصور الملونة لما ترددت بانها من العهد البيزنطي المتأخر . اما وفيها صورة بسيطة فهي تدعو الى الاعتقاد بان الزجاج الملون أضيف حين الترميم في ازمنة متفاوتة . ولاعجب بذلك لان الفسيفساء سريعة العطب وتحتاج لحفظها من التلف الى إصلاحات موضعية من وقت الى آخر او تجديدها برمتها .

ومن الحكمة ان لانتسرع بالحكم على عهدها ، وعلينا ان نتربص ريثما ينتهي رفع التراب والردم المتراكم على هذا المكان . فعسى ان نجد من الادلة ما نطمئن اليه ونعتمد عليه وان لم نجد الى الآن مايدل على نوع هذا البناء ، غير انني عثرت على ارتفاع متر من سطح ارض البناء على جزء حوض ماء من الفخار قعره مرصوف بالفسيفساء الحجرية البيضاء ومكعباته هي اكبر حجماً من مكعبات ارض الغرفة باضعاف ، وكذلك وجدت قطع قساطل من الفخار وآثار مجرى ماء . فأظن ان الجميع من عهد واحد وان لم أعثر على مايؤيد ذلك ولايبعد ان يكون هذا البناء حماماً لصغر مساحته . والاقدمون كانوا في ذلك العهد يعتنون بحماماتهم العامة والخاصة و يرصفون ارضها و يزينون جدرانها بانواع الفسيفساء والرسوم والنقوش .

وهذه القطعة هي اول فسيفساء ظهرت في دمشق من ذاك العهد فعسى ان تكون هذه المصادفة فاتحة لغيرها من الاكتشافات المفيدة النافعة ·

مدير دار الآثار العربية

جعفر الحسني

الأستاذ المرحوم ادوارد كرنول برون

أُصيب اهل الشرق ومستشرقو الغرب بمصيبة عامة بانتقال الاستاذ برون مدرس العربية في كلية كمبرج في انكلترا الى رحمة ربه قبل بلوغه حد السبعين من عمر قضى اكثره في خدمة العلم وتمهيد حسن التفاهم بين الغربيين والشرقيين ، ولما كان هو من اعضاء مجمعنا العلمي فقد كلفني رئيسه ان أصف لقراء مجلته بعض سيرته فلبيت تلك الدعوة قاضياً لحقوق منها حق الصداقة وحق عضوية المجمع وحرمة الادب ·

ولد الاستاذ المرحوم في الـ ٧ من فبراير (شباط) ١٨٦١ (الـ ٧ من شعبان ١٢٧٨) في قرية اسمها اولى من قرى مديرية كلسترشر في انكلترا · وهو اكبر اولاد المرحوم سر بنيامين جبن برون من كبار المهندسين وامه ايضاً بنت مهندس وعرفت كلتا العائلتين بميلها الى حب الموسيقي · ومن آثار ذلك الحب ما اختص به الاستاذ من دقة السمع التي كان يستند اليها في تعلم اللغات دون الدروس النحوية واللغوية · ومن اجداده رجال من مشاهير الانكليز اصحاب وظائف جليلة وسياح ومصلحون · أُدخل المرحوم صبياً في مكتب ايتن المشهور ، مدرسة اولاد الاغنياء ، ولم يسعد هنالك وقد قال ان اشقى نهار حياتي ما عدا نهار خروجي من كلية كمبرج كان نهار دخلت في المكتب وكأني قاسيت فيه من الشقاوة واليأس غاية ما يمكن مقاساته او كدت أُقاسيه ثم خرج منه وهو مناهز الست عشرة من سنه ، وكان مراد ابويه ان يصير مهندساً ، وكانت الحرب التي نشبت حينئذ بين الترك والروس اول امر لفت نظره الى الشرق وأُشرب محبة الاتراك بحيث لم تكن له رغبة الا في الانتظام في جيشهم ملازماً ، فحملته الغيرة على الاجتهاد في تحصيل لغتهم وكره له والده العسكرية معيشةً وعرض عليه الطب عوضاً عن الهندسة

فآثره هو ايضاً . وفي اكتوبر (تشرين الاول) من سنة ١٨٧٩ (شوال من ١٢٩٦) دخل في بمبروك كلج من كلية كمبرج وكان دخوله مبدأ عمر حديث سعيد وأخذ يقرأ العربية على الاستاذ بالمر المترجم في السنين الأخيرة من مجلة الهلال حصل منها في فصل واحد على اكثر مما كان تعلم من اللاتينية واليونانية في مدة خمسة اعوام ثم في الاجازة الطولى من سنة ١٨٨٠ (١٢٩٧) طفق يدرس الفارسية وبعد سنتين اخذ رتبته في العلوم الطبيعية فأجاز له والده اقامة شهرين في الاستانة وبعد رجوعه قضى عامين في كمبرج دارساً اللغات الشرقية فحصل على الدرجة الاولى في الامتحان ثم رجع الى الطب فأقام ثلاثة أعوام في مستشفى القديس برتلمي في لندرا تلميذاً لسر ترمنمور . وكان يرجو ان يفوز بوظيفة في الخدمة القنصلية لتقدمه في اللغات الاسلامية فخاب امله ثم في الـ ٣٠ من مايو (ايار) سنة ١٨٨٧ (الا ٧ من رمضان ١٣٠٤) بشر بانه قد انتخب شريكاً [1] في بمبروك كلج فسافر الى ايران واقام هنالك سنة كاملة وعند رجوعه الى الوطن عين مدرساً اول للغة الفارسية في كلية كمبرج ثم في سنة ١٩٠٢ (١٣٢٠) بعد وفاة الاستاذ ريو صاحب الفهارس المشهورة عين مدرساً للغة العربية ولم يزل قاضياً لحقوق تلك الوظيفة خادماً خدماً مشكورة متمتعاً بالصيت والشهرة الى انتقاله في سنة ١٩٢٥ ، وكانت العلة التي عجلت عليه وفاة قرينة حياته التي احتضرت قبله باشهر .

لم يشتغل قط بتعهد المرضى مع حصوله على الشروط اللازمة للتطبيب ، ولا فارق الطب فراق المعرض عنه ، فانه اشترك غير مرة في مجلات طبية وألقى على جمعية الاطباء الملكية خطباً موضوعها تاريخ الطب عند العرب جمع منها كتاباً استحسنه اهل الفن غاية الاستحسان . وقد كان اجتمع في ايران ببعض البهائيين فحمله ذلك على التبحر في مذهبهم فصار يجمع مؤلفات تلك الطائفة ونشر سلسلة من كتب ورسائل اوضح فيها مبادئها وما حال اليه امرها وسير مشاهير رجالها ومقاصد دعاتها حتى أصبح معولاً عليه في هذا الموضوع دون غيره من علماء الغرب . وكان تعرف ايضاً باصحاب السياسة

---

(١) اصطلاح مدرسي كل مدرسة من مدارس الكلية يديرها لجنة من شركاء اصحاب مشاهرات .

في ايران ومصلحيها ولما ظهرت الدولة الدستورية هنالك كان مؤسسو الدستور الايراني يشاورونه و يعتبرون آراءه في امورهم ونشر في انكلترا كتباً وصف فيها صدور الحركات الدستورية والاشخاص الذين كان لهم الحظ الاوفر في تغيير الاحوال وكان يكاتب الجرائد السياسية في انكلترا يدافع عن حقوق الفرس وأهم تأليف ألفه تاريخ الآداب الفارسية ظهر اول مجلد منه سنة ١٩٠٢ وخاتمته سنة ١٩٢٤ وهو كتاب مستوعب لموضوعه لم يُسبق الى مثله ، وقلما يوجد في تواريخ الادب كتاب يضاهيه في الاستقصاء والاحاطة ، وجمال الاسلوب وسلامة الذوق ، وفيه ما يدل على سعة العلم وبذل الجهد مع المفاداة بالاموال في تحصيل خطوط وكتب مطبوعة وجرائد نادرة الوجود يسد بها خروقاً ويرتق بها ما فتق مقتفياً آثار التصنيف الفارمي من ابتدائه الى ايامنا هذه وصار كتاباً سيخلد ، ان شاء القادر ، ذكره ويفتخر به وطنه .

ومن مناقبه في اصلاح اسلوب التعليم في كليتنا استناده الى مساعدين دعاهم من الاستانة ومصر وايران وهم قادرون على تعويد الطلبة استعمال لغاتهم آلات يعبرون بها عن افكارهم فخرج تلامذة عدة خدموا اللغات الاسلامية خدماً لا تنكر . ومن مناقبه ايضاً ما اشار به على ابوي المرحوم (جيبز كب) صاحب تاريخ الشعر العثماني من تأسيس (تذكار كب) وهو عبارة عن مبلغ ضخم من المال ينفق فائضه في ترقية العلوم الاسلامية فوضت ادارته الى لجنة انتخبها هو بصفته رئيسها لحل به مشكلاً كان قد منع طلبة العلم من الاقدام على الاستشراق ، وهو استحالة وجدان ناشر يتكلف طبع كتب متعلقة بالشرق لكساد سوقها الا عند اهل الفن ، وعددهم قليل لا ترجى له زيادة ، وهذه خدمة لو كان الاستاذ اقتصر عليها ولم يصنع سواها لاستحق بها ثناء لا مزيد عليه وشكراً لا ينفد .

وزد على ما ذكرنا ماقاسى الاستاذ من التعب في تأليف فهارس الخطوط الاسلامية الموجودة في مكاتب كمبرج ونشر تآليف عربية وفارسية مع ترجمتها ، ثم انتخاب كتب فوض نشرها الى تلامذته واصدقائه من اهل العلم ، ومقالات اهداها الى مجلة الجمعية الاسيوية وغيرها من المجلات الفنية تتعجب من عمر متوسط الطول كيف وسع جميع تلك الاشغال .

لم يعدم الاستاذ المرحوم شهادات شهدت بان معاصريه قدروا اعماله قدرها ومنها شيء كثر عند الالمان وهو نادر عندنا غاية الندور بحيث اضطررنا الى استعارة عبارة نمساوية (فستشرفت) ومعناها ان الاديب عند بلوغه كذا وكذا من سني عمره او وظيفته يجتمع زملاؤه وتلامذته ويؤلفون مقالات علمية يجعلونها مجلداً يقدمونه اليه معنوناً باسمه وقد اهدى الى الاستاذ برون كتاب تلك صفته عندبلوغه سن الستين اشترك في تأليفه رجال من احدى عشرة امة وأُضيفت اليه جملة قصائد قرضها شعراء ايرانيون ، ثم لما أُسست الاكاديميا البرطنية انتخب عضواً من اعضائها ثم انتخبه عضو شرف المجمع العلمي الشامي الذي أخاطبه متمثلاً بكلام النهاوندي في وصف اعضائه الكرام :

تتنافى اللغات والدين والاخـ ـلاق منهم والزيّ والاسماء
أألفتهم مع التباعد نعما ؤك حتى كأنهم خلطاء

اكسفورد : مرجليوث

التنبيه

على غلط الجاهل والنبيه

— ٣ —

﴿ فصل الجيم ﴾

ومنها (في فصل الجيم) (جمادى الأولى والأخرى) هي فعالى كحبارى . ودالها مهملة . والعوام يستعملونه بالمعجمة المكسورة . ويصفونها بالاول . فيكون فيها ثلاثة تحريفات : قلب المهملة معجمة . والفتحة كسرة . والتأنيث تذكيراً . وكذا جمادى الأخرى: يقولون جماذي الآخر بلاتاء . والصحيح الآخرة بالتاء . اوالأخرى . وهما معرفتان من اسماء الشهور . فإدخال اللام في وصفيها صحيح . وكذا ربيع الاول وربيع الآخر في الشهور . اما ربيع الازمنة فالربيع الاول باللام [1] .

﴿ فصل الحاء ﴾

ومنها (في فصل الحاء) (الحباب) يستعمله الأكثر في النفاخات التي تطفو على وجه الماء بضم الحاء المهملة . وهو خطأ : فانه بضم الحاء الحية . فالصحيح فتح الحاء . قال في القاموس حَباب الماء كسحاب فقاقيعه التي تطفو كأنها القوارير .

ومنها (المحبة) بفتح الميم مصدر بمعنى الحب فضم الميم كما يفعله البعض خطأ .

ومنها (كعب الاحبار) وهو بالحاء المهملة . واشتهر بين العوام بالمعجمة لكثرة ما يرويه من الاخبار . وهو وهم . قال في الصحاح كعب الحبر منسوب الى الحِبر الذي يُكتب به . لانه كان صاحب كتب . وقال في القاموس (كعب الحبر معروف [2]) فلفظة الاحبار فيها كلام ايضاً : اذ ما وصفه الثقات الا بالحِبْر . ولا يسمع كعب الأحبار الا في الروايات .

---

(١) اي بادخال ال على ربيع الذي هو احد فصول السنة لانه ليس معرفة كربيع الشهر

(٢) هذه عبارة القاموس في مادة كعب . اما في مادة حبر فقد قال (وكعب الحَبر و يكسر ولا تقل الاحبار) .

ومنها (المستحكِم) هو بكسر الكاف بمعنى المحكَم . يقال أحكمه فاستحكم اي صار محكَماً . لكن اشتهر بين الناس فتح كافه وهو خطأ اذ هو لازم .

ومنها (الحانث) وهو من الحنث بكسر الحاء بمعنى الحلف[1] في اليمين . وقد حنث كعلم . والمشهور بين الناس الحنيث[2] وهو لحن .

ومنها لفظ (الحيدر) بالحاء المهملة من أسماء الأسد . والجافون[3] يستعملونه بالمعجمة لعدم زوال الكزازة عنهم بتحصيل طرف من العلم . بل ربما يسمعون الحق فلا ينتبهون . لان ترك المألوف صعب . او لزعمهم إياه بالمعجمة في الحقيقة .

ومنها (الحَيَوان) هو بالتحريك جنس الحيّ . واصله الحَيَيان . ذكره في القاموس . فإسكان الياء فيه كما يفعله العامة لحن .

﴿ فصل الخاء ﴾

ومنها (في فصل الخاء) لفظ (الخجل) هو ككَتِف المتحيّر المدهوش من الحياء . وقد خجل من باب طرب . فالخجيل بزيادة الياء مما يوجب الخجلة . وكذا (الخجالة[4]) على ما يستعملها البعض .

ومنها (الخشن) هو ايضاً على وزن كتِف . وقد خشُن الشيءُ من باب سهُل فهو خشِن (فالخشين) بالياء انما هو من خشونة الطبع .

ومنها (الخيزران) هو بفتح الخاء وسكون الياء وكسر[5] الزاي شجر هندي وهو عروق ممتدة في الارض . وهي عروق القنا . فتحريف بعض الناس إياه وقولهم فيه

(١) لعل صوابه الحلف بالخاء المعجمة : لأنه أخلف بها ولم يقم بموجبها . (٢) اي انهم يستعملون حنيث مكان حانث . (٣) الجافون جمع جافي الغليظ وفلان جافي الخلق اي كز غليظ العشرة والكزازة اليبوسة والانقباض وفي نسخة (واللاحنون) مكان (والجافون) . (٤) أراد بقوله : وكذا الخجالة الى آخره أن الخجالة من أغلاطهم التي يحسن التنبيه اليها ايضاً لانها ليست من مصادر خجل . ويمكن ان يقال ايضاً ان قول مؤلفنا (مما يوجب الخجلة) هو مما يوجب الخجل لان (الخجلة) ليست من مصادر خجل كما ان الخجالة كذلك . (٥) صوابه وضم الزاي كما في القاموس والصحاح .

(خزيران وهزاران[1]) تصرّف عامي ·

﴿ فصل الدال ﴾

ومنها (في فصل الدال) لفظ (الدأب) هو بسكون الهمزة العادة والشأن وقد تحرك · فاستعمال الناس اياه بمعنى الأدب خطأ محض ·

ومنها (الدعاوى) هو كصحارى جمع الدعوى · وبكسر الواو كما يفعله البعض[2] خطأ ·

ومنها (الديانة) هي معروفة يلحن بعض العوام فيها بتقديم النون على الياء · فقولُهم (دناية) · عن الجهل كناية · وعلى اللفظ جناية ·

ومنها (الأدوية والأدعية) على وزن أفعلة من جموع القلة · ولا تلتفت الى تشديد العوام ·

﴿ فصل الذال ﴾

ومنها (في فصل الذال) (الإذعان) : الغلط فيه من حيث انهم يستعملونه بمعنى الإدراك فيقولون أذعنت فلاناً بمعنى فهمت · والصحيح أذعنت له · ومعناه الخضوع والذل والانقياد · واذعان النفس للشيء قبولها اياه وانقيادها له · ومن أدرك المعنى حق الادراك ينقاد له طبعه ويقبله حق القبول · ومنها [3] وقع الناس في الغلط ·

ومنها لفظ (الاذناب) وقع في بعض مختصرات الصرف: (الزاجر عن الاذناب) فزعموا انها(أذناب) على وزن أفعال جمع ذنب بمعنى الاثم · وهو عجيب لان الاذناب جمع ذَنَب بفتح النون لا جمع ذنْب بسكونها · فإن جمعه ذنوب · قال في القاموس (الذنب

---

(١) وفي نسخة هزران بالهاء من دون الف بعد الزاي ولعل الصواب خزاران بالخاء المعجمة ولكن الناسخ التركي كتبها بالهاء كما ينطقها · (٢) لكن الصحيح انه يقال دعاوِي ودعاوَى وصحارِي وصحارَى وفتاوِي وفتاوَى والكسر أفصح وتحقيق ذلك في المصباح فراجعه في مادة (دعا) · (٣) قوله ومنها اي ومن هذه الجهة وقع الناس الخ اي ان الناس انما غلطوا في جعلهم أذعن بمعنى فهم لكونهم لاحظوا ان من فهم شيئاً وادركه انقاد له طبعه وخضع فصار بين الادراك والاذعان علاقة ونسبة روّجت إطلاق الاذعان على الفهم والإدراك ·

الإثم والجمع الذنوب وجمع الجمع ذنوبات . وبالتحريك واحد الأذناب) وقد ذُكر في الصرف أن (فَعْلا) بسكون العين لايجمع في غير الأجوف على أفعال الا في[1] أفعال معدودة : كشكل واشكال وسمع واسماع وصحيح واصحاح وفرخ وافراخ . وقد قالوا في فرخ انه محمول على طير[2] فالعبارة[3] بكسر الهمزة مصدر (أذنب) وهو الملائم للزجر : اذ الممنوع عنه كسب الذنب لا الذنب نفسه . ألا ترى ان معنى النهي عن الذنب نهي عن الاتيان به . وعن القرب منه . فعلم ان العبارة بالكسر أصابت[4] الحز . وطبّقت المفصل[5] .

فصل الراء

ومنها (في فصل الراء) (المرتبط) : قولُ الناس (فلان مرتبط بكذا) على البناء للفاعل خطأ . والصحيح مرتبط بكذا على بناء المجهول[6] لان (ارتبط) متعد كربط . كما اتفقت عليه أئمة اللغة .

ومنها (المرثية) هي بالتخفيف مصدر كمحمدة قال في الصحاح : رثيت الميت من باب رمى[7] ومرثية ايضاً اذا بكيته . وعددت محاسنه . وكذا اذا نظمت فيه شعراً انتهى .

---

(١) لعل صوابه الا في كلمات معدودة او الفاظ معدودة . (٢) اي ان لفظ (طير) لكونه اجوف يجمع على افعال فيقال اطيار . فحملوا عليه (فرخ) مذ قالوا في جمعه (أفراخ) . وانما حملوه عليه لما بينهما من العلاقة وهي ان الفرخ صغير الطير . (٣) قوله فالعبارة اي العبارة السابقة وهي قولهم (الزاجر عن الاذناب) . (٤) خلاصة ما أراده المصنف هو انه يجب في قولهم (الزاجر عن الاذناب) ان يلفظ بكسر همزة (الإذناب) بناء على كونه مصدراً لفعل (أذنب) قال : وهذا هو الصواب لأن الزجر والنهي انما يكون عن ارتكاب الذنب لا عن الذنب نفسه . (٥) تطبيق المفصل كناية عن إصابة الحجة والحق . واصل استعماله في السيف يقال طبّق السيف المفصل اذا اصابه فأبان العضو كقول الشاعر في صفة سيف (يصمم أحياناً وحيناً يطبّق) . (٦) وفي نسخة على بناء المفعول وهي اصوب . (٧) قوله ومرثية معطوف على محذوف لان التقدير (من باب رمى الذي جاء مصدره رثياً ومرثية ايضاً) وفي نسخة هكذا (رثيت الميت من باب رمى مرثية ورثوته ايضاً اذا بكيته الخ) .

فتشديد الناس ياءها[1] لحن محض . وهذا المصدر يضاف تارة الى فاعله فيقال مرثية فلان الشاعر . وأخرى الى مفعوله فيقال مرثية[2] الشاعر المرحوم . واما القصيدة فهي مرثيّ بها .

ومنها (الرفاهية) هي بالتخفيف مصدر كطواعية يقال فلان في رفاهية من العيش ورفاهة منه اي في سعة وخصب ولين والناس يلحنون فيها [3] بتشديد الياء .

ومنها (الرِق ّ) هو بالكسر مصدر بمعنى العبودية فقول الناس الرقّية خطأ فاحش .

❊ فصل الزاي ❊

ومنها (في فصل الزاي) (الزعيم) هو بمعنى الكفيل قال سبحانه وتعالى حكايةً (ولمن جاء به حملُ بعير وانا به زعيم) اي كفيل . وفي الحديث (الزعيم غارم) . وبمعنى السيد والرئيس كما ذكر في كتب اللغة . فاستعمال الناس اياه بمعنى الزاعم من الزعم الذي هو الحسبان مبنيّ على الزعم الفاسد .

ومنها (الزَّعامة) هي بفتح الزاي بمعنى الكفالة والسيادة . فكسر بعض الناس زايها غلط[4] .

ومنها (المزيد) هو لفظ اخترعه الناس واستعملوه وقالوا [5] فلان مزيد للبلغم بمعنى الزائد في البلغم . ولا اصل له في كلام العرب اصلاً : لانهم ما استعملوا الإفعال من زاد ولا حاجة اليه لأن زاد مشترك بين اللازم والمتعدي يقال زاد الشيءُ وزاد غيره .

❊ فصل السين ❊

ومنها (في فصل السين) لفظ (السبق) هو مصدر سبق من باب ضرب والناس يزيدون فيه تاء فيقولون السبقة زاعمين انها مصدر سبق فهو منهم لحن . نعم يمكن ان يقال يجوز ان تكون التاء للمرة كضربة مثلاً ويكون المعنى سبقاً واحداً . لكن من تتبع مواضع استعمالاتهم يعرف انهم لا يقصدون بها المرة ولا يخطر ببالهم معنى المرة اصلاً بل يستعملونها

(١) اي ياء كلمة مرثية . (٢) الاظهر ان يقول مرثية فلان المرحوم اي فلان الذي قيلت فيه المرثية ولا معنى للتمثيل بالشاعر . ثم ظفرت به في بعض النسخ . (٣) اي في كلمة الرفاهية (٤) لانها مصدر اما اذا أريد بها الوظيفة فتكسر كما تكسر اخواتها : الإمارة والعِيالة (٥) قوله فلان مزيد لعل صوابه ان يقال الشيء الفلاني من الاطعمة او العقاقير مثلاً مزيد للبلغم : لان كلمة فلان يكنى بها عن الشخص لا الشيء . ولعل الاتراك يكنون بفلان عن الشيء ايضاً .

بمعنى المصدر فقط فيقولون (هو من قبيل سبقة اللسان) ولا معنى لاعتبار المرة هنا ·

ومنها (الحق السابقة) · و (الاشتهار الكاذبة) · و (الانعام العالية) مما تركه اولى من ذكره لولا الشريطة السابقة · وسببه عدم الالتفات الى مايخرج من افواههم كأنهم غير مأخوذين [1] · والا فكيف يخفى على العاقل امثالها · وبعضهم يستعملون السابقة بلا موصوف · وهو قريب من الصواب اذ يمكن جعلها صفة لموصوف مؤنث كالحقوق مثلاً · ويمكن ايضاً جعل التاء للنقل كأنهم جعلوها من عداد الاسماء · لكن العرب ما استعملتها بالتاء ولا نقلتها من الوصفية الى الاسمية ·

ومنها (السحور) هو بالفتح اسم لما يتسحّر به كالصبوح والغبوق اسمان لما يشرب بالصباح والعشاء [2] فضم السين كما يفعله البعض خطأ [3] ·

ومنها (السكّر) يزيد [4] فيه بعض العوام ألفاً فيصير أمرّ من العلقم · وهو لفظ معرب معناه معروف ·

ومنها (السلس) هو على وزن كتِف · تقول شيء سلِس اي سهل ورجل سلِس اي ليّن منقاد · وفلان سلِس البول : اذا كان لايستمسكه (فالسليس) بزيادة الياء على ما هو المشهور غير سلس بل هو لحن محض كالتجبيل والخشين المارين من قبلُ · وكذلك قولهم فلان (سلَس البول) بفتح اللام · وقد عرفت آنفاً أنه بكسر اللام ·

ومنها (التسلي) هو مصدر من تسلّى على وزن تفعّل · وكسر اللام للياء [5] وقولهم التسلّى بفتح اللام والتجلّى (في التجلّي بكسر اللام) لحنٌ محض ·

---

(١) وفي نسخة غيرموآخذين به · وموضع الخطأ في هذه الثلاثة وصف المذكر بصفة المؤنث فصوابه ان يقال الحق السابق والاشتهار الكاذب والانعام العالي ·

(٢) وفي نسخة والعشي · (٣) ضم سين سحور يكون خطأ اذا أريد به نفس الطعام الذي يتسحر به · اما اذا أريد به المصدر اي أكل ذلك الطعام فلا يكون خطأ · وكذا يقال في الصبوح والغبوق · (٤) لعلهم يزيدون الألف بعد الكاف فيقولون السكار · (٥) اي وانما كسرت لام التسلي الذي هومصدر — لمناسبة الياء والا فاللام في الاصل مضمومة لان مصدر تكلم التكلم بضم لامه ·

ومنها لفظ (مسيلمة) هو بكسر اللام تصغير مسلمة واسم للكذاب المشهور فمن يقولها بفتح اللام ويدعي الصحة أكذب منه ·

ومنها (السهل) هو ضد الجبل وارض[1] سهلة وقد شاع بين الناس (ساحل) يقولون لموضع اذا مشي[2] هو ساحل سواء كان قريباً من البحر او لا وهو[3] خطأ اذ الساحل هو شاطئ البحر · والأرض القريبة من البحر معدودة من الساحل ايضاً · ومعنى الساحل المسحول لان الماء سحله اي نحته وقشره فهو[4] مقلوب · أو معناه[5] ذو ساحل من الماء : اذا ارتفع المد ثم جزر جرف ما عليه ذكره في الصحاح[6] وفي القاموس ·

فصل الشين

ومنها (في فصل الشين) (الشباهة[7]) هي لفظة مستعملة بين الناس لكن لا صحة لها والصحيح الشبه بفتحتين تقول بينهما شبه والجمع أشباه على القياس ومشابه على غير القياس · واذا أردت استعمال الفعل تقول أشبه يُشبه شبهاً · ولا يستعمل الثلاثي من الشبه كما لا يستعمل[8] المصدر من أشبه ·

---

(١) وفي نسخة والارض سهلة · (٢) لعله يريد اذا مشي فيه كثيراً حتى أصبح مهاداً سهلاً غير حزن · وهذا التعبير غير جيد فلعل كلمة مشي محرفة عن مهد مثلاً · (٣) وخلاصة الخطأ في كلمة (ساحل) انهم يستعملونها في مقام (سهل) فيقولون : موضع ساحل اي سهل مشى فيه الناس ووطئته أقدامهم حتى صار سهلاً ممهداً : فاطلاق كلمة ساحل عليه وهو بعيد عن البحر خطأ لان الساحل هو شاطئ البحر والارض القريبة منه واذا كانت بعيدة لا تسمى ساحلاً · (٤) اي انه اسم فاعل قلب معناه الى معنى اسم المفعول اي مسحول كعيشة راضية اي مرضية · (٥) يعني ان (ساحل) على هذا ليس هو بمعنى مسحول بل هو على تقدير مكان ذو ساحل ويكون المراد بالساحل الماء الذي يسحل تراب الشاطئ كلما أقبل وأدبر بسبب المد والجزر والاقرب ان يقول بسبب الريح والهواء · (٦) وفي نسخة اقتصر على القاموس وهو الصواب · (٧) وفي نسخة الشباهية · (٨) اي ان فعل اشبه اكتفوا فيه بماضي الرباعي ومضارعه وبمصدر الثلاثي · وذلك كأحبه يحبه حباً ولا يقال إحباباً

ومنها (تقيب الاشراف) يلحن فيه البعض بحذف [1] الالف .

ومنها (الشكل) يلحن فيه البعض بزيادة الالف فيقولون (الشاكل) وأظن ان هذه الالف مسروقة من الأشراف . فليتهم [2] نقلوا هذه الالف الى موضعها فاستراحوا من الحنين وأراحوا .

فصل الصاد

ومنها (في فصل الصاد) (المصرف) هو بكسر الراء . وفتح الناس راءها لحن لأن ماضيه صرف من باب [3] ضرب .

ومنها (الصلوحية [4]) بتشديد الياء اخترعها أصحابنا واستعملوها ولكنها من الألفاظ المهملة كالرقية المذكورة . والمصدر هو الصلوح والصلاح .

فصل الظاء

ومنها (في فصل الظاء) (المظلِمة) هي بكسر اللام على وزن المحمدة مصدر ظلم قال في الصحاح ظلمه يظلمه (بالكسر) ظلماً ومظلِمة بكسر اللام اه والناس يفتحون لامها فيقولون مثلاً (ضربُ اليتيم مظلَمة) بفتح اللام اي ظُلم وهو خطأ : اذ هي بفتح اللام ماتطلبه من الظالم وهو اسم لما أخذ منك كالظلامة . على ان صاحب القاموس لم يذكر فيها [5] الا الكسر . ومما يجب ان ينبه عليه أن المصدر الحقيقي لظلم هو الظَّلْم بفتح الظاء ذكره في القاموس . ويفهم منه ان الظُلم بالضم هو في الاصل اسم منه وان شاع استعماله موضع المصدر .

ومنها (الظلام) هو كسحاب اول الليل او ذهاب [6] النور . فضم الظاء على ما يسمع من البعض من ظلمة الجهل . (البقية للآتي)

---

(١) كأنهم يقولون تقيب الاشرف . (٢) وفي نسخة ولوأنهم ... لاستراحوا ...

(٣) فيكون مصدره الميمي مفعِل بكسر العين كما هو القياس . (٤) اي بالواو بعد اللام اما بالالف بعد اللام اي الصلاحية بدون تشديد فمصدر ايضاً وان لم يذكره المؤلف وفي نسخة (ومنها الصلاحيّة) اي بالف بعد اللام وتشديد الياء . ولعل هذه النسخة أصح .

(٥) وفي نسخة (لم يذكر فيها ايضاً الا الكسر) . (٦) وفي نسخة (وذهاب النور) بالواو لا بأو .

آراء وافكار

« تاريخ بن أعثم الكوفي »

ذكر لنا ياقوت الحموي في معجم أدبائه (١) ان لابي محمد احمد بن اعثم الكوفي الشيعي كتاباً في الفتوح ذكر فيه الى ايام الرشيد وآخر في التاريخ الى آخر ايام المقتدر ابتدأه بأيام المأمون ويوشك ان يكون ذيلاً على الاول قال : ورأيت الكتابين ووصف ابن اعثم بكونه اخبارياً مؤرخاً .

ولم تصل الينا تواليف ابن اعثم التي تنحصر في هذين التاريخين وكتاب آخر في المألوف .

الا اننا اطلعنا اخيراً على ترجمة فارسية لكتاب الفتوح المذكور مطبوعة على الحجر في مدينة بومباي بالهند سنة ١٣٠٠ ﻫ ١٨٨٢ م .

وقد جاء في اول الكتاب « ألفه احمد بن محمد بن علي المعروف بأعثم الكوفي » وفي مقدمته : « ترجمه محمد بن احمد المستوفي المروي » ويكتب المترجم هذه العبارة :

« كتاب الفتوح ألفه احمد بن اعثم الكوفي سنة ٢٠٤ هجرية وفي سنة ٥٩٦ ﻫ أستخدم المترجم في مدرسة معمورة تاباد وبعد ايام معدودة امره بترجمة الكتاب المذكور عن الاصل العربي الى الفارسية الصدر الاجل الكريم العادل المؤيد المظفر المنصور مؤيد الملك قوام الدولة والدين تاج الاسلام والمسلمين احياء (؟) الملوك والسلاطين ضياء الملة بهاء الامة اكفى الكفاة بالشرق والصين صاحب السيف والقلم صدر صدور المجد والكرم حاتم الزمان افتخار اكابر خوارزم وخراسان ضاعف الله قدره واعز نصره » .

وقد استفدنا من هذه المقدمة تاريخ تأليف الكتاب وانه كان في سنة ٢٠٤ ﻫ ٨١٩ م وان كنا أضعنا اسم الصدر الأجل الذي امر بترجمته في سنة ٥٩٦ ﻫ ١١٩٩ م بين تلك النعوت والألقاب الطويلة العريضة الا ان يكون مؤيد الملك بالقياس الى مصطلحات الايرانيين اليوم في تسميه وزرائهم .

---

(١) ارشاد الأريب الى معرفة الأديب ج ١ ص ٣٧٩ .

اما تاباد التي أصلها في الفارسية تايب آباد فقد ذكرها ياقوت في معجم بلدانه [١] باسم تآيا آباذ بالذال المعجمة وهي من قرى بوشنج من اعمال هراة وقد كانت من القرى الكبيرة الآهلة ٠

فلعل في خزائن كتب العراق وفارس نسخة من اصل هذا الكتاب الممتع لنضيفها الى تراث العرب الخالد ومعينهم الذي لا ينضب ٠ حيفا : عبد الله مخلص

العرب والعربية في العالم الجديد

لا يقل عدد الشاميين في بلاد الارجنتين التي تسمونها الجمهورية الفضية عن ١٤٠ الفاً وكذلك في البراز يل وربما زاد عددهم في الولايات المتحدة على مجموع ذلك ٠ وفي جمهوريات الشيلي والبيرو والمكسيك والاوراغواي وغيرها يقدرون من ٥ الى ١٠ آلاف سوري ٠ ويصح لنا ان نقول ان في اميركا وحدها من ابناء العرب ٦٠٠ الف مهاجر على أقل تعديل ٠ والسوري عامل عظيم الآن في كل شيء فهو تاجر زارع صاحب معامل مساهم في الشركات طبيب محام أديب كاتب سياسي قاض، يرجح وجوده في الانتخابات النيابية ، ويميل كفة الميزان مع من يريده في كل شيء ٠ وترى الشامي في اميركا الجنوبية التي يسمونها اميركا اللاتينية مكرماً معززاً صاحب كلمة لا يستهان بها ، تكتب الجرائد المحلية عنه الفصول الطويلة ، تذكر تاريخه وتاريخ بلاده باعجاب وحب ، لان شعوبها قريبة الشبه بالسوري او العربي ٠

نعم تتشابه الشعوب الاميركية في أخلاقها وعاداتها ومجتمعاتها بالسوري لذلك تميل اليه اكثر من الانكليزي والالماني والروسي والسلافي ٠ في سهول اميركا الجنوبية يتشابه الغاوتشو الاميركي بالبدوي العربي والقبائل البدوية في بلاد العرب تشبه قبائل الهنود في جنوب الارجنتين كل الشبه ٠ تحققت ذلك بنفسي وبعض ألفاظهم عربية لم تأت من طريق اسبانيا بل من طريق وصلته العرب قبل كولومب بمئات السنين على ما يرجح المرجحون ٠ ويبحث اليوم بعض العلماء في هذه

(١) معجم البلدان طبع ليبسك ج ١ ص ٨١٦ طبع مصر ج ٢ ص ٣٥٩ ٠

المباحث ذاهبين الى ان العرب افتتحوا اميركا قبل الاوربيين وستكثر هذه الابحاث بعد مدة فترددها صحف العالم أجمع ٠

لا يتميز الشاب السوري وهو في سهول هذه البلاد عن الهنود والعاوتشو٠ يختلط بهم ويتمازج خلافاً للشعوب الاوربية حتى اللاتينية ٠ لهذا أرى ان مستقبل السوريين في اميركا عظيم جداً من حيث المالية والاجتماع والاخلاق والعلم والدين والسياسة ٠ ولا يخفى ان في اميركا الآن ثلاث او اربع ابرشيات انطاكية مرتبطة دينياً بالكرسي الانطاكي الارثوذكسي رأساً وهناك جمعيات وأحزاب ورسالات رهبنات لبنانية تعلم اللغة العربية وأندية أدبية واجتماعية ٠ وأعرف اكثر من ثلاثين شخصاً من اكبر أدباء هذه الديار ومنهم أعضاء في مجلس الشيوخ ومجلس النواب وأطباء وكتاب ومؤلفون ومحامون طلبوا مرات تأسيس رابطة قلبية عربية نسميها « نادي المعري » او « نادي الخيام » او غير ذلك لنشر آداب اللغة العربية ٠ ألم تعلموا ان في جامعة كردبا (قرطبة) استاذاً يدرس العلوم العربية ٠ واني لأعتقد ان الارتباط بمجمعكم العلمي العربي من أقدس الواجبات الوطنية ومن أعظم دعائم النهضة العربية حتى اذا تكلمتم أنتم في دمشق يسمع الصدى في نيويورك وسان باولو وبونس ايرس ، وترتبط قلوب قادة النهضة الاخلاقية في وادي العاصي ووادي النيل ووادي الفرات بوادي المسيسيبي ووادي الامازون ووادي البلاتا ٠ ثلاثة في الشرق أسسوا مدنية العالم وثلاثة في الغرب اليوم ينظر اليهم العالم أجمع : الانكلوسكسون والاميركان والاميركان اللاتين (انتهى من رسالة للمجمع العلمي من صاحب الامضاء) ٠

بونس ايرس (الارجنتين) : فؤاد حداد

الجزء ٤ المجلد ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) نيسان سنة ١٩٢٦ م الموافق رمضان وشوال سنة ١٣٤٤ هـ

نموذج من معجمنا

« في العامية المصرية »

— ٢ —

خاص

العيش الخاص يريدون به الخبز المتخذ من لباب الدقيق وفي بعض البلاد المصرية يقولون له الكماج وقد ذكرناه في الكاف فان كان هذا النوع من الخبز الافرنجي يقولون له (رفينو) وذكرناه في الفاء . وسموه بالخاص لانه خاص بالعظماء والاغنياء وليس هذا الاستعمال بحديث في العامية ، ففي اخبار الدول للقرماني في كلامه على الملك الناصر محمد بن قايتباي « وفي سنة اربع وتسعمائة استمر السلطان محصوراً وليس له من الامر شيء وفي هذه السنة بيع بدمشق حمل الانجاص العثماني بستة دراهم والحمل التفاح الفاطمي مثله والنبطي الحمل بدرهمين والخبز الخاص الكماجة الرطل بدرهمين الا ربعاً » . وعبّر عنه الجوبري في (المختار في كشف الأسرار) عن الطعام والخبز فقال : « وقال يافلانة هاتي ماعندك ولاتتكلفي للضيف بل حسب العادة فأحضرت مائدة عليها اربع زبادي طعام خاص وخبز خاص وبقل » .

والعرب تقول (الحُوَّارَى) بالضم وتشديد الواو وفتح الراء للدقيق الابيض وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه ويقال له الحُوَّر . وفي النهاية لابن الاثير انه الخبز الحوّارى وهو الذي نُخل مرة بعد مرة أصله من التحوير اي التبييض . وفي معنى

الحوّارى عند العرب (الدَرْمَق والدرمك والقِرماز) وهي معرّبة وانشد في اللسان لبعض الاعراب :

جاء من الدهنا ومن آرابه لا يأكل القرماز في صنابه
ولاشواء الرُغْف مع جُوذابه [١]

قال أراد بالقرماز الخبز المحوّر وهو معرّب . ومن شواهد الحوّارى ماأنشده ابوالعلاء في رسالة الغفران للنمر بن تولب .

ألمّ بصحبتي وهمُ هجوع خيال طارق من أمّ حصن
لها ماتشتهي عسلاً مصفى اذا شاءت وحوّارى بسمن

وشاع التعبير بالحوّارى للدقيق والخبز المتخذ منه عند المولّدين كما في قول ابن جبير في رحلته « وعيّن من تلك الاوقاف لمن يحضر ذلك كل جمعة رطلاً من خبز الحوارى وهو ثلاثة أرطال من ارطال المغرب » . وفي مطالع البدور في الكلام على الخبز « السميد [٢] طعام الملوك والحوّارى طعام الخواصّ والخشكار [٣] طعام العامة » وفيه « كان الرشيد يأكل كل يومين متواليين خبز السميد والثالث الحوّارى والرابع الخشكار والخامس والسادس خبز الارز النقي من خبز التنّور » وفيه « وكان جبريل بن بختيشوع لايؤثر على الحوّارى

---

(١) الصباب بكسر الاول صباغ يتخذ من الخردل والزبيب يؤتدم به ولم يزل مستعملاً الى الآن ولكن بغير زبيب وتسميه العامة مسطردة وهو من الايطالية (Mostarda) وقد فصلنا الكلام عليه في حرف الميم من المعجم . والجوذاب بضم الاول طعام يتخذ من سكّر ولحم ورزّ وهو معرّب . (٢) السميد بفتح فكسر أجود الحوّارى فارسيّ معرّب و بالذال المعجمة أفصح والعامة الآن تقول سميط بكسر الاول وتريد به نوعاً من الكعك الحلّق ونوعاً من الدقيق تعمل منه الحلوى وقد فصلنا الكلام عليه في حرف السين من المعجم . (٣) الخشكار بضم فسكون يراد به عند المولّدين الدقيق الاسمر الذي لم يجد نخله والخبز المعمول منه وهو فارسيّ الاصل والعرب تسميه السمراء وتسميه العامة الآن الجرايّة وقد تقول الكشكار بالكاف بقلّة وذكرناهما في الجيم والكاف من المعجم .

شيئاً » . وفي درر الفوائد المنظمة للجزيري « ولقد حكى لي ان مراتبه في منازله في كل يوم الدقيق الحوّاري لعمل الخبز القرصة خمس عشرة من البُطط (١) » .

(تتمة) من كنى الخبز الحوّاري عند المولّدين ابو نعيم ذكره المحبي فيما يعوّل عليه وذكره الحريري في المقامة التاسعة عشرة فقال : « فاستدع ابا جامع فانه بشرى كل جائع وأردفه بابي نُعَيم الصابر على كل ضيم » وجاء في الحواشي التي بالنسخة البولاقية تفسير ابي جامع بالخوان وابي نعيم بالخبز الحوّارى المصنوع من خالص الدقيق . وفي شرح الشريشي : « كنى الحوّارى وهو الدرمك ابا نعيم لان خبزه أنعم الاخباز وأصفاها » . وذكر ابن الجوزي في كتاب التطفيل ان هذه الكنية من وضع بنان الطفيلي وأورد له عدة كنى وضعها للطعام وآلته منها ابو نعيم للخبز الحوّارى وابو جابر للخشكار وابو اليسر وابو الملك للسميد .

دَفَّة

الدفة بفتح الدال وتشديد الفاء يريدون بها خشبة تكون بمؤخر السفينة يعدّل بها سيرها وقد تكون من حديد كالتي في البواخر الكبيرة . والظاهر انها من الدفة بمعنى جنب الشيء وصفحته ومنه دفّتا السرج للوحين اللذين بجانبيه . واستعملها ابن بطوطة بمعنى مصراع الباب او ما يشبهه فقال في وصفه للمسجد النبوي « وفي وسط المسجد الكريم دفّة مطبقة على وجه الارض مقفلة على سرداب له درج يفضي الى دار ابي بكر رضي الله عنه » ولعلها استعملت في بعض العصور عند المولّدين لمصراع الباب ثم سميت بها خشبة السفينة على التشبيه والعامة تستعملها الآن للمصراع ولكن بتخفيف الفاء وزيادة راء فتقول فيها (دَرْفة) .

ويرادف الدفّة من الفصيح السُكّان والخيزرانة والكوثل والخَيْسَفُوجة .

---

(١) البطط بضم ففتح جمع بطّة عندهم والقياس بطاط بالكسر وهي اناء معروف وظرف للبزر والزيت يقال له ايضاً الدبة بفتح الاول وتشديد الموحدة والمراد به هنا مكيال للدقيق .

اما السُكّان بضم اوله وتشديد الكاف فقد عرّفه اللغويون بانه ذنب السفينة الذي به تعدّل قال طرفة :

وأتلع نهّاض اذا صعّدت به كسكّان بوصيّ بدجلة مُصْعِدِ

وفي أحسن التقاسيم في اختلاف لغات البلاد ان السكان يقال له في بعضها الرِجل وهو الذي رأينا ابن منكلي يعبر به في كتابه الاحكام الملوكية في فن القتال بالبحر كقوله في موضع منه « واذا آنس العدوّ انكم قد اقتربتم عليهم وقت الرماية فارموا حينئذٍ كلكم جملة واحدة اما على القذّافين وهو الأولى او على ماسك الرجل او على مقدّم رماتهم » يريد ممسك السكان . وقال ابن جبير في رحلته : « وفي اثناء هذه المحاولة جنح [١] المركب بكلكله على البرّ والتقاء بسكّانيه وهما رجلاه اللتان يصرّف بهما وقامت الصيحة الهائلة في المركب » الخ الى ان قال : « وتعاورت الريح والأمواج صفح المركب حتى تكسرت رجله الواحدة » [٢] .

وفسروا الخيزرانة والخيزران بسكان السفينة وهو الكوثل وأنشدوا قول النابغة يصف الفرات وقت مدّه .

يظلّ من خوفه الملاّح معتصماً بالخيزرانة بعد الأين والنَّجَدِ

وقيل الخيزران لجام السفينة الذي به يقوّم السكان ولعل المراد بذا السكان والذي عليه سائر النصوص انه السكان نفسه . وممن استعمله من المولّدين ابو نواس في قوله يصف سفينة :

وكأنها والماء ينطح صدرها والخيزرانة في يد الملاّح
جون من الغربان يبتدر الدجى يهوي بصوت واصطفاق جناح

وفسروا الكوثل بفتح فسكون بانه مؤخر السفينة وفيه يكون الملاّحون ومتاعهم وقيل الكوثل السكان وهو الخيزرانة وأنشدوا عليه : « من الخوف كوثلها يلتزم » وفسروا الخيسفوجة بسكان السفينة .

---

(١) في نسخة سنح . (٢) جاء في تفسير ألفاظ هذه الرحلة الملحق بالطبعة الليدنية ان هذه السفينة كانت من السفن ذوات السكّانين في الجانبين لكل جانب منها سكّان منوط به .

رُومِس

الرومس بضم الراء وكسر الميم وبعضهم يسميه بالراموس جرار من المسماة عندهم بالبلاليص تكبُّ على أفواهها ويضم بعضها الى بعض بحبال تشد في عراها ثم تلقى في النيل فتعوم و يسافر عليها· يفعلون ذلك عند نقل هذه البلاليص من مكان صنعها بالصعيد الى الريف[1] فيغنيهم عن نقلها بالسفن والانفاق عليها ويقوم لهم مقام السفن في السفر عليه بقضهم وقضيضهم حتى الحمير والمعز · ولهذا اللفظ اصل في الفصيح حرِّف عنه وهو الرَمَث بالتحريك و يراد به خشبات يضم بعضها الى بعض و تركب في البحر سمي بذلك من رمثت الشيءْ اذا لممته وأصلحته فهو فَعَل بمعنى مفعول و يجمع على أرماث وله ذكر في الحديث الشريف وأشعار العرب ومنه قول ابي صخر الهذلي :

تمنيت من حبي عُليّة أننا على رمث في الشرم ليس لنا وَفْر[2]

ولما كانت هذه الجرار المضمومة تقوم مقام الخشبات في عمل هذا المركب سمتها العامة بما تسمى به الخشبات عند العرب فأحسنت في التسمية ولكنها أساءت في تحريف اللفظ ·

والعرب تسمي الرمث بالطَوْف ايضاً بفتح فسكون قال في اللسان : « الطوف قِرَب ينفخ فيها و يشد بعضها ببعض فتجعل كهيئة سطح فوق الماء يحمل عليها الميرة والناس و يعبر عليها و يركب عليها في الماء و يحمل عليها وهو الرمث قال وربما كان من خشب · والطوف خشب يشد و يركب عليه في البحر والجمع أطواف وصاحبه طوّاف قال ابو منصور الطوف التي يعبر عليها في الانهار الكبار تسوى من القصب والعيدان يشد بعضها فوق بعض ثم تقمّط بالقُمُط حتى يؤمن انحلالها ثم تركب و يعبر عليها وربما حمل عليها الجمل على قدر قوّته وثخانته وتسمى العامة بتخفيف الميم » انتهى · وزاد في المصباح في تعريف الطوف « و يجعل عليها خشب » بعد قوله قرب ينفخ فيها و يشد بعضها الى بعض ·

---

(١) كانوا قديماً يخصون الوجه البحري بمصر باسم الريف كاختصاص الوجه القبلي باسم الصعيد لجار يتام في ذلك وفصلنا الكلام عليه في موضعه من المعجم · (٢) الشرم موضع في البحر والبيت في اللسان بهذه الرواية ورواه علم الدين السخاوي في سفر السعادة (من حبي بثينة) ونسبه لجميل والذي في اللسان مرجح لذكره ابيات ابي صخر التي منها هذا البيت ·

ومن أسماء الطوف عند العرب العامة بتخفيف الميم قال في اللسان « العامة المِعْبر الصغير [1] يكون في الانهار وجمعه عامات قال ابن سيده والعامة هنة تتخذ من أغصان الشجر ونحوه يعبر عليها النهر وهي تموج فوق الماء والجمع عام وعوم . الجوهري العامة الطوف الذي يركب في الماء » . قلنا يفهم من هذا التعريف ان العامة الطوف الصغير الذي يعبر عليه فيحسن تخصيصها لما كان صغيراً من هذا النوع . وذكر صاحب القاموس ايضاً العامة وفسرها بقوله : « عيدان مشدودة تركب في البحر و يعبر عليها في النهر كالعامّة او الصواب العامة مخففة » وقال شارحه ان المخففة هي الصحيحة .

(تتمة) استعمل الشنان في بعض العصور لخشب يشد بعضه ببعض و يعبر عليه النهر وهو فارسي معرّب وعربه الارماث كما في شفاء الغليل وقصد السبيل . قلنا هو بكسر اوله ولا ندري ان كانت النون التي بآخره من تحريف الناسخ ام من تعريب المعرّب وهو من شنا في الفارسية بمعنى العوم و يقال فيه عندهم شناب وشنار وشناو بالباء والراء والواو في آخره و يقال للسابح شنابر وشناور بفتح الباء والواو وقد يختصر فيقال شنار وشناو والمقصود كل جرم يطفو على الماء ولايغوص . وقد توقف فيه مؤلف كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة فنقل عبارة شفاء الغليل ثم قال انه لم يجده في المعاجم الفارسية ولعله من السريانية .

زَلُّومة

الزلّومة بفتح الزاي وضم اللام المشدّدة يريدون بها خرطوم الفيل وهم في الغالب اذا ذكروه كنوه بها للتأكيد فقالوا الفيل ابو زلّومة . وقال الزبيدي في المستدرك على زلم من شرح القاموس : « الزلومة اللحمة المتدلية العامية » ولم يخصها بالتي للفيل والعامة بمصر الآن تخصها بها بل وقبل الآن ايضاً كما سيأتي فلعلها كانت معروفة بهذا الاطلاق في عامية بلده زبيد فتكون محرفة عن الزلمة بالتحريك وهي احدى الهنتين المتدليتين في حلوق بعض العنز وتسميها عامة مصر بالبلحتين لانهما تشبهان تمرتين معلقتين ثم أطلقها بعضهم على التي للفيل غير مراعٍ التفاوت في الحجم .

(١) المعبر بكسر فسكون ما يعبر به النهر وهو المسمى عند العامة بالمعدّية .

والأظهر في زلومة الفيل ان تكون محرفة عن الزلقوم بضم فسكون وهو خرطوم الفيل على ما في كتب اللغة فأبدلت العامة القاف لاماً ثم أدغمت وفتحت اوله وألحقت التاء بآخره . و يقال للزلقوم ايضاً الخرطوم بضم فسكون قال في اللسان : « الخرطوم للفيل وهو انفه ويقوم له مقام يده ومقام عنقه قال والخروق التي فيه لا تنفذ وانما هو وعاء اذ ملأه الفيل من طعام او ماء اولجه في فيه لانه قصير العنق لاينال ماء ولامرعى » انتهى . ويقال لزلقوم الفيل ايضاً القُرطوسة بضم الاول والنرطيسة بالكسر والملمة بضم الاول وفتح اللامين . وانشد ابو الفرج في الأغاني لعلي بن الجهم من ارجوزة يصف فيها فتحاً وقع مدة المتوكل ويذكر القتال :

ومنجنيق مثل حلق الفيــل ترفض من خرطومه الطويل
صواعق من حجر السجّيل تترك كيد القوم في تضليل

سموا ذراع المنجنيق لطوله بذلك على التشبيه بخرطوم الفيل كما فعلت العامة الآن فاستعملت الخرطوم لشبه انبوب طويل من المطاط او النسيج الجافي تسقى به البساتين وهو استعمال لا بأس به على التشبيه الا انها تفتح اوله والصواب ضمه .

وليست الزلومة بمحدثة الاستعمال في العامية فقد ذكرها ابن طولون الصالحي في رسالة له في الفيل وهو من القرن العاشر فقال : « واهل الهند تعظم الفيل لما اشتمل عليه من الخصال المحمودة ومن علو سمكه وعظم صورته وبديع منظره وطول خرطومه ولذلك يقال له ابو زلومة » . بل قد استعملها قبل ذلك في القرن الثامن محمد بن منكلي نقيب الجيش بمصر مدة الأشرف شعبان فقال في باب صيد الفيل من كتابه « انس الملا بوحش الفلا » « وانه اذا مدّ زلومته امكنه ضربه فاذا قطع من طرفها شيئاً فقلّ ان يعيش لورمها من الجراحة » .

القاهرة : احمد تيمور

تصحيح نهاية الارب

« تتمة أغلاط الجزء الثالث »

وفي صفحة ٢٠١ سطر ١٢ — قوله (لعمري لئن بُيّعت في دار غربة بناتي الخ) صوابه بِيْعت بنباء الفعل للمعلوم · ومعنى بيّع باع الثلاثي وقد وردت في شعر حسان بهذا المعنى

وفي صفحة ٢٠٢ سطر ١ — قوله (وفيها قلة وحمول) صوابه وخمول بالمعجمة ·

وفي صفحة ٢٠٥ سطر ١٥ — قول اكثم بن صيفي حكيم العرب (ولا تعتقدوا البخل تتعجلوا الفقر) اعتقاد البخل له معنى في الجملة ولكن الاشبه ببلغاء العرب ان يقولوا (ولا تقتعدوا البخل) بتقديم القاف من اقتعد الشيء اتخذه مركبًا كالقعود يبلغه حاجاته ويؤيد هذا المعنى قوله بعده (تتعجلوا الفقر) فان المستعجل يتوسل بوسائل التعجيل المختلفة كأن يركب على قعود يتعجل به · لا أن يعتقد الشيء في نفسه ·

وفي صفحة ٢٠٥ سطر ١٨ — قوله (وكتب رجل من البخلاء الى سخيّ يأمره بالانفاق على نفسه ويخوّفه الفقر) صوابه بالاشفاق على نفسه والرفق بها فلا يكلفها كثرة النفقة خشية الفقر ·

وفي صفحة ٢٠٨ سطر ٧ — قوله (فأوقدوا ناراً في بقاع من الارض ليهتدي الضالّ) صوابه (يَفاع من الارض) وهو المرتفع منها وضده الحضيض ·

وفي صفحة ٢٠٨ سطر ١٨ — قوله (يتعاوون عَوْيَ الذئاب) مصدر عَوَى العُواء والعيّ كالطيّ وله مصادر أخرى وليس (العَوْي) بفك الادغام منها فصوابه عيّ او عواء ·

وفي صفحة ٢١٠ سطر ١٦ — قوله (حين كبُر) اي شاخ لان السياق يقتضي هذا المعنى فصوابه كسر الباء لانه من باب علِم لا ضمها من باب حسُن : فانها منه بمعنى عظم شأنه ومقامه ·

وفي صفحة ٢١١ سطر ٢٠ — قول معن (وخففت لحيتي وعارضي) كذا بالمعجمة ولعل صوابه (حففت) بالحاء المهملة من حفّ لحيته أخذ منها وحفّ رأسه وشاربه أحفاهما وبالغ في اخذ الشعر منهما · وهو بالخاء المعجمة له معنى · ولكن الاشبه بكلام العرب ان يكون بالحاء المهملة ·

وفي صفحة ٢١٤ سطر ١ قوله — (أعار الجَوْد نائلهُ اذ ماماأُه نفدا)

(وان ليثاً شكا جبناً   أعار فؤاده الاسدا) (الجَوْد) كما ضبطه المصحح بفتح الجيم وسكون الواو ومعناه المطر · والمطر لا مال له فصوابه (اذا ماماؤه نفدا) و(نائله) بالنصب مفعول ثانٍ لأعار لا بالرفع · وقوله (وان ليثاً) خطأ صوابه (ليث) بالرفع فاعل لفعل محذوف يفسره مابعده والتقدير (وان شكا ليث شكا الخ) ·

وفي صفحة ٢١٧ سطر ١٧ — قوله (وانت قِرْم) بكسر القاف صوابه قَرْم بفتحها اي سيد عظيم ·

وفي صفحة ٢٢٥ سطر ٨ — قوله (نأوا عن المصرح الأدنى الخ) صوابه مافي ديوان ابي تمام (المصرخ) بالخاء المعجمة وضم الميم من أصرخه أغاثه وأعانه · والمعنى انهم لما لم يجدوا مغيثاً مسعفاً قريباً منهم لجأوا الى سيوفهم فكانت نعم المغيث والعون لهم على أعدائهم ·

وفي صفحة ٢٢٥ سطر ١٧ — (تسيل على حد الظباة الخ) كذا بالتاء المربوطة · وصوابه (الظبات) بالتاء المبسوطة لانها علامة جمع المؤنث السالم وظبات جمع (ظبة) حد السيف كعِدات في جمع عدة · وليس هو بجمع تكسير كقضاة في جمع قاضي · ومثلها كلمة (ظبات) في الشطر الثاني من البيت وكذلك (ظبات) في صفحة ٢٢٩ سطر ٣ ·

وفي صفحة ٢٢٦ سطر ١٤ — قول علي رضي الله عنه يحمّس جماعته في وقعة صفين (طيبوا على الحياة أنفسا) صوابه (عن الحياة) يقال (طاب عن الشيء نفساً) اذا تركه غير آسف على فقده ·

وفي صفحة ٢٢٦ سطر ١٧ — (والله معكم · ولن تتركم اعمالكم) صوابه (ولن يتركم اعمالكم) من فعل (وتره يتره ماله أو حقه) اذا نقصه إياه اي انه تعالى لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً ·

وفي صفحة ٢٣٠ سطر ٦ — قوله (يُراد فيأتي او يزاد فيذهب) كذا بالزاي من الزيادة وصوابه (يذاد) بالذال من الذود وهو الطرد والدفع وسياق الكلام يقتضي هذا المعنى ·

وفي صفحة ٢٣٤ سطر ٩ — قوله (رأيت العقل عقلان) صوابه عقلين مفعول ثانٍ لرأيت

وفي صفحة ٢٣٨ سطر ١٩ — قوله (ما سِنُّ فرسك قال عظُم) بضم الظاء وصوابه سكونها وهو ظاهر ·

وفي صفحة ٢٤٠ سطر ٢ — قوله (وسيظهر اليك هؤلاء القوم) صوابه وسيظهر

الله هؤلاء القوم اي انه تعالى سيجعل بني العباس ظاهرين وغالبين على الأمويين فانجُ يا عبد الحميد الكاتب بنفسك . فكلمة (الله) تحرفت الى (اليك) .

وفي صفحة ٢٤١ سطر ٨ — قوله (لامنجأ منه) بالالف فوقها همزة وصوابه لامنجى بالالف المقصورة لان فعله (نجا) واوي فمصدره الميمي واسم المكان منه منجى على وزن (مفعَل) بالالف المقصورة لكنها ترسم ياء لانها وقعت رابعة كما هي القاعدة .

وفي صفحة ٢٤٢ سطر ١٣ — قوله (نائلة بنت القرافصة) بالقاف ثم فاء وصوابه بالفاء المضمومة ثم فاء أخرى وهي زوج عثمان رضي الله عنه و(القرافصة) اسم للاسد الشديد الغليظ .

وفي صفحة ٢٤٧ سطر ١٦ — قوله (سالم بن وامضة) صوابه (وابصة) قال في التاج (وابصة بن معبد بن مالك الأسدي ابو سالم) .

وفي صفحة ٢٤٨ سطر ١٨ — قوله (من الطُول) بضم الطاء صوابه بفتحها . والمراد به الفضل والعطاء ولا معنى للطول الذي هو ضد العرض أو القِصر هنا .

وفي صفحة ٢٥٤ سطر ١٥ — قوله (أشرّفك اليوم بالوعد وأحبوك غداً بالانجاز) صوابه (أُسُرُّك بالوعد) و (التشريف) ليس مما يقع كثيراً في كلام البلغاء في ذلك العصر على ان وعده لطلاّب معروفه لا يشرّفهم به . وانما يَسُرُّهم به ثم هو ينجز لهم ما وعدهم فيزدادون سروراً .

وفي صفحة ٢٥٥ سطر ١٨ — قوله (وهنأ معروفه بترك الامتنان) قال مصحح الكتاب في تفسيرها (هَنَأه طلاه بالهناء وهو القطران) نعم هذا من معانيه . ولكن معناه هنا ان يكون المعروف غير مكدَّر بالمنّ فيتمتع به صاحبه هنيئاً مريئاً من دون منغِّص . فهَنَأه المخفف مثل هنّأه المشدد . ومنه (التهنئة) وهي الدعاء لغيرك ان يكون مهنَّئاً مسروراً بالنعمة الطارئة عليه .

وفي صفحة ٢٥٧ سطر ٨ — قوله (يتخطى العداة عمداً الى البذل الخ) العداة بالتاء المربوطة خطأ صوابه (العِدات) بالتاء المبسوطة جمع عدة : لانه جمع مؤنث سالم كما مر في (ظبات) لا جمع تكسير كقضاة .

وفي صفحة ٢٥٩ سطر ١٠ — قوله (واجتني الشرف من شجرة النذلة) صوابه النذالة بالالف فهي مصدر نذل ضد شرف .

وفي صفحة ٢٦٠ سطر ٦ — قوله (فان رأيتَ ان تعذبني فقد استعديتُ اليك) لا معنى للتعذيب هنا وصوابه (تُعْدِيَني) بالدال المهملة من باب (أعْداه) اي أزال العدوان عنه ونصره واغاثه يدل عليه قوله بعده (استعديتُ) فان معناه استغثت واستنصرت ·

وفي صفحة ٢٦١ سطر ١ — وقع جعفر البرمكي (في رقعةٍ معتذراً) صوابه (رقعة معتذرٍ) بالإضافة فان جعفراً لم يعتذر فيما كتبه في الرقعة وانما رجل آخر اعتذر اليه وكتب اعتذاره في رقعةٍ فكتب جعفر في ذيلها توقيعاً ·

وفي صفحة ٢٦١ سطر ١٧ — قوله (فزادهم لحاقُ النابغة بآل غسان حشمة) الحَشمة هنا بمعنى الغضب · والصواب (فزاده) مكان (فزادهم) وضميره للنعمان اي انه ازداد غضباً على النابغة من لحاقه باعدائه الغساسنة ·

وفي صفحة ٢٦٢ سطر ٩ — قول النابغة للنعمان (لكلفتني ذنب امرئ الخ) صوابه (وكلفتني) وهكذا ورد هذا البيت في صفحة ١٢٣ سطر ٦ ·

وفي صفحة ٢٦٢ — قوله في وصف خِلَع الجباب: (مطرّقة بالجوهر) بالراء وصوابه (مطوّقة) بالواو اي لها أطواق · كما مر في صفحة ١٧٧ سطر ١٧ ·

وفي صفحة ٢٦٣ سطر ٦ — قول البحتري (وأوليتني بعد شرّ قطوبا) لا معنى للشر هنا على ان القطوب ضرب من ضروب الشر فصوابه (بعد سُرّ) بضم السين مصدر سَرّه سُرّاً وسروراً ومسرّة اذا أفرحه ·

وفي صفحة ٢٦٨ سطر ٧ — قوله (وأعراضهم أعراض الذمّ) صوابه (أغراض الذم) بالغين المعجمة اي ان أعراضهم أصبحت أغراضاً وهدَفاً لنبال الذم والهجو ·

وفي صفحة ٢٧٠ سطر ٣ — قوله (ولا أسجى فؤاده الخ) صوابه (أشجى) بالمعجمة اي لم يحزنه موت أحد ·

وفي صفحة ٢٧٥ سطر ٤ — قوله (وليثٌ حديدُ الناب عند الشدائد) صوابه (الثرائد جمع ثريد بل ثريدة · يصفه بالجبن الا عند الطعام فانه يكون شجاعاً ذا ناب حديدي ·

وفي صفحة ٢٧٨ سطر ٥ — قوله (وعصبةٍ لما توسطهم) صوابه (لما توسطتهم) بتاء المتكلم اي جلست وسطهم وبذلك يستقيم الوزن ·

وفي صفحة ٢٨١ سطر ٨ — قوله : (باسوء عاقبة التفقّد عند تشبه الامور)

صوابه (تسبيب الامور) اي ان الامور اذا كانت مسببة ثم جرى عليها البحث والتنقيب حتى عُلم امر تسبيبها وأُنزل العقاب الشديد بالمسبِّب : هذه العاقبة السيئة هي في القبح والشؤم مثل ذلك الرجل الذي يهجوه (ابن الحجاج) ·

وفي صفحة ٢٨١ سطر ١٥ — قوله (غلظوا عليها بالذرور) صوابه (غلطوا) بالطاء المهملة يعني انهم لم يذرّوا على العين الذرور الذي وصفه الطبيب فتقرّح جفنها قرحة شنيعة تشبه ذلك الرجل الذي يهجوه ابن الحجاج ·

وفي صفحة ٢٨٢ سطر ١١ — قوله (ياعيشة الكنّاس من شم الذرائر والعبير) صوابه (ياغمّة الكنّاس) اي انه يصاب بالغم والكرب من شم الطيب وهكذا هي (غمّة) في حكاية (ابي القاسم البغدادي) تأليف (ابي المطهر الازدي) المطبوع في اوربا ·

وفي صفحة ٢٨٥ سطر ١٨— قول المتنبي (سوى وجع الحسّاد داء فانه الخ) صواب (داءِ) (داوِ) فعل أمر من المداواة و (سوى) مفعوله مقدم عليه والمعنى داوِ كل علة سوى علة الحسد فانها لا دواء لها ·

وفي صفحة ٢٨٧ سطر ١١ — قوله (سالف الأحوال) صوابه (الأجيال) ·

وفي صفحة ٢٩١ سطر ٨— قول قتيبة لمن يغتاب آخر (أمسك عليه أيها الرجل) صوابه (أمسك عنه) اي اسكت عنه وكف عنه · ويعدّى أمسك بعلى في مثل قولك (أمسِكْ على فلان دابته) اي احبسها عليه حتى يأخذها ·

وفي صفحة ٢٩٤ سطر ٥ — قوله (ينُمّ) : بضم النون من الباب الأول صوابه بكسرها من الباب الثاني ·

وفي ص ٣٠٢ سطر ٣— قوله (وكان أحيحة اذا هبّت الصبا طلع أطمة) صوابه أطُمه او أطمَته بهاء الضمير اي حصنه المشهور الذي كان يأوي اليه في الشدائد ·

وفي ص ٣٠٢ سطر ٥ — قوله (خمس ثمرات) بالثاء المثلثة صوابه (تمرات) بالتاء المثناة لأن الحديث في عجوة التمر ·

وفي ص ٣٠٩ سطر ١ — قوله (وهو أبلغ ما قاله مُحدِث) كذا بكسر الدال وصوابه (مُحدَث) بفتحها · ويريدون به كل شاعر أتى بعد طبقة المتقدمين · وقد تكررت هذه الكلمة في الكتاب بكسر الدال خطأ وصوابها الفتح ·

وفي ص ٣١٠ سطر ٧ — يصف رغيفاً لبخيل كان يحرص عليه كل الحرص :

(هو في سفرتين من أدم الطا ئف في سلتين من زنبيل)

صوابه (في زنبيل) اي ان الرغيف مخبوء في أوعية بعضها ضمن بعض ولا معنى لكون السلتين من جنس الزنبيل بل ربما كانتا من جنس غير جنسه في الشكل والقدر ونوع العيدان .

وفي ص ٣١٢ فسر المصحح (الإشفى) في ذيل الصفحة (بالإسكاف) وكأن كلمة (مخرز) او (مثقب) سقطت من بين أصابع المنضد فصوابه مخرز الاسكاف او مثقب الإسكاف .

وفي ص ٣٢٦ سطر ١٠ — قوله (إن تبعثني الى دار الأمير لأخزيته) بتاء المتكلم وصوابه (لأخزينه) بنون التوكيد الثقيلة .

وفي ص ٣٣٠ سطر ٧ — قوله (فشممت من قتار أبازير قدور) صوابه (منه قتار الخ) وضمير (منه) راجع للوضع المتحدث عنه .

وفي ص ٣٣١ سطر ٣ — قوله (فاستبنيت حذقها) صوابه (فاستبنت) .

وفي ص ٣٣١ سطر ٥ — قوله (وفيه مكان الوهم من نظري أثر) بفتح الهمزة وصوابه ضمها . وهو الأثر يبقى بعد اندمال الجرح .

وفي ص ٣٣٤ سطر ٤ — قوله (الجامع بين فضيلتي الطمان والطعام) سواء أريد (بالطعام) الأكل اوما يؤكل لا يناسب ان يجعل من فضائل النبي (صلى الله عليه وسلم) فصوابه (الإطعام) لاسيما ان السجعة التي قبله (الإقدام) والتي بعده (الإكرام) .

وفي ص ٣٣٦ سطر ٣ — وقوله (وذُرفنت الابواب) صوابه (زرفنت) بالزاي لا بالذال من الزُرفين وهو حلقة الباب .

وفي ص ٣٣٦ سطر ١٦ — قوله (ولا ترفع لمستجلّ وجها وجيها) كذا بتشديد اللام من (مستجلّ) من الاستجلال ولا معنى له هنا . وصوابه تخفيفها اسم فاعل من استجلى الشيء استكشفه وتبين حقيقته . والسياق يقتضيه .

وفي ص ٣٣٧ سطر ٣ — قوله (ومعاهد محالّ الوعاظ) صوابه و (تعاهد) فعل امر معطوف على فعل (تفقد) الذي قبله ومعناهما واحد .

وفي ص٣٣٧ سطر ٥ — قوله (وتارةً في سوق الثَوْم) بفتح ثاء الثوم وصوابه ضمها وهو النبات المعروف . اللهم الا ان يكون أراد مزاوجتها بكلمة (يَوْم) الواردة في السجعة السابقة . ولكن هل له ان يفعل ذلك ؟ .

وفي ص٣٣٧ سطر ٧ — قوله (وأتقن الفنون من غنى ونجامة) صوابه (من غناء) بالمد لانه يعدّد الفنون اللازمة للطفيلي ومنها (الغناء) اي التطريب . اما (الغنى) بالقصر فهو ضد الفقر وليس هو من الفنون التي يصحّ قرنها بالنجامة التي هي صناعة التنجيم ومعرفة الطوالع بل من اين للطفيلي أن يكون غنياً ؟

وفي ص ٣٤٣ سطر ١١ — قوله (كان يأكل في اليوم خمس أكلات آخرها جنبة بغل) بالغين وصوابه (جنبة بقل) بالقاف و (الجَنْبة كل ما ينفطر من البقل في آخر ايام الصيف ويؤكل بعض أنواعه رطباً غريضاً كما يؤكل الخس .

وفي ص ٣٤٧ سطر ١٠ — قوله (والجبان يفرّ من عُرسه) بضم العين وصوابه كسرها وعِرس الرجل حليلته .

وفي ص ٣٤٧ سطر ١٧ — قال علماء الفراسة (من كانت فزعته في رأسه فذاك الجبان) قوله فزعته بالفاء وصوابه (قَزَعَتُه) بالقاف كالقُنزعة وهي خصلة من الشعر تترك في رأس الصبيّ . فاذا كبر وصار رجلاً وبقيت قزعته في رأسه لا جرم ان يستدل بها أهل الفراسة على جبنه وحماقته . وهذا ما عناه امرؤ القيس في أبيات له بصف الاحمق فقال في أولها :

(يا هند لا تنكحي بُوهةً عليه عقيقته أحسَبَا)

فالبوهة الأحمق والعقيقة هي الشعر الذي يولد مع الطفل والأحسب هو الرجل الذي في شعره شقرة . فامرؤ القيس يوصي هنداً بان لا تنكح أحمق كبر وشبّ وصار رجلاً وما زال شعره الذي ولد معه قائماً على رأسه فان بقاء شعره على هذه الصورة يدل على انه لم يحلق شعره منذ ولد وهذه آية على حماقته وبلاهته .

وفي ص٣٥٢ سطر٣ — قوله (طمعاً لهم بعقاب يوم سرمد) السرمد الدائم ولا معنى لههنا وانما صوابه وروايته (بعقاب يوم مُرصَد) اي مهيّأ ومعدّ للانتقام وأخذ الثأر .

وفي ص ٣٥٢ سطر ١٨ — قوله (وتركتُهم تقض الرماح ظهورهم) صوابه (تقص) بتاء وقاف وصاد . اي تكسر الرماح وتدق ظهورهم مشتق من الوقص .

وفي ص ٣٥٢ سطر ١٩ — قوله (وقُتلتُ دون رجالهم) صوابه دون رجالها اي رجال النساء فالضمير راجع اليهن لا الى الفوارس : اذ المعنى : ما فائدتي من دعاء النساء لي وثنائهن عليّ بعد ان اكون قد قُتلتُ دون رجالهن .

وفي صفحه ٣٥٥ سطر ٩ — قوله (لأ نا للعاقل المدبر أرجى شيء من الاحمق المقبل) صواب العبارة (لأ نا للعاقل المدبر أرجى مني للاحمق المقبل) والمعنى انني أرجّي الصديق العاقل الذي أدبر عني وأعرض اكثر مما أرجّي الصديق الاحمق الذي يقبل عليّ ويهش اليّ .

وفي صفحة ٣٥٨ سطر ١٨ — قوله (الجاهل ينال أغراضه . ويظفر بآرائه) لا معنى للظفر بالآراء فصوابه (بآرابه) جمع إرب اي بحاجاته . وهو المناسب لقوله قبله (أغراضه) .

وفي صفحة ٣٦٤ سطر ٩ — قوله (الغالب بالغدر مغلول) المغلول الذي يوضع في عنقه الغل . وليس المعنى عليه الا بتعسف فصوابه (مغلوب) والمعنى ان الرجل الذي يغلب خصمه بسبب غدره له لا يكون غالباً وانما يكون مغلوباً مذ رضي لنفسه الغدر .

وفي صفحة ٣٦٨ سطر ٤ — قوله (أذادكم عنه بضرب النخ) الذود بمعنى الطرد والدفع وفعله ثلاثي . ولم يسمع (أذاد) رباعياً فصوابه (لذادكمُ) واللام واقعة في جواب (لو) في البيت قبله . والمعنى : انكم غدرتم بمن لو كان في يده سلاح لذادكم ودفعكم عنه بضرب صائب كسهام المنايا .

وفي صفحة ٣٦٨ سطر ١٣ — قوله (لما اطمأنوا وشاموا في سيوفهم ثرتم اليهم النخ) صوابه (لما اطمأنوا وقد شاموا سيوفهمُ) اي لما اطمأنوا الى وعدكم وقد شاموا اي أغمدوا سيوفهم غدرتم به . ولا معنى لقوله (شاموا في سيوفهم) .

وفي صفحة ٣٧١ سطر ٥ — قوله (ازدشير بن بابك) هو احد ملوك فارس وصواب اسمه (أردشير) اي براء مهملة بعد الهمزة وتصحيفه بالزاي خطأ فشا بين كتبة العرب منذ أزمان

وفي صفحة ٣٧١ سطر ١٧ — قوله (فأرخى الفتى ردنيه وكفّ عما كان يفعله) صوابه (فأرخى الفتى أذنيه) اي ان ذلك الفتى الصلف المتكبر طأطأ رأسه واستخذى بعد ان سمع هذا التبكيت من مالك بن دينار . ويقال (جاء فلان ناشراً أذنيه) اذا كان طامعاً . اما إرخاء الردين وهو تصغير الردن فلم تسمع الكناية به عن الاستكانة والخضوع . بل ان إرخاء الرُدن يدل على الخيلاء والعجب وهو لا يناسب السياق .

وفي صفحة ٣٧٧ سطر ١٠ — قوله (والقوت ان قنعت بالقوت يجزيها) صوابه (والنفس) وهو ظاهر .

وفي صفحة ٣٧٧ سطر ١٥ — قوله (وبعض رجاء المرء ماليس نائلاً — عناءً الخ) بنصب (عناء) خطأ وصوابه الرفع خبر المبتدأ .

المغربي

كتاب الاوراق للصولي

— ٣ —

وقال يوماً يوسف بن القاسم ليحيى بن خالد في شيء كان بينه وبين جعفر بن محمد ابن الاشعث الخزاعي : أعز الله الوزير ان الأريب يتجرع الغصة ، حتى ينال الفرصة ، ويقر للصغار ، حتى يملك الانتصار · ووقع الى عامل : ان كنت منصفاً من نفسك ، فلم تظلم لغيرك ، وان ظلمت لغيرك ، فكيف تنصف من نفسك · لما ولى الرشيد علي بن عيسى بن ماهان خراسان سأل الرشيدَ اشياء ثقلت عليه فقال ليوسف : عرفه مقدار ما فعلت به فاني اظنه يجهله فوقع اليه : قد كفيناك بما وليناك ، وخراسان تسعك ما وسعك عُمُر · ووقّع الى بعض ولده : اذا لم يكن معروفك الا عند من يعرف لم يجز معروفك رواق بيتك · ووقّع : من جور الدنيا انها لاتعطي احداً ما يستحق اما ان تزيده واما ان تنقصه · ووقّع الى بعض ولده : اياك وصحبة فلان وان كان قريب النسب منك ، فانه بعيد الشبه بك ، فقد يفسد على الانسان بعض جسده فيقطعه ، وهو اولى به واقرب · ووقّع : ان اساءة المحسن ان يكف عنك احسانه ، واحسان المسيء ان يكف عنك اساءته وأبعد ما بينهما · ووقّع الى رجل كذبه في شيء : لو صوّر الصدق لكان أسداً ، ولو صوّر الكذب لكان ثعلباً ، وما صاحباهما ببعيدين من هاتين الصورتين ·

قال ابوبكر : حدثنا محمد بن الفضل بن الاسود قال : حدثنا علي بن محمد النوفلي قال : كان ليوسف ابي احمد بنَ يوسف غلام اسود متأدب نشأ في الاعراب فولع بجارية لبعض اهلنا فشكاه اليه فضربه وحبسه ، وحلف ان لا يطلقه الا بعد شفاعة من شكاه فيه ، فترك ذكر الجارية فقيل له : ويحك أتحبك الجارية كما تحبها ؟ فقال :

كلانا سواءٌ في الهوى غير انها | تجلد احياناً وما بي تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وانما | جنوني عليها حين أنهى وأبعد

فبلغ ابا القاسم يوسف شعره فقال : وان فيه لهذا الفضل · فركب من وقته الى الرجل الذي شكاه وكان قرشياً فقال له : اسألك ان تبيعني الجارية باي ثمن شئت فقال : ما افعل حتى اعرف السبب في ذلك فعرّفه خبره وانشد البيتين فقال : اشهدك اني قد

وهبت الجارية له بشفاعتك وطلبتك ، وانا اعطي بالله عهداً الا اخذت لها ثمناً ابداً ، ووجه بالجارية معه ·

وقال المؤلف في اخبار ابي محمد القاسم بن يوسف وشعره : وانما بدأت به لانه اسن من ابي جعفر احمد بن يوسف واكثر شعراً منه ، وأفصح في شعره ، وأشعر في فنه الذي أعجبه من مراثي البهائم من جميع المحدثين ، حتى انه لرأس فيه ، متقدم جميع من نحاه ، وما ينبغي ان يسقط شيء من شعره لانه كله مختار ، وللناس فيه فائدة ، ولا يوجد مجموعاً كما نورده وانا اذكره على القوافي وقال يرثي عنزاً له سوداء :

عين بكي لعنزنا السوداء كالعروس الادماء يوم الجلاء
ذات لون كالعنبر الورد قد عـ ـل بما فاض يوم الطلاء
ذات روقين أملسين رقيقين وضرعين كالدلاء الملاء
ذات جيد ومقلتين كوحشـ ـية قفر من جاريات الظباء

ومنها : فخمة عبلة مع العتق والرقـ ـة زينت ببهجة وبهاء
فاذا شئت قلت ربة بيت ذات طفلين من خيار النساء
واذا شئت قلت ربة خدن في حجور الحضان والرقباء
اين لا اين مثلها مصطفاة من صفايا الملوك والوزراء
اين لا اين مثلها مقتناة عند حالين شدة او رخاء
اين لا اين مثلها يجمع (؟) اغنياء في الناس او فقراء

ومنها : تحلب الدرة الغزيرة بالجـ ـدة مرى الاكف غير عناء
تملأ المحلبين طورين في اليو م صباحاً طوراً وجنح العشاء
وتخال الشخوب وقع الشآبيـ ـب اذ ما فرغن قعر الاناء
ولها مرة درور كما ر د سحاب بديمة هطلاء
كم صبوح وكم غبوق وقيل قد سقيناك السوداء مل‍ء الاناء؟
كم شربنا محضاً لها وضياحا وشفينا بحزاً في السقاء
رب جبن منها وزبد طري قد جمعنا طريه لسلاء

وهي طويلة من أجمل ما كتب في هذا الموضوع :

قال ابوبكر : حدثني ذكوان قال : ذكر شعر الكتاب بحضرة ابراهيم بن العباس فقال اشعرهم عندي الذي من حده أفصح ، واحسن من جدالناس القاسم بن يوسف وكان جدي عبدالله بن العباس يقول : وبه تأدب ابراهيم وعنه اخذ ، وكان أسن منه بنحو عشر بن سنة : اقتسم ابنا يوسف نثر الكلام ونظمه فتقدم الكتاب فيها يعني احمد بن يوسف في النثر وأخاه القاسم في النظم ·

وقال في الشيب والزهد :

ودع شبابك قد علاك مشيب ... وكذاك كل معمر سيشيب
جازت سنوك الاربعين فاز عجت ... منك؟ الشباب تجارب وخطوب
ودعاك داعٍ للرشاد أجبته ... وبما يراك الغيّ ليس يجيب
فابك الشباب وماخلا من عهده ... ايام انت الى الحسان طروب
يسبين لبك بالدلال و يستبي ... البابهن فسالب وسليب
طوراً يسامحن الهوى و يطعنه ... و يصبن قلبك بالجوى وتصيب
خلطن معصية بحسن إجابة ... فلهن عندك أنعم وذنوب
حتام توضع في البطالة والصبا ... عار بمثلك صبوة ومشيب
رحل الشباب وحل شيب بعده ... فمضت لذاذات وصد صبيب
لهفي على غدر الشباب فانه ... يكفيك اذ غصن الشباب رطيب
قد كان يجمع غدرة ولذاذة ... اذ ثوبه ضاف عليك قشيب
فرمته داهية الزمان بأسهم ... ونضت شروق لبسه وغروب
ما شئت فاحي بمدحه لابد من ... غم ونائبة عليك تنوب
مابعد شيبك غير يومك فاتخذ ... زاداً لنفسك فالرحيل قريب
ما هذه الدنيا بدار إقامة ... لا توطنن بها وانت غريب
خلت القرون فما يحس قريب ... منهم وقصر سبيلهم مركوب
اين الاولى اهل السيادة والنهى ... والمطعمون وما تدرّ حلوب
انحى الزمان عليهم بشفاره ... وسقتهم كأس المنون شعوب
وغدا جزاء سعادة او شقوة ... افلا ينيب الى الرشاد منيب

والمرء . . . موفى سعيه مسك عليه بفعله مكتوب
طال العمى والجهل اذ غلب الهوى ان الهوى لذوي الحجى لغلوب
والموت يغتال النفوس ولم يزل للموت داعٍ للنفوس طلوب
ما نحن الا كالبهائم رتعاً حتى يتاح لها الردى المجلوب

وقد اورد له قصائد جميلة قالها في أغراض شتى تخالف أغراض معظم الشعراء ، منها قصيدة يشكو فيها البق والبراغيث والبرغش ، وأخرى في رثاء هرة ، وثالثة في الشكوى من النمل والفار وغير ذلك ، ورابعة في رثاء الشاه مرخ (الشاهمرد) ، وخامسة في رثاء القمري ، الى غير ذلك من جميل القريض في الغزل والتشبيب والرثاء والتشوق الى الديار .

وبعد ان استوفى الكلام على القاسم بن يوسف أفاض في اخبار اخيه ابي جعفر احمد ابن يوسف بن صبيح ، كاتب دولة بني العباس ، الذي وزر للمأمون بعد احمد بن ابي خالد ، وقال : انه معرق في الكتابة والشعر ، قال : حدثنا القاسم بن اسماعيل قال : حدثنا مقنب بن محرز الباهلي ، قال : كنا نقول لم يل الوزارة أشعر من احمد بن يوسف حتى ولي محمد بن عبد الملك فكان أشعر منه ، وذكر قصصاً لاحمد بن يوسف تدل على فضل ذكائه منها : تحدث احمد بن طيفور ان المأمون قال لاحمد بن يوسف اني أريد غسان بن عباد لامر جليل ، وكان يريده لولاية السند لانه أراد ان يعزل عنها بشر بن داود المهلبي لاشياء عظيمة عتب عليه فيها ، وكان المأمون يعلم سوء رأي احمد في غسان بن عباد فقال احمد : غسان رجل محاسنه اكثر من مساويه ، لا يضرب طبقة الا انتصف منها [1] مهما خيف عليه فانه لا يأتي امراً يعتذر منه ، لانه قسم زمانه بين ايام الفضل ،

(١) أورد ابو الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور في الجزء السادس من كتاب بغداد طبعة (كللر) في ليبسيك سنة ١٩٠٨ هذه القصة باختلاف قال : قال احمد بن ابي طاهر ، قال المأمون يوماً لاصحابه : أخبروني عن غسان بن عباد فاني أريده لامر جسيم ، وكان قد عزم ان يوليه السند فقال بشر بن داود بن يزيد قد خالف واستبد بالفيء والخراج ، فتكلم القوم وأطنبوا في مدحه ، فنظر المأمون الى احمد بن يوسف وهو ساكن فقال له ماتقول يا احمد : قال : يا امير المؤمنين ذاك رجل محاسنه اكثر من مساويه ،

فجعل لكل مكرمة وقتاً ، فقال له المأمون : لقد مدحته على سوء رأيك فيه . فقال اني لأمير المؤمنين كما قال الشاعر :

كفى ثمناً لما أسديت اني صدقتك في الصديق وفي عداني

فأعجب المأمون كلامه قال ابوبكر : وهذا الخبر فانما هو لهشام بن عبدالملك وقد سأل اسد بن عبدالله القسري عن نصر بن سيار فأجاب فيه بهذا الجواب . فقال له هشام : مازعم ان المأمون اجابه به فقال بالشعر الا انه في اسد ابيات كثيرة ، رويناه باسانيد الثقات من غير وجه فنسبه ابن ابي طاهر الى المأمون ، واحمد بن يوسف بغير رواية ، لانه صحفي حاطب ليل يشرط في كتبه اختيار الشعر الجيد ، و يأتي بالردي ، و يزعم انه يقلل فيحسن ، فيكثر و يسي ، ثم يحكي الكذب و يخطي في التاريخ ، و في نسب الشعر ، قال ابوبكر : وقد رأيته بالبصرة سنة سبع وسبعين ومائتين ، وقدمها الى احمد بن علي الماردانى وكتب عنه مجلسين اوثلاثة ، فلما رأيته صحفياً لم ار عنده ما اريد تركته ، و يعز علي ان اذكر احداً من اهل الأدب بسوء وان استحقه ، ولكن لا بد من ان نعطي العلم حقه ، ونضع الحق موضعه .

وذكر المؤلف انه كانت لاحمد بن يوسف مع ابي العتاهية اخبار . ومما أورده ان ابا العتاهية عتب عليه فكتب اليه :

ابا جعفر هلا اقتطعت مودتي فكنت مصيباً في اجراً ومصنعا
فكم صاحب قد جل عن قدر صاحب فألقى له الاسباب فارتفعا معا

لا تصرف به طباقه (؟) الا انصف منهم مهما تخوفت عليه ، فانه لن يأتي امراً يعتذر منه ، لانه قسم ايامه بين ايام الفضل ، فجعل لكل خلق نوبة ، اذا نظرت في امره لم تدر اي حالاته أعجب ، اماهداه اليه عقله ، ام ما اكتسبه من الادب ، قال : لقد مدحته على سوء رأيك فيه قال لانه فيما قلت كما قال الشاعر :

كفى ثمناً لما أسديت اني مدحتك في الصديق وفي عدائي
وانك حين تنصبني لأمر يكون هواك أغلب من هوائي

قال فأعجب المأمون كلامه ، واسترجع أدبه .

وجبه يوماً فكتب اليه ايضاً :

اراك تُراع حين ترى خيالي فما هذا يروعك من خيالي
لعلك خائف مني سؤالا ألا فلك الأمان من السؤال
كفينك ان حالك لم تمل بي لأطلب منك تبديلاً بحالي
وان العسر مثل اليسر عندي بايهما مُنيتُ فلا أبالي

فلما قرأه وصله واستكتبه .

ومن شعر احمد بن يوسف الى صديق له :

تطاول باللقاء العهد منا وطول البعد يقدح في القلوب
اراك وان نأيت بغير قلبي كأنك نُصب عيني من قريب
فهل لي في الرواح الى حبيب يقر بعينه قرب الحبيب

قال ابو بكر : قلت انا بيته الثاني كأنه من قول الحكيم بن قنبر المازني البصري :

ان كنت لست معي فالذكر منك معي يراك قلبي وان غُيِّبت عن بصري
والعين تفقد من تهوى وتبصره وباطن القلب لا يخلو من النظر

وكانت بين احمد بن يوسف وبين ابي دلف القاسم بن عيسى مودة وكانا يتهاديان ويتكاتبان ثم ولي ابو دلف الجبل كله فكتب اليه احمد بن يوسف :

ما على ذا كنا افترقنا بشيرا ز ولا هكذا عقدنا الاخاء
لم اكن أحسب الأمارة يزدا د بها ذو الوفاء الا صفاء

وقال ايضاً: نفسي على حسراتها موقوفة فوددت لوخرجت من الحسرات
لو في يدي حساب ايامي اذاً الفيته متطلباً لوفاتي
لم ابك حباً للحياة وانما ابكي مخافة ان تطول حياتي

أهدى احمد بن يوسف هدية الى المأمون في عيد وكتب اليه هذا يوم جرت فيه العادة باهداء العبيد للسادة وقد اهديت لامير المؤمنين قليلاً من كثير عندي وقلت :

اهدى الى سيده العبد ما ناله الامكان والجهد
وانما اهدى له ماله سيدا بهذا ولذا رد (؟)

فقال المأمون عاقل اهدى حسناً :

وقال :

زعمت قرينة ان حبك بادا ... كذبت قرينة بل نمى وازدادا
اقرين ان توجدي وتشوقي ... منعا الرقاد فما احسُّ رقادا
وهواي بالبلد الذي اوطنته ... لا ابتغي ابداً سواه بلادا
كم ذكرة لك هيجت لي حسرة ... وجرى لها ماء الشؤون وجادا
اقرين لو ابصرتني لرثيت لي ... بين الرفاق اسائل الورادا
اكني بغيرك والهوى بك مفصح ... عجباً لذاك تفادياً وبعادا
هلا رثيت لهائم يفني بكم ... ليل التمام تقلباً وسهادا
ان لم يكن وَرَدَ المنية هالكاً ... ألما ، ألمّ بوردها او كادا

ومما قاله من ابيات يهجو اسحق بن سعيد سالم :

فلقد تركت الارض ضيقة ... من بعد فسحتها على الفرد
وملأتها مقتاً ومبغضة ... فاذا ذكرتك ضاق بي جلدي
فالله اسأل ان يعوضني ... من قرب ذكرك ابعد البعد

واورد له جملة من اهاجيه ثم اورد له شيئاً من الاماديح وفيها اعتدال كما في اهاجيه ومما اورده له :

ظهر الفراق فاظهري جزعا ... ودعي العتاب فاننا سفر
ان المحب بصد مقترباً ... فاذا تباعد شاقه الذكر
يتهاجران لستر امرهما ... ولقد يدل عليهما الهجر

وقال وهو من ظريف شعره :

اصبحت مخموراً أحدث عن نفسي ... ومالي من علم بما كان بالامس
سقاني عبيد من يديه مدامة ... يصرفها لي ثم يحى على الحبس
فيارب يوم قد حمدت مساءه ... تباكرني ذم له مطلع الشمس
فأصبحت قد حدثت نفسي بتوبة ... و يعتادني للهو عندي اذا أمسي

وقال ايضاً :

عذب الفراق لنا قبيل وداعنا ... ثم اقتبلناه كسمٍ ناقع
وكأنما اثر الدموع بخدها ... طلٌ سقيطٌ فوق ورد يانع

قال ابو بكر هو اول من افصح عن هذا المعنى وتبعه الناس .

وقال في ببغا ماتت لصديق له وكان له اخ متخلف يقال له عبد الحميد :

انت تبقى ونحن طراً فداكا — احسن الله ذو الجلال عزاكا
فلقد جلّ خطب دهر أتانا — بمقادير اتلفت ببغاكا
عجباً للمنون كيف اتتها — وتخطت عبد الحميد اخاكا
كان عبد الحميد اصلح للمو — ت من الببغا واولى بذاكا
شملتنا المصيبتان جميعاً — فقدنا هذه ورؤية ذاكا

قال ابو بكر ومن هاهنا اخذ ابن بسام قوله لعبيد الله بن سليمان لما مات ابنه الحسن وبقي القاسم :

قل لابي القاسم المرزّى — قابلك الدهر بالعجائب
مات لك ابن وكان دينا — وعاش ذو النقص والمعايب
حياة هذا كموت هذا — فلست تخلو من المصائب

قال ابو بكر حدثنا احمد بن اسماعيل قال سمع احمد بن يوسف لاخيه عليّ شعراً قد كتب به الى هوى له :

ابا باذلاً وداً لمن لا يشاكله — يساعده في حبه ويواصله
عليك بمن يرضي لك الناس وده — اواخره محمودة واوائله

فكتب اليه اخوه احمد : وفقك الله يااخي للسداد ، وهداك للرشاد ، قرأت لك شعراً انفذه اليّ من تخطب مودته ، وتستدعي عشرته ، فسرني شغفك بالادب ، وساءني اضطرابك في الشعر ، وليس مثلك من اخرج من يديه شيئاً يعود بعيب عليه ، واعيذك بالله من ان تلج لجة الشعر بلا عوم ينجيك منها ، وسباحة تصدرك عنها ، فتسبب الى قبيح امر هويت النسبة الى حسنه ، فاعرف الشعر قبل قوله ، واستعن على قوله باهله ، ثم قل منه مااحببت ، اذا عرفت مااوردت واصدرت ، وهذه ابيات في وزن ابياتك نظمتها بمثل ما نثرته لك وهي :

اباحسن ماِن الروية قبل ما — تريغ من الشعر الذي انت قائله
ففي الشعر فضل ان وفيت بحقه — ونقص اذا لم توف يظهر باطله
وحسبك عجزاً بامرءٍ هذي توصل — اذا عيّ بالاشعار فيمن يواصله
يهون على معشوقه ما اعزه — فتنقلب الاحوال فيما تحاوله

فدونك نصحاً من خبير مجرب قضى آخراً افضت اليه اوائله
ومستأنف الايام منها كسالف فبالسالف الماضي فقس ماتزاوله

قال ابو بكر حدثني عون بن محمد قال : كتب احمد بن يوسف الى اسحق بن ابراهيم الموصلي وقد زاره ابراهيم بن المهدي : عندي من انا عنده ، وحجنا عليك اعلامنا لك ، والسلام . ومن غير طريق عون انه كتب تحت هذا :

عندي من تبهج القلوب له فان تخلفت كنت مغبونا

من توقيعات احمد بن يوسف : وقّع الى عامل ظالم : الحق طريق واضح لمن طلبه ، يهدبه محجته ، ولا يخاف عثرته ، و يؤمن في الشر مغبته ، فلا تنقلن منه ، ولا تعدلن عنه ، فقد بالغت في مناصحتك ، فلا تحوجني الى معاودتك ، فليس بعد التقدمة اليك ، الا سطوة الانكار عليك .

ووقّع في كتاب : مستتم الصنيعة من صايرها فعدل ز يغها ، وأقام اودها ، صيانة لمعروفه ، ونصرة لرأيه ، فان اول المعروف مستخف ، وآخره مستثقل ، فكاد اوائله تكون للهوى ، واواخره تكون للرأي ، ولذلك قيل رب الصنيعة اشد من ابتدائها .

ومن توقيعاته في عنايته بانسان الى بعض العال : انا بفلان تام العناية ، وله شديد الرعاية ، و كنت احب ان يكون ماارعيته طرفك من امره في كتابي ، مستودعاً سمعك من خطابي ، فلا تعدلن بعنايتك الى غيره ، ولا تتخون بتفقدك سواه حتى تنيله ارادته ، وتجاوز به امنيته ، ان شاء الله . ومن كلامه : قال ابوبكر حدثنا القاسم بن اسماعيل قال : حدثنا ابراهيم بن العباس قال سمعت احمد بن يوسف يقول امرني المأمون ان اكتب الى النواحي في الاستكثار من القناديل في المساجد ، فبت لا ادري كيف افتتح الكلام ، ولا كيف اجتذبه ، فأتاني آت في منامي فقال قل : فان في ذلك انساً للسابلة ، وامناً للمتهجدة ، ونفياً لمكامن الريب ، وتنزيهاً لبيوت الله عن وحشة الظلم ، فانتبهت وقد فتح لي ما أريد ، فابتدأت بهذا واتممت عليه .

حدثني محمد بن عبدالله بن احمد بن يوسف قال غنى مغن في مجلس احمد بن يوسف ولم يك محسناً فلم ينصتوا اليه ، وتحدثوا مع غنائه ، فغضب فقال انت عافاك الله تحمل الآذان ثقلاً ، والقلوب ملاً ، والاعين قباحة ، والانف قتاً ، ثم تقول اسمعوا مني ،

وانصتوا لي ، هذا اذا كانت افهامنــا مقفلة ، وحواسنا مبهمة ، واذهاننــا صدية ، رضيت بالعفو منا ، والا قمت مذموماً عنا . وحدثني محمد بن العباس ايضاً قالــ : حدثني محمد بن عبــدالله قال : خاصم احمد رجلاً بين يدي المأمون فكان قلب المأمون على احمد فقال : وقد عرف ذلك امير المؤمنين انه يستملي من عينيك ما تلقــاني به ، و يستبين بحركتك ماتجنه لي ، وبلوغ ارادتك احب الي من بلوغ املي ، ولذة اجابتك احب الي من لذة ظفري ، وقد تركت له مانازعني فيه ، وسلمت اليه ماطالبني به . فشكر المأمون ذلك له . ومن كلامه : لقد احلك الله من الشرف اعلا ذروته ، وبلغك من الفضل ابعد غايته ، فالآمال اليك مصروفة ، والاعناق اليك معطوفة ، عندك تنتهي الهمم ، وعليك تقف الظنون الحسنة ، وبك تثنى الخناصر ، وتستفتح اغلاق المطالب ، ولا يستريب النجح من رجاك ، ولا تعلوه النوائب في ذراك .

ومن كلامه : لك جد بنجدة همتك ، وانعام تنوه به نعمتك ، وهي تحسر الناظر اليها ، وتحير الواقف عليها ، حتى كأنها تناجيه بحسن العقبى ، وتوحي اليه ببعد المدى ، ولله در نابغة بني ذبيان في قوله :

محلتهم ذات الاله ودينهم   قويم فما يرجون غير العواقب

ومن كلامه : من اتسع في الافضال ، اتسعت به الاقوال ، من شاكر مثنٍ ومادح مطرٍ ، ولسنا نصفك بمايعن لنا ، و يذل(؟)على ألسنتنا ممايتقرب به ذوالرغبة ، و يفزع اليه ذوالرهبة ، لاستنزال مرغوب ، اواستيجاب مطلوب ، ولكننا ننطق عن سيرتك بافصاح ، ونبين عنها بايضاح ، فتكف شعب الكائد ، وتطيل نفس الحاسد .

ومن كلامه يعتذر الى بعض الاخلاء :

لي ذنوب ان عددتها جلت ، وان ضممتها الى فضلك حسنت ، وقد راجعت انابتي ، وسلكت طريق استقامتي ، وعلمت ان نوبتي في حجتي ، واقراري ابلغ في معذرتي ، فهذا مقام التائب من حرمة المتضمن حسن الفيئة على نفسه ، فقد كان عقابك بالحلم عني ، ابلغ من امرك بالانتصاف مني ، فان رأيت ان تهب لي ما استحققته من العقوبة ، لما ترجوه من المثوبة ، فعلت ان شاء الله .

ومن كلامه : قد كان كتابي تنفذ اليك بما كان غيره اولى بي والزم لي في

حتى الحرية والكرم اللذين جعلالك ارثاً ، والشرف والفضل اللذين قسما لك حظاً ، ولكنني دفعت من اتصال الزلل ، والاخلال بالعمل ، الى ما اضطرني الى محادثتك ، ودعاني الى مخالفتك ، لاخلي عني حبوة الاتهام ، واصرف عنك عارض الملام ، وقد جرى لك المقدار بالسؤدد الذي خصك الله بمزيته ، وافردك بفضيلته ، فليس يحاول احد استقصاء عليك الا عرض دونه حاجز من واجبك يضطره الى ذلة التنصل اليك ، ويحوز ذلك عن التعمد . قال ابو بكر ومكاتبة احمد بن يوسف كثيرة شهيرة معروفة مألوفة فأتيت بالقليل منها ليستدل بها على جميعها .

وفاة احمد بن يوسف : قال ابوبكر سمعت عون بن محمد الكندي يقول سمعت عبدالله بن احمد بن يوسف يقول مات ابي بضيق نفس اعتراه اياماً ، وذاك ان المعتصم وسعيد بن سالم الباهلي كانا يكيدانه عند المأمون ، و يقعان فيه ، فدخل يوماً الى المأمون وهو يتبخر فأخرج الجمر من تحته وقال اجعلوها تحت احمد ليكرمه بذلك ، فتبخر به فرفعا الى المأمون انه قال لما اتى بالجمر هات هذا المردود ، ولذا قال في البيت لغلامه ما هذا البخل على البخور ، ولو كان امر لي ببخور مستأنف كان اولى لحقدها عليه المأمون فقال أيقال لي هذا ، وانا اصل في يوم واحد رجلاً واحداً بستة آلاف الف دينار (؟) وانما اردت اكرامه ، فدخل يوماً احمد على المأمون وهو يتبخر فقال اجعلوا تحته في مجمر قطع عنبر وضموا عليه شيئاً يمنع البخور ان يخرج ، ففعلوا ذلك فصبروا ثم انصرف فمكث في بيته شهراً عليلاً من ضيق نفس حتى مات ، وكان موته في ست رمضان سنة ثلاث عشرة ومائتين وقد حكي غير هذا في كتاب الوزراء .

اما ابو محمد عبد الله بن احمد بن يوسف فكان ظريفاً كاتباً شاعراً الا انه قليل الشعر . وقد ألف كتباً صغاراً ورسائل الى اخوته والغالب عليه الهزل ، وربما نسب من لا يدري شعره الى محمد بن عبد الله لانه اكثر شعراً منه .

هذه نموذجات طيبة من كتاب الاوراق ولاسيما احمد بن يوسف وشعره ونثره واخبار ذويه نقلناها بدون تمهد ليستفيد بها الطالب ادباً والاديب حكمة .

قال المسعودي في كتاب الاوراق وكذلك سلك محمد بن يحيى الصولي في كتابه المترجم بكتاب الاوراق في اخبار خلفاء بني العباس ووزرائهم وشعرائهم فانه ذكر غرائب لم تقع

الى غيره واشياء تفرد بها لانه شاهدها بنفسه وكان محظوظاً من العلم محدوداً من المعرفة مرزوقاً من التصنيف وحسن التأليف والله اعلم ·

محمد كرد علي

جمع فعال المضموم ليس بنادر

قيّدنا سيبويه ومن جاء بعده بقيود لم يعرفها العرب !

العرب عاشوا في البوادي والفلوات لايحصرهم بناء ولا يقيدهم أدم ، فنشأت اخلاقهم حرة ، بعيدة عن كل ضيق اوجور اوأسر ، وعلى هذا المثال جاءت قواعد لغتهم فهي لاتعرف الضنك والضغط ، بخلاف الاعاجم ولاسيما الفرس منهم ، فانهم نشأوا في بيوت مبنية بالصخر والحجر ، وقد أذلهم ملوكهم منذ عهد عريق في القدم ، فألفوا القيد والتقييد منذ نعومة أظفارهم ، ولهذا جاءت افكارهم ولغتهم ومفرداتهم مربوطة بهذه الرُبُط المعينة ·

جاء سيبويه وفي نفسه هذه النزعات من حب الطوق والغل ، فقيد اللغة العربية بما كان قد نشأ عليه من ذلك الميل ، فوضع للغة الضادية تلك الضوابط التي حجر بها على اللغة من الانبساط والاتساع فحجّرها في مكانها وأخمد أنفاسها ·

ولهذا يجدر بابناء العصر ان لا يعتمدوا على كل ما خطته يده من القواعد الا من بعد ان يتثبتوا صحة كلامه من مواطن اللغة المبينة ·

ومن جملة مانطق به هذا الامام واندفع وراءه النحاة واللغويون قولهم لم يرد من الجموع على فعال (كغراب) الا ألفاظ ثمانية ذكرها الزبيدي في تاجه في مادة رخل ، اذ يقول :

ما سمعنا كلِماً غير ثمانٍ ... هي جمع وهي في الوزن فُعال

فتؤام ودُرَاب وفُرَار ... وعُراق وعُرام ورُخال

وقد ذكر هذين البيتين في مادة (ظأر) وجعل في مكان دراب : وراب· وكلاهما غير موجود في العربية بصورة الجمع · والصواب رباب بباء في الأول ·

ثم قال : وظؤار جمع ظئر وبساط ... جمع بسط هكذا فيما يقال انتهى

وقال الازهري ومثل تؤام غنم رباب ، وابل ظؤار · وهو من الجمع العزيز ·

وعدّه ابو سحل بين النوادر . ولذا ذكره في نوادره . وكذا قال ابن الاثير في كلامه عن العُراق اذ يعده من نوادر الجمع . ونقل الجوهري عن ابن السكيت لم يجئ شيء من الجمع على فعال الا احرف منها توام .... (وعدّ منها سبعة) ثم قال ولا نظير لها .

وزاد الصاغاني على السبعة اربعة الفاظ فصار جماعها احد عشر . ثم جاء ابن خالويه ولم يزد عليها شيئاً ، الا ابن برّي أضاف عليها حرفين آخرين فصار الجملة اثني عشر ، وبعد هؤلاء الاعلام لم يذكر احد ما يزيد على هذا القدر من كلام العرب ، وظنوا انهم أحاطوا بجميع ما نطقوا به من مدوّن وغير مدوّن ، فاكتفى المتأخرون بنقل كلام الأولين وكتفوا أيديهم وآمنوا بما قيل لهم .

على اني تتبعتُ ما جاء على هذا الوزن فعثرت على اثنين وثلاثين لفظة ، وانا لا ادعي الوقوف على كل ما ورد من هذا الباب . فدونكها مرتبة على حروف المعجم :

أُناس ، بُراء ، بساط ، تؤام ، ثناء ، جُذاذ ، جُمال ، دُناء ، رُباب ، رُجال ، رُخال ، رُذال ، رُعاء ، سُحاح ، شُهاد ، طُوال ، ظُباء ، ظُماء ، ظُؤار ، عُراق ، عرام ، فرار ، قُماء ، قماش ، كُباب ، اُهات ، مُلاء ، نُباء ، نُذال ، نُقاس ، نُكات ، هُمال .

ولا بد هناك غير ما سردناه ، الا اننا أردنا ان نبين للقراء فساد قول سيبويه ومن ذهب مذهبه لكي لا يركنوا الى كل ما نطقوا به ليقيدوا به اصول اللغة المُبينة ، وهو ولي التحقيق . « محقق »

التنبيه

على غلط الجاهل والنبيه

= ٤ =

﴿ فصل العين ﴾

ومنها (في فصل العين) (المعجب) شاع بين الناس المعجب [١] بكسر الجيم وهو خطأ قال في الصحاح : وأعجب فلان بنفسه وبرأيه على ما لم يسمَّ فاعله : فهو معجَب بفتح الجيم . والاسم العُجب .

ومنها (المعدِن [٢]) بكسر الدال منبت الجواهر من ذهب ونحوه : من عدَنَ بالبلد يعدِن بالكسر اي أقام . ومنه : (جنّاتُ عدن) اي جنات إقامة قال في الصحاح : ومنه سمّي المعدِن لان الناس يُقيمون فيه الصيف والشتاء قال ومركز كل شيء معدنه . أقول : الأقرب أنهم لاحظوا نسبة الإقامة اي القرار الى الجواهر [٣] لا الى الناس فقالوا معدن الذهب اي مركزه وموضعه كما سبق آنفاً من ان مركز كل شيءٍ معدِنه . وهو [٤] المتبادر من إضافة المعدن الى الذهب والفضة حيث يقولون معدن الذهب والفضة ويقرب [٥] مما قلت قول صاحب القاموس بعدما قال : لإقامة اهله فيه — او لانبات [٦] الله اياه فيه .

ومنها (المُعضِل) هو كمُشكل لفظاً ومعنى : من أعضل الامر اي اشتدّ واستغلق . ففتح الضاد على ما يسمع من الناس فتحٌ لباب الجهل [٧] .

---

(١) في مثل قولهم فلان معجب بنفسه . (٢) قال المؤلف المعدِن بكسر الدال الخ لكنه لم يبين غلط الناس في هذه الكلمة من اي جهة . والظاهر انهم يغلطون بها فيقولون (معدَن) بفتح الدال . اما فتحها فهو كما قال في التاج ليس بثبت وان حكاه بعضهم . (٣) وفي نسخة النوابت . (٤) اي ما ذكر من ملاحظة نسبة الإقامة الى الجواهر لا الناس . (٥) وفي نسخة ويقرّب مما قلت . (٦) وفي نسخة اولانبات الله . (٧) وفي نسخة لباب اللحن .

ومنها (الاعطاف) هي جمع عِطف بكسر العين بمعنى جانب الشيْ والجانبان [١] العِطفان ومنه قول البحتري :

(لما مَشَيْنَ بذي الأراك تشابهت أعطاف قضبان به وقدودِ)
(في حُلَّتي حِبَرٍ وروضٍ فالتقى وشيان : وشيُ رُبًى ووشيُ برودِ)

والناس يحسبونها [٢] جمع العَطف بفتح العين بمعنى الاشفاق فيقولون : لا يبعد من ألطاف مولانا وأعطافه ان يفعل كذا ٠

ومنها لفظ (المُعاف) على وزن المثاب [٣] هو لفظ شائع بينهم بما فيه من يسمعه يستعملونه بمعنى المعفو [٤] ولا أدري أهذا لفظ اخترعوه ام ارادوا بناء الافعال من عفا فوقعوا فيما وقعوا ٠

ومنها قولهم (علانيا) هذا اللفظ شائع بينهم لكن الصحيح (العلانية) ٠

ومنها (العامي) في قولهم : فلان عامي بتخفيف الميم ٠ والصحيح بتشديد الميم ٠ منسوب الى العامّة يقال فلان عاميٌّ اي واحد من العامة ٠

ومنها(العَمَى) بفتح الميم مصدر عَمِيَ من باب صَدِيَ وقد شاع بين العميان إسكان ميمه

ومنها (العِيان) هو بكسر العين مصدر من عاين الشيْ عِياناً اي رآه بعينه ٠ والناس يستعملونه بفتح العين ٠ وهو خطأ لأن العَيان بفتح العين مصدر عان الماء والدمع يعين اي سال ٠

ومنها لفظ (العَيْش) هو بفتح العين الحيوة ٠ وكسر العين على ما شاع خطأ : لانه اذا كسرت العين تلزم التاء : كعيشة راضية ٠

فصل الغين

ومنها (في فصل الغين) (الغِذاء) هو بالذال المعجمة على وزن كِساء

---

(١) اي والجانبان من جسد الانسان يسميان عطفين ٠ (٢) اي يحسبون الاعطاف ٠

(٣) وفي نسخة المتاب بالتاء المثناة فتكون (المعاف) بفتح الميم لكن قول المصنف بعد ذلك (أرادوا بناء الافعال) يرجح نسختنا اعني ضم الميم من (معاف) وجعل المثاب بالثاء المثلثة لا بالتاء المثناة ٠ فاذا كانوا بنوا الافعال من عفا يكون اسم مفعوله مُعفى لكنهم قلبوه اي قدموا لامه على عينه فقالوا (معاف) ولهذا نظائر في لغة العرب لكنه غير مقيس ٠ (٤) وفي نسخة (بمعنى المفعول) ٠

ما به نماء الجسم وقِوامه . هكذا فسّره في القاموس . وقال في الصحاح (الغِذاء) ما يُتغذّى به من طعـام وشراب . وقد شاع بين الناس بالذال المهملة اسمًا لما يؤكل فقط . ففيه غلطان [١] . واظنهم يظنونه [٢] من الغداء بالفتح والمد وهو ضد العَشاء بمعنى طعام الغدوّ كما ان العَشاء بالفتح والمد ايضًا طعام العِشاء [٣] .

ومنها (النفوّط) هو واوي والمعنى معروف . فالتفيط بالياء اشنع منه . واظنهم يظنونه [٤] من الغائط على ماهو دأبهم من جعل الهمزة بعد الف الفاعل ياء [٥] وقد مرّ .

ومنها (الغيبة) هي بالكسر اسم من الاغتيـاب . وهو ان يتكلم [٦] خلف انسان مستور بما يغمّه لو سمعه : فان كان صدقاً يسمى غيبة . وان كان كذباً يسمى بهتاناً . وفتح غينها على ما شاع بينهم فتح لباب الجهل اذ هو بفتح الغين مصدر بمعنى الغيبوبة .

❋ فصل الفاء ❋

ومنها (في فصل الفاء) (الفراغة) هي لحن استعملوه من غير فكر [٧] لكن الصحيح (الفراغ) بلاتاء قال في القاموس: فَرغ منه كمنع وسَمِع ونصر فروغًاوفراغًا . وذكر في الصحاح له هذين المصدرين ولم يسمع (الفراغة) الا من اصحابنا .

ومنهـا (الفعل) هو بالفتح مصدر فعل . وقرأ بعضهم (وأوحينا [٨] اليهم فعل الخيرات) . والفِعل بالكسر الاسم . ولكن اشتهر بين العامة كسر الفاء في المصدر

---

(١) لعل الغلطين هما جعل الذال المعجمة دالاً مهملة ثم تخصيصه بالطعام دون الشراب . (٢) وفي نسخة تقلوه . (٣) وفي نسخة طعام العشي . (٤) وفي نسخة تقلوه . (٥) فيقولون قايل من القول وكايل من الكيل وعلى هذا يقولون غايط بالياء فجعلهم لها ياء أوهمهم انها ياء حقيقة فقالوا تغيط مكان تغوط بناء على هذا التوهم . (٦) قوله وهو ان يتكلم الخ هذه العبارة في بعض النسخ هكذا (وهو ان يتكلم خلف انسان مستور بكلام صادق لو سمعه لغمه : فان كان كذباً سمي بهتاناً . (٧) وفي نسخة من غير نكير . (٨) وفي نسخة ليدن عند هذه الآية الكريمة قد أشار ناشر النسخة وطابعها في ذيل الصفحة — الى انه يوجد نسخة هكذا (وأوصينا) بالصاد . فهذا يدل على أن ناشر نسخة ليدن هو المستشرق لندبرج لا عالم مسلم بغدادي راجع ذيل (ص٤٤ ج١) من هذه المجلة .

ايضاً . فهذا الكسر كسرٌ لرأس الكلمة وشجٌ لها .

ومنها (الأفعى) هو كأعمى حيّة خبيثة فكسر الناس عينها مع فتح اللام في الفعلى [١] غريب

ومنها (الفلاكة) هي من الألفاظ التي اخترعوها يستعملونها في ضيق الحال كأنهم اشتقوها من لفظ (الفلك) فقالوا المن به شدة (به فلاكة) وهو مفلوك اي اصابه الفلك بشدة .

ومنهـا (التفويض) يلحن فيه بعض الجهلة بتقديم الواو فيقولون توفيض مع انه من فوّض يفوّض .

فصل القاف

ومنها (في فصل القاف) (القوابل) يستعملونها في جمع قابل . وهي [٢] جمع (قابلة) لان فواعل في الصفة جمع فاعلة الا فوارس جمع فارس على ما عرف في موضعه . اللهم الا ان يقال انها [٣] جمعٌ لصفة موصوف مؤنث كمثل [٤] المادة القابلة لكنه بعيد خصوصاً من مواضع [٥] استعمالاتهم : يقولون هو قابل وهؤلاء قوابل .

ومنهـا (قابيل) وكذا (هابيل) ايضاً هما على وزن فاعيل ابناء آدم عليه السلام والناس يلحنون فيهما بحذف الياء .

ومنها (القرية) هي بسكون الراء وتخفيف الياء معروفة والعوامّ يلحنون فيها بكسر الراء وتشديد الياء .

ومنهـا (القزّاز) هو كشدّاد بائع القزّ وهو الابريسم [٦] لكن شاع بين العوام الغزّاز بالغين المعجمة .

---

(١) قوله في الفعلى اي ان وزن (فعلى) لامه مفتوحة في كلام العرب ولم تسمع مكسورة . وبعد كتابة هذه الحاشية رأينا في نسخة ليدن (في التسلي) مكان (في الفعلى) ونسخة ليدن الصواب لأن المصنف سبق وانتقد قولهم التسلّي بفتح اللام مع انها بالكسر راجع ذيل (ص١٣٩ ج٣) من هذه المجلة . (٢) قوله وهي جمع قابلة الخ وفي نسخة (وهي جمع قابلة كالفوارس في جمع فارس على ما عرف في موضعه) . (٣) قوله إنها اي إن كلمة قوابل (٤) اي وذلك الموصوف المؤنث محذوف وقد أقيمت صفته مقامه فقولهم قوابل اي مواد قوابل مثلاً . (٥) وفي نسخة مواقع . (٦) الحرير او ضرب منه .

ومنها (المقصد) هو بكسر الصاد موضع القصد . وفتح الناس صاده خطأ اذ هو من باب ضرب . واما المغسل فانه وان كان من باب ضرب ايضاً الا انه جاء فيه الفتح ايضاً حكاه اهل اللغة حيث قالوا المغسَل بفتح السين وكسرها مغسل الموتى .

ومنها (القضاة) على وزن فُعاة جمع مختص بالناقص كالغُزاة والعُصاة . فتشديد بعض الناقصين ضادها خطأ .

ومنها (التقاضي) هو مصدر التفاعل من قضى واكثر العوام يفتحون ضادها كما يفتحون لام التسلّي وقد مرّ .

ومنها (قولنج) الخطأ فيه انهم يستعملونه في وجع الظهر وليس كذلك بل هو مرض معدي[1] مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح . واما اللفظ فقد قال صاحب القاموس القولنج وقد تكسر لامه او هو مكسور اللام . وتفتح القاف وتضم .

ومنها (القنديل) هو بكسر القاف معروف وزنه فِعليل لا فَعليل[2] وفتح القاف لحن مشهور

❊ فصل الكاف ❊

ومنها (في فصل الكاف) (الكراهية) هي بالفتح والتخفيف من مصادر كرهه كسمعه . فتشديد الياء على ما يفعله البعض مما يكرهه السمع ويمجه الذوق .

❊ فصل اللام ❊

ومنها (في فصل اللام) (اللكنة) هي بضم اللام عجمة في اللسان وعيّ . يقال رجل ألكن وقد لكِنَ من باب طرب . كذا في اللغة ومازلنا نسمع من بعض العوام تحريف هذه الكلمة وقلب اللام[3] راء . وأرى بعض الناس حيارى في أمثال هذه الاغلاط تارة يصيبون[4] ولا يدرون باصابتهم وتارة يخطئون ولا يدرون . وليت شعري لم لا يرجعون الى اللغة فيما اشكل عليهم حتى يخرجوا من ظلمة الشك الى نور اليقين .

---

(١) لعل صوابه : مرض معوي كما في القاموس ثم رأيته في النسخة الليدنية .

(٢) وفي نسخة لا فنعيل . (٣) كأنهم يقولون ركنة . (٤) وفي نسخة هكذا : تارة يصيبون وتارة يخطئون ولا يدرون .

﴿ فصل الميم ﴾

ومنها (في فصل الميم) (المَعِدة) يلحنون فيها بزيادة الياء فيقولون (المعيدة) ·

﴿ فصل النون ﴾

ومنها (في فصل النون) (المنبر) هو بكسر الميم من الشهرة (١) بحيث يجعله اهل اللغة من الموازين لكنه شاع بين العوام بفتح ميمه · وكذا ضم ميم (المنارة) عند البعض وهي مفتوحة الميم · والنبرُ الرفع قال في القاموس : نَبَرَ الشيءَ رفعه · ومنه المِنبر بكسر الميم ·

ومنها (النُزُل) هو بضمتين و بالتسكين ايضاً مايهيأُ للنزيل اي الضيف · والعوام يزيدون(٢) فيه واواً فيقولون النزول وليس النزول الا مصدراً بمعنى الهبوط والحلول · وتقول نزل من العلوّ اي هبط منه · ونزل بالمكان اي حلّ فيه ومنه المنزل ·

ومنها (النزلة) هي كالزكام يقال به نزلة والجمع نزلات والجافون يعبّرون (٣) على انها بالنازلة و يجمعونها على النوازل وهو خطأ اذ النازلة هي الشديدة (٤) من شدائد الدهر تنزل بالناس كما تفصح عنها كتب اللغة ·

ومنها (المنسوبات) هي جمع منسوبة او منسوب من غير ذوي العقول · لكن شاع بين الناس اطلاقها على الطائفة المنسوبين الى الاكابر يقال فلان من منسوبات فلان كأنهم يقصدون بذلك الحاقهم بالبهائم والجمادات · ولا أدري له وجه صحة الا انْ يُتكلف و يقال هي بمعنى الطوائف المنسوبات فهي على هذا جمع للطائفة

---

(١) وفي نسخة من النبر · (٢) وقد وقع مثل هذا الغلط في كلمة (المنزل) لمكان نزول الناس فيقولون في كثير من بلاد سورية منزول يريدون به مايراد بكلمة (قناق) التركية الشائعة في بعض بلاد سورية ايضاً والمنزول بزيادة الواو رأيت العلوي المتوفى سنة ٩٨١ قد استعملها في كتابه مختصر الدارس بمعنى مكان النزول ومن العجيب ان المصريين يطلقون المنزول اليوم على ضرب من المكيّفات : الحشيش او غيره · (٣) لعل صوابه يعتبرونها بالنازلة اي يقيسونها عليها ثم ظفرت بها في نسخة هكذا (والجافون يعبرون عنها بالنازلة) وفي نسخة أخرى والجاهلون مكان (الجافون) وهي من الجفاء بمعنى غلط الطبع · (٤) وفي نسخة هي الشدة من شدائد الدهر ·

المنسوبة : تقول هذه الطائفة منسوبة الى كذا وهؤلاء الطوائف منسوبات الى كذا لكنْ يبطله قولهم زيد من منسوبات عمرو اذ لا يصلح [1] ان يقال زيد من الطوائف المنسوبة الى فلان لانه يستلزم ان يكون زيد طائفة: اذ واحدة [2] الطوائف هي الطائفة . بل الصحيح ان يقال زيد من الطائفة المنسوبة الى عمرو .

ومنها (النقرس) داء معروف وزيادة اليـاء على ما هو الشائع بين العوام خطأٌ لان النقريس الدليل الحاذق الخِرّيت والطبيب الماهر الناظر [3] المدقق على ماذكر في القاموس . ولا يجوز زيادة الياء في الداء [4] لكن داء الجهل ليس له دواء .

ومنها (عرق النسا) النَّسَا بالفتح والقصر عرق وذكر في الصحاح نقلاً عن الاصمعي انه قال : لاتقل عرق [5] النسا وقال ابن السكيت هو عرق النسا وذكر في القاموس نقلاً عن الزجاج انه قال لا تقل عرق النسا لان الشيء لا يضاف الى نفسه انتهى والعوام يقولون (عرق النِّساء) بالكسر والمد ولا نعرف له معنى اذ المعنى في بطن الشاعر .

ومنها (النكات) هي بكسر النون جمع نكتة واذا ضممت النون حذفت الالف فتقول نُكَت . وكثير من الناس يضمون النون و يثبتون الالف اي يقولون (نُكات)

تم بعون الله المعبود [6]

---

(١) وفي نسخة اذ لا يصح . (٢) وفي نسخة اذ واحد الطوائف . (٣) وفي نسخة القاموس المخطوطة التي عندي (النظار) وكذا في بعض نسخ هذا التـأليف . (٤) اي (داء النقرس) مذ يقولون (نقريس) . (٥) يعني بذكر كلمة عرق واضافتها الى كلمة النسا بل يقتصر على (النسا) وحدها لانها تفيد معنى العرق نفسه . (٦) قال الاستاذ تيمور باشا في كتابه الينا « ان العلامة السيد محمد الكواكبي مفتي حلب المتوفى سنة ١٠٩٦ هـ لخص رسالة (التنبيه) هذه وقد علق تلخيصها في كناشه المكتوب بخطه وان هذا الكناش محفوظ في المكتبة التيمورية » .

آراء وافكار

كتاب المسائل للقصراني

ترجم لنا جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ ١٢٤٨ م في كتابه إخبار العلماء باخبار الحكماء[1] القصراني المنجم بكلمات قليلة هذه هي

« القصراني »

نسبته أشهر من اسمه وقصران احدى قرى الري فيما قيل وهو منجم فاضل حكّام كان مقيماً بالري يصحب بها الملوك والامراء وله إصابات في الأحكام قد أخبر بها في كتاب المسائل له وهو كتاب جليل ملكته بخط الصهراني الرازي وهذا الكتاب يشتمل على مُلح هذه الصناعة على أنواع غريبة عجيبة اهـ ·

وقد اقتنيت منذ سنتين كتاباً مخطوطاً في بيت المقدس كُتب باوله « كتاب ترجمهٔ قصرانى المسمى بجامع الاحكام في مسائل الخاص والعام لعثمان القاسم باشالي رحمه الله » وهو باللغة التركية وعلمت من قراءته ان المترجم هو عثمان بن محمد القاسم باشاوي (نسبة الى محلة قاسم باشا من احياء القسطنطينية) الموقت بجامع السلطان محمد أتم ترجمة الكتاب المذكور سنة ١٠٩٩ هـ ١٦٨٧م والترجمة التي بايدينا منسوخة في القرن الثاني عشر ومكتوبة بحبر أسود وأحمر وضفدعي وخطٍ مشرقٍ جميل والصفحة الاولى منها مذهبة بماء الذهب واللازورد ·

وفي أواخرها طوالع بعض العظماء وهم السلطان محمد الرابع والوزير المرزيفوني والوزير سياوش باشا وآغا الانكشارية تكرطاغي مصطفى اغا والوزير سليمان البسنوي و يوسف اغا كتخدا الانكشارية واحمد اغا البسنوي محافظ قلعة بورين ومحمد افندي الانقروي من صدور الفتوى ومحمد باشا سيدي زاده القبودان اي امير البحر وختمها

---

(١) تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء طبع ليبسك صفحة ٢٦٤ ونفس الكتاب المطبوع بمصر باسم اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٧٤ ·

بطالع جلوس السلطان سليمان الثاني وقد تناول المترجم في سياق الكلام تراجم هؤلاء العظماء وأحوالهم وبعض الاحداث التاريخية ٠

والذي يهمنا من كل هذا اننا عرفنا من خلال سطور الترجمة ان اسم المؤلف هو ابو يوسف يعقوب القصراني وان كتابه يسمى جامع الاحكام في مسائل الخواص والعوام وهما مما لم يشر اليه القفطي في ترجمته كأنه اكتفى بشهرته الطائرة وصيته البعيد ٠

حيفا عبد الله مخلص

صحف منسية

بينا كنت أجيل الطرف في كتب الخزانة الخالدية في بيت المقدس [1] عثرت على كتاب يسمى درر الملتقط من كل بحر سقط تأليف محمد بن علي بن محمود الكاتب وقد جاء في أواخره هذه العبارة :

« أبيات درويش محمد افندي بن احمد الطالوي [2] المتوفى عن افتاء الديار الدمشقية سلخ رمضان ١٠١٤ أرسلتها وهو بالديار الرومية الى جناب الامير الكبير محمد بك الفجكي اليوسفي ضمن مكتوب مستقل مضمناً بيتي ابي الثناء الشهابي محمود الشاعر المشهور ومتشوقاً الى دمشق » ٠

ومن كتاب ابن محمود الكاتب الدمشقي المتوفى سنة ٧٥٣ هـ ١٣٥٢ م نسخة في دار الكتب المصرية قال صاحب تاريخ آداب اللغة العربية (جزء ٣ صفحة ١٣٨) ان اسمها الدر الملتقط من كل بحر وسفط وسنفرد لوصف هذا الكتاب المؤلف في الادب مقالة خاصة ونكتفي الآن بدرج أبيات الطالوي التي أرسلها الى الامير

(١) وصفت هذه الخزانة وبعض نوادرها في المجلد الرابع والصفحات ٣٦٦ و٤٠٩ من هذه المجلة ٠ (٢) للطالوي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ ١٦٠٦ م ترجمة حافلة في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (ج٢ ص١٤٩) وفيها انه دُفن بمقبرة باب الصغير بدمشق ومن آثاره الباقية كتاب « سانحات دمى القصر في مطارحات بني العصر » و يسمى السانحات الطالوية ومنه نسخ في دار المكتبة المصرية والكتبة الاهلية في باريس ومكتبة برلين ٠

النجكي[1] والتي ضمن بها بيتي ابي الثناء الشهابي[2] لعلاقتها بدمشق من عدة وجوه فهي لشاعر دمشقي يتشوق الى اهله ودياره ضمن فيها بيتي شاعر دمشقي وبعث بها الى امير دمشقي وقد اختفت في زاوية كتاب منسوب الى دمشقي وستنشر في دمشق مبعث مجلتكم المشرقة وهذه هي الابيات :

على ساكني عليا دمشق تحية ... من المغرم المشتاق الواله الصب
تحية مضنى فارق الدار والهوى ... وحسان ربع فيه حسانة الترب
اذا شام برق الشام هاجته لوعة ... ومن دونه طامي النوارب كالشهب
رمته النوى وسط الجزيرة والهوى ... الى منزل بالشام في الجانب الغربي
هي الدار لا الجرعاء من جانب الحمى ... ولا أثلات القاع من ايمن الشعب
سقاها وحياها الاله معاهداً ... عهاد دنو العهد موصولة السحب[3]
وخص بها دار الامير وما حوت ... معالمها من ذي لمى خصر عذب
امير المعالي النجكي الذي له ... حياتي ونصحي في البعاد وفي القرب
أحبتنا بالشام والدار غربة ... وصرف النوى لا يتقي منه بالعضب
أقمتم وسرنا والفؤاد لديكم ... وما حال جسم في الهوى سار عن قلب

حيفا : عبدالله مخلص

(١) للامير محمد بن منجك الذي لم تحمد سيرته، ترجمته في خلاصة الاثر (ج٤ ص٢٢٩) وقد توفي بدمشق سنة ١٠٣٢ هـ ١٦٢٢ م ودفن في جامع جده الاعلى بالميدان وله القصر المعروف به في الوادي الاخضر والقاعة المشهورة في داره بين باب جيرون وبين السلسلة . (٢) هو شهاب الدين محمد بن سلمان بن فهد الحلبي الدمشقي المترجم له في فوات الوفيات (ج٢ ص٢٨٧) وفيه انه توفي سنة ٧٥٥ هـ ١٣٥٤ م وفي فهرس المكتبة الخديوية (ج ٤ ص ٢٢٧) انه توفي سنة ٧٧٥ هـ ١٣٧٣ م وهما غلط صوابه سنة ٧٢٥ هـ ١٣٢٤ م . (٣) جاء في الصفحة ١٥٢ من الجزء الثاني من خلاصة الاثر في ترجمته مثل هذا البيت في أبيات من قصيدة رائية قالها وهو بالروم يتشوق لوطنه وهو :

سقاها وحياها الاله معاهداً ... عهاد دنو العهد وافى به البشر

مطبوعات حديثة

مسالك الابصار
« في ممالك الامصار »

لاحمد بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ بتحقيق احمد زكي باشا ، طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م ص ٣٩٨

نشأ ابن فضل الله مؤلف هذا الكتاب في دمشق على عهد كثر في الشام النابغون في مثل علمه ، وعلمه الادب والتاريخ والجغرافيـة والاصطرلاب وحل التقاويم وصور الكواكب ، فكان من معاصريه او من سابقيه وتاليه في هذا القطر امثال علم الدين البرزالي والحافظ الذهبي والحافظ ابن كثير وصلاح الدين الصفدي وابو الفداء وشيخ الربوة وتقي الدين المقريزي وابن مفلح وابن الوردي والصلاح الكتبي والبارزي وغيرهم من الائمة الذين كان الشام مطلع شمسهم ، فمزجوا الادب بالتاريخ والجغرافيا بالفلك ، وخلدوا لنا من مصنفاتهم ما لا يبلى على الايام جديده .

لا جرم ان توفر العلامة احمد زكي باشـا على احياء كتب امثال ابن فضل الله هو احياء للآداب العربية ، فبالامس اخرج لهذه الامة كتاب التاج للجاحظ والاصنام لابن الكلبي من الكتب المعتبرة بتحقيقه الممتع واليوم يحيي لنا هذه المعلمة او الموسوعة العربية آخذاً الجزء الاول منها من « كتاب مدشوت في الاضابير المبعثرة بين الاوراق المنثرة في اسافل الخزانات بسراي طوپ قبو بالقسطنطينية » فكان كتاب مسالك الابصار الذي طالما حامت طيور الافكار على نشره خصوصاً وهو « اكبر ينبوع للقلقشندي في صبح الاعشى » — من احسن ما تخدم به هذه اللغة لانه مادة مهمة في الادب والتاريخ والصناعات والاثارات ، واهم ما يُغتبط به ان المؤلف من كبار المحققين كتب ما كتب بذوق كامل وفهم غريب ، ولم يطبع من كتبه غير « التعريف بالمصطلح الشريف » وهو مادة واسعة في حضارة عصره على صغر حجمه .

والباب الاول من هذا الكتاب في مقدار الارض وحالها وكريتها والبرهان عليه

قال فيه ان المكوكب « فلك البروج » في رأي فلاسفة الاسلام هوالمعبر عنه عند الشريعة الشريفة بالكرسي ، والاطلس هوالمعبرعنه عندهم بالعرش (ص١٨) ونقل عن شيخه فريدالدهر (٣١) ابي الثناء محمود بن ابي القاسم الاصفهاني جملة هذا نصها : « لا امنع ان يكون ما انكشف عنه الماء في الارض من جهتنا منكشفاً من الجهة الاخرى ، واذا لم امنع ان يكون منكشفاً من تلك الجهة لا امنع ان يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ماعندنا او من انواع واجناس أخرى » فعلق الناشر على ذلك بقوله : « للاصفهاني (وهو بمصر) فضل السبق على كرستوف كولومبس (وهو بالاندلس) لانه قال بهذه النظرية قبله بقرن ونصف قرن · وللاصفهاني فضل اكبر على مكتشف امريكا : لانه تخيل وجودها بقوة الفطنة والاستدلال ، واما كولومب فتخيل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب · توفي ابوالثناء في سنة ٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م » · واما كولومب فقد اجتهد في اقناع فرديناند وايزابلا صاحبي الاندلس بصدق نظريته في سنة ١٤٩٢ ميلادية (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ) اهـ » ·

وتكلم المؤلف بعد اشباع الكلام على الارض وصفاتها وتقويمها وطبيعتها في الارتباط بين الكائنات الحية وبين الارض فذكر الجبال واتصالاتها على ما كان يتخيله الناس في عصره وكذلك الانهار ، وقال المؤلف ان الامير ابا دبوس بن ابي العلى ابي دبوس ووالده آخر سلاطين بر العدوة من بني عبد المؤمن وصل الى بحرة النيل الاعلى وان عالماً مغربياً أقام بالسودان ٣٥ سنة وأخبر المؤلف عن اصل النيل وتوغله لمعرفة منبعه اي ان المسلمين اكتشفوا منابعه قبل الافرنج · وأفاض في الآثار البينة في اقطار الارض فعد منها الكعبة والمسجد الحرام المحيط بها ، وما هناك من مقامات ومشاهد ، والمسجد النبوي ، والمسجد الاقصى ، وقبر الخليل ، ومسجد دمشق ، وبعض المزارات في عصره ، والبيوت المعظمة عند الامم ، والآثار المشهورة بالصين وتركستان وفارس والعراق والشام والحجاز واليمن ومصر وبلاد المغرب والاندلس ، والقصور المشهورة ، وختم هذا الجزء في وصف الديارات والحانات المستفيضة الشهرة · وهذا الفصل استغرق ١٤٠ صفحة او اكثر من ثلث المجلد وهو برأسه كتاب ادب واجتماع لطيف جداً يسلي الحزين ولا نذكر اننا اطلعنا في شيء من كتب الادب على وصف الحانات ، فان ذلك مما قد

يتبرم به اهل العصر على مابلغته الحرية في الغرب ، ولكن ابن فضل الله عدّه وعد ذكره من المألوف الذي لا يستنكر ، ولا يعاب صاحبه مهما بلغ من جلالة قدره .

والذي يزيد في فوائد مسالك الابصار ان مؤلفه ساح كثيراً ولاسيما في مصر والشام والحجاز ، وجل ما كتبه من تحقيقه الخاص والناشر اثابه الله لم يغفل عن التنبيه على مواطن الفائدة من كلامه فعنون لها بعنوانات تلفت النظر اليها مثل قوله في (وصف الحرم المقدسي ومزاراته الى سنة ٧٤٣ هـ تصنيف خاص به لاحمد بن امين الملك) (وصف فني عربي للبناء على الطراز العربي) (مشهد الحسين بن علي بن ابي طالب بعسقلان) « والمؤلف ينكر وجوده بالقاهرة و يقول ان الاغلب انه لم يتجاوز دمشق وان العباسيين حملوا أعظمه فيما بعد ودفنوها بالمدينة المنورة » عناوين أشبه بعناوين الصحف الراقية لعهدنا عند تدوين الحوادث اليومية الكبرى ! والمؤلف من كبار الكتاب في عصره برع في الوصف ، ولم يكن في الشعر أضعف من شعراء دهره ، وربما فاقهم في بديهته في الفنين كما يفوق كثيرين بعلمه واجتهاده ، ومما وصف به السموات المسطحة في مسجد قرطبة قوله : ضروب صنائع من الضروب المسدسة والمدرّب ، وهو صنعة الفص وصنعة الدوائر ، والمداهن و يشبه بعضها بعضاً ، بل كل سماء منها مكتف بما فيه من صنائع قد أحكم ترتيبها ، وأبدع تلوينها ، بالوان الحمرة الزنجفرية ، والبياض الإسفيداجي ، والزرقة اللازوردية ، والزرنوق البـاروتي ، والخضرة الزنجـارية ، والتكحيل النقسي .

ومن فوائده ماقاله في الفسيفساء وصنعها وهو مما لا يكاد يوجد له اشارة في شيء مما بايدينا من الكتب وهاك ماقال : « والفسيفساء مصنوع من زجاج ينذهّب ثم يطبق عليه زجاج رقيق ، ومن هذا النوع المحور (لعله المسجور) واما الملوّن فمعجون ، وقد عمل منه في هذا الزمان شيء كثير برسم الجامع الأموي وحصل منه عدة صناديق وفسدت في الحريق الواقع سنة اربعين وسبعمائة وعمل منه قبل للجامع التنكزي ما على جهة المحراب ، غير انه لايجيء تماماً مثل المعمول القديم في صفاء اللون وبهجة المنظر ، والفرق بين الجديد والقديم ان القديم قطعة متناسقة على مقدار واحد ، والجديد قطعه مختلفة . و بهذا يعرف الجديد والقديم اهـ » .

وعلى الجملة فان هذا الجزء برمته مما يستفاد من كل صفحة من صفحاته والناشر حبب مطالعته الى القارئ باحلاه به في كل نكتة وكل فصل و باب من العناوين في الهامش والحواشي المفيدة في أسفل الصفحات وفي آخر الجزء . وقد قطع جمل المؤلف التي ابقاها بحالها ، وجعل بينها فواصل واشارات ونقطاً ليسهل متناولها . ولو لم يكن في نشر امثال هذه الاسفار الاحياء فصح كثيرة من اللغة تعاد الى الاستعمال لكان اعظم بها من فائدة.

من ذلك ان المؤلف استعمل الفاظ «شمعدانات» «درابزين» «شحم ولحم» لنوع من صناعة البناء « روحانـ في جسد » من مصطلحات البناء « عمودين شمعية» « البسائل ملبسة بالنحاس الاصفر » «ملفوفة» «مشبنة» « لوح الرسم» وهو المعروف الآن بالخريطة الجغرافية «لوح الدائرة» فسرها الشارح بانها الخريطة الجامعة التي نسميها الآن مابموند تعريباً للفظة افرنسية (Mappemonde) تنقبل اي تُلزم . و « في تخائن السور خزائن » اي المحال التي فيها سمك كثير ويجمع المؤلف ديراً على ديارات وديرة وديارة ونحن نجمعها على أديار . واستعمل لفظة العُمر «بضم العين» للدير الكبير والجمع اعمار ومن سجعات بدائع البدائه « تعاطينا العمل فيه على عادة الشعراء الذين قطعوا طريق الاعمار ، بطروق الاعمار ، وضيعوا العين والعَقار ، في تحصيل العين والعُقار » . « جرياً على عادة خلفاء البلغاء ، وظرفاء الادباء ، ومجان الشعراء ، الذين نبذوا الوقار بالعراء ، فقطعوا طريق الاعمار ، بطروق الاعمار » .

واطلق ديراني وديرية على ساكن الدير وساكنته مثل ما نقول راهب وراهبة وجمع لفظ صليب على صُلُب وعلى صلبان نادراً وجمع جماعة على «جمائع» (٣٦٦ و ٣٦٩) واستعمل «الطنجير» لهذا القدر الذي يطبخ به والعامة يقولون « تنجرة » زعموا انها تركية الاصل واستعمل «شورباة» للحساء الذي نقول له «شوربه» عن الفارسية شورباج و «الدشيش» لهذا الصنف من العدس المجروش و «الاصلاص» (٣٨٠) جمع صلصة من (Salsa) الطليانية واللاتينية و (Sauce) الفرنسية . ولم يقصر الشارح في التعليق على الفاظ المدن والانهار والاشخاص وغيرها بما يقابلها من اللغات الافرنجية او يرجعها الى اصلها الاعجمي مثل «مرتيان» Marcianus «الخندروس» Alexandrus «الاشتاديو» Stade وهو يساوي ثمن الميل والميل ٤٠٠٠ ذراع «القنباص» Compas و «نهر أتيل»

(فولجا Volga اكبر انهار اوربا) « بحر الظلمة الجنوبي » هو نهر النيجر بحر الانقليشين تعريب لفظة English بصيغة الجمع العربي ومعناه بحر الانكليز وبلاد الهياطلة Les Huns « أطرابلس الغربية » Tripoli de Barbarie هيكل الزهرة Port - Vendres وادي آش Guadix واستعمل « المبازل » جمع مبزل وهو المثقب اي الآلة التي تثقب بها الدنان والبراميل ليسيل ما فيها ويسمى عند الفرنسيين (Canule, Canette. Cannelle) و يطلق على ما يطلق عليه المبضع عند الجراحية .

وهنا نستميح عفو الاستاذ الناشر مأخوذين بحلمه وعلمه فنعرض عليه بعض هنات وقعت في الطبع في بعض الاعلام ببلاد الشام ، منها تشديده ياء « سَلَمِيّة » المدينة المعروفة وقد وردت (٣٢٨ و٣٢٩) في شعر المتنبي بالتخفيف ونص البكري في معجم ما استعجم انها من جملة مايخفف من اسماء البلدان قال : سلمية بفتح اوله وثانيه وكسر الميم وتخفيف الياء من ثغور الشام معروفة قاله ابو حاتم ، قال وكذلك سُلَيْقية ورومية وأنطاكية مخففات الياء كلهن . وشدد السين من جبة «عسّال» الصواب تخفيفها وهي الى اليوم معروفة بعسال الورد في جبل قلمون وأعجم السين من « مرعين» (٢١٥) و «سميساط» (١٩٤) والدال من جدر فقال شرعين وشميشاط وجذر ونص الذهبي في المشتبه في اسماء الرجال على المدرسة السميساطية فقال : السُمَيساطي الشيخ ابو القاسم علي بن محمد من اكابر الرؤساء بدمشق حدث عن عبد الوهابي الكلابي ووقف الخانقاه وبمعجمتين ولا ياء الشمشاطي ابو الربيع محمد بن زياد الشمشاطي روى عنه منصور بن عمار وطائفة من اهل شمشاط . ونص في مكان آخر ان السميساطي بمهملتين . وقال السيوطي في تحرير الانساب السميساطي بالضم وفتح الميم والمهملة بينهما تحتية ساكنة الى سُمَيْساط بلد بالشام . وتعرض السمعاني في الانساب للسمياطي ايضاً وقال ان هذه التسمية بضم السين المهملة بعدها ميم وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وبعدها سين أخرى مفتوحة .... وأعجم الدال من بلودان (٣٥٨) وصدوم فقال بَلوذان وصذوم والاولى بدون اعجام وقال (٨٢) « حمة جدن » بالنون والصواب جدر بالراء وهي « ام قيس » المعروفة اليوم بمكيس احدى المدن العشر المعروفة في التوراة

وكانت عامرة على عهد المسيح وهي على ثلاث ساعات غربي إربد على رأس الجبل المشرف على وادي اليرموك وتحت هذه القرية على شاطئ اليرموك الايمن ارض الحـمّة التي فيها عدة ينابيع حارة (راجع قاموس الكتاب المقدس لبوست) وقد نص ان حمة ام قيس (جدر) من جملة ينابيع الأردن . وكانت جدر في الاسلام احدى كور الأردن قال ابو ذؤيب :

فما ان رحيق سبتها التجـا ر من أذرعات فوادي جدر

وقال شيخ الربوة : « ثم نهر يصب في بحيرة طبرية ويخرج من الحـمة التي لقرية يقال لها جدر » . وقال « جسر يعقوب » والصواب « جسر بنات يعقوب » و « جسر الصنّبرة » والصواب « جسر الصنبرة » بالكسر ثم بالفتح والتشديد ثم سكون الباء الموحدة وراء وهو موضع بالأردن مقابل لعقبة أفيق ويقال (فيق) بينه وبين طبرية ثلاثة اميال كان معاوية يشتو بها — قاله ياقوت في المعجم . وذكر « الفوّار والمدان » من الانهار التي تمد الأردن ، والأرجح « دان » وهي تل القاضي على مارجحه شراح التوراة ويسميه اهل تلك الجهات اليوم نهر اللدّان . وفي (ص ٨١) « ينزل العمقا الى انطاكية » والصواب « العـمق » البحيرة المعروفة وقال في حواشيه « الانصارية والنصيرية » وليس على ذهننا اسم الانصارية في هذا الجبل وقال « ان شرقي بصرى قرية تعرف بدنبين » ونظن انها « دبيين » وهي قرية من عمل جبل الدروز اليوم شرقي حوران . وادعى الشارح في حواشيه (ص٦) او « تصويباته وتصحيحاته » ان نصيبين سماها الاتراك « نزيب » تمييزاً لها عن نصيبين التي بالعراق ، والحقيقة ان نزيب هي غير نصيبين وهي معروفة و بجوارها كانت ملحمة ابراهيم باشا المصري مع عسكر العثمانيين في القرن الماضي . وكذلك لم يصب شاكلة الصواب في دعواه ان الاتراك أطلقوا لفظ إربل باللام على «إربد» من بلاد عجلون اليوم المعروفة قديماً بجبل عوف تمييزاً لها عن اربل الشهيرة بارض الموصل فان لفظ اربد بالدال لم يتغير منذ الزمن الاطول وعبارة ياقوت فيها هكذا :

« أربد بالفتح ثم السكون والباء الموحدة قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين الطريق المغرب ، بها قبر ام موسى بن عمران (ع) وقبور اربعة من اولاد يعقوب (ع) وهم دان وايساجار وزبولون وكاد فيما زعموا » ونظن ان ياقوت وهم في اربد بجعلها بفتح

الالف وان كان تحريف العامة اليوم وقبل اليوم لا يعتدُّ به كثيراً . وفي هذه القرية مات يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥ قال الطبري ومات بأربد من ارض البلقاء وصلى عليه ابنه الوليد الخ . وهذه اربد من جبل عجلون بعينها وفي قاموس الكتاب المقدس : « بيت اربئيل (بيت دارالله اومكن الله) (هو ١٠ : ١٤) اربله وهي اربد الحالية شرقي بحر طبرية » . وقد أخطأ الاستاذ بول (Buhl) بقوله في المعلمة الاسلامية ان إربد او أربد هي ايضاً اربئيل القديمة وهي في البلقاء على ١٢ ميلاً غربياً من بَيْسان وهي التي هلك فيها الخليفة يزيد الثاني . فانه ليس في تلك الجهات بهذا الاسم الا اربد هذه ولعله تسرب اليه الوهم من قول الطبري انها في ارض البلقاء . والبلقاء ليست محدودة على ما ينبغي فقد قال ابو الفدا في تقويم البلدان انها احدى كور الشراة وقاعدتها حُسبان والبلقاء عن اريحا على مرحلة واريحا عن البلقاء في جهة الغرب . وقال ان جبل الشراة في جنوبي البلقاء وخلفه البرية . ومن قبله قال ياقوت : البلقاء كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عَمّان ... ومن البلقاء قرية الجبارين ... وقال قوم و بالبلقاء مدينة الشراة شراة الشام ... و بالجملة فان دعوى ان اربد أطلق عليها الترك لفظ اربل ليميزوها عن مدينة اربل الموصلية لا سند لها في كتب التاريخ ولا الجغرافية وكذلك ابدالهم نصيبين بنزيب والله اعلم .

محمد كرد علي

الفاشيزم

« او النهضة الايطالية الحديثة »

تعريب السيد محمد محفوظ الكردي . طبع بمطبعة النهضة العربية في حلب سنة ١٩٢٦ ص ١٤٣

يجب الترحيب بكل ما يترجم للعربية مما ليس فيها لانه يزيد مادتها وينير الافكار خصوصاً اذا كان الموضوع جليلاً وعُرّب بأسلوب جميل يخرجه عن الاعجمية . ولقد قلنا ولا نزال نقول ان النقل عن التركية، والتركية تنقل عن الافرنسية، مما يزيد المنقول تشويشاً يعبث بالملكات ولا يستفيد معه الناس منه شيئاً كثيراً . وهذا الكتاب مثال

من ذلك فان المعرب نقله عن المؤرخ التركي علي رشاد بك وهذا نقله بالطبع عن لغة اجنبية والترجمة لا تخلو من اغلاط لغوية ونحوية وبيانية مما لا يتجوز به في هذا العصر الراقي ٠ اما موضوع الكتاب فهو مهم في قيام الامم والاحزاب لان « الفاشيزم » وقى ايطاليا من السقوط في «البلشفة» اي الاشتراكية المفرطة مع فرط استعداد الشعب لها ، وفيه حياة السنيور موسوليني الحاكم المطلق في تلك البلاد وكيف نشأ وكيف نجح وأثر في أمته بلسانه وقلمه فكان منه ان قادها الى ما أراد رغم شدة الاحزاب القديمة القوية ٠ م٠ك

كتب ورسائل منوعة

(١) « كتاب الهندسة » الجزء الثاني تعريب الاستاذ السيد احمد جودت الهاشمي استاذ الرياضيات في مدرسة التجهيز والمعلمين بدمشق طبع في مطبعة الترقي بدمشق (١٣٤٣ — ١٩٢٥ ص ١٩١) ٠

(٢) «الدروس الزراعية» الجزء الثاني والثالث تأليف الاستاذ السيد وصفي زكريا مدير المدارس الزراعية السابق في سورية وفلسطين طبع بمطبعة الترقي بدمشق (١٣٤٣ — ١٩٢٥) الجزء الثاني يقع في (١٤١ ص) ٠ والثالث في (١٩٤ص) مع الرسوم والاشكال ٠

(٣) (سليم سركيس) وهي رسالة فيما قيل في حفلة تأبينه جمعها السيد جرجي نقولا باز وطبعت بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٢٠) ٠

﴿ معاونة أدبية ﴾

اعطى السيد (محمد حاجو قولي) من تجار حلب الى المجمع العلمي خمساً وعشرين ليرة سورية يصرفها فيما يراه نافعاً من خصوصياته فشكره المجمع على تلطفه وسماحه ٠

زيارة المفوض السامي

زار المفوض السامي مجمعنا العلمي فدخل اولاً المدرسة الظاهرية حيث مكتبة المجمع الكبرى ثم المدرسة العادلية فتفقد غرفة القراءة فغرف الآثار واحدة فواحدة ثم بهو المحاضرات وكان أثناء تجوله يتفرس في كل مايقع عليه نظره من التحف والآثار ويعجب به و يبدي رأيه احياناً فيه وزار دائرة المجمع ونظر في خزانة كتبه وسأل عن ميزانية المجمع وما ألحق به من دار الكتب ودار الآثار فلما علم بمقدارها استقله بالنسبة الى ماشاهده من حالة المجمع وارتقائه في هذه المدة القليلة ووعد ان يخصص للمجمع مبلغاً يكفي لشراء كتب قديمة وحديثة من مطبوعات اوربا تفيد في تاريخ الشرق والعرب وآدابهم وأوعز الى مستشار المعارف ان يكتب اليه بصفته (اي بصفة المفوض السامي) رئيساً لجمعية التعاون الدولي الادبية — بلزوم تعيين مبلغ مناسب من ميزانية المفوضية العليا يخصص راتباً لاحد المستشرقين الاوربيين من اي أمة كان بشرط ان يكون متخصصاً بتاريخ الشرق وكتبه وآثاره فينضم الى هيأة المجمع ويعمل على تنظيم مكتبته بحسب آخر الطرائق التي وصل اليها هذا الفن في اوربا . وأجاب اقتراح رئيس المجمع من ارسال طالب سوري الى (مدرسة السجلات) في باريز ليدرس (فن تنظيم الكتب) وكيفية استخراج المخطوطات الاثرية في (مدرسة السجلات) المذكورة حتى اذا اتقن هذا الفن قام مقام المستشرق المذكور . ووعد انه سيفاوض طابعي الكتب في اوربا بشأن إهداء المجمع ماطبعوه من الآثار الحديثة . وسيبذل الجهد في نشر اخبار المجمع العربي الى البلدان الاوربية كافة وسائر رجالات العلم الذين يهمهم امر الشرق وتاريخه . كما وعد باخلاء بناية (مدرسة الملك الظاهر) التي يشغلها المكتب الابتدائي فتجعل المدرسة كلها دار كتب على النمط الحديث . ثم زار سعادة المسيو بيراليب المندوب السامي فوق العادة في دمشق وجبل الدروز — دار المجمع العلمي واعطى رئيسه خمسمائة ليرة سورية باسم فخامة المفوض السامي المشار اليه ليصرفه المجمع على اعماله النافعة فقدم الرئيس باسم رصفائه شكر المجمع العلمي على هذه الغيرة على الآداب والعطف على المعارف وسجلها للمحسن الكريم في سجلات المتفضلين على المجمع .

الجزء ٥ المجلد ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) مايس سنة ١٩٢٦ م الموافق شوال وذي القعدة سنة ١٣٤٤ هـ

نموذج من معجمنا

« في العامية المصرية »

— ٣ —

سنفر

سنفرة الخشب يريدون بها حكّ صفحته بشيءٍ خشن بعد نحته بالفأرة[1] مبالغة في تسويته وتنعيمه وكذلك سنفرة الحائط بعد تجصيصه لصقله وتنعيمه . ويستعملون لذلك ورقاً مرملاً يبري ما يحكّ به لخشونته يسمونه ورق السنفرة بفتح فسكون وبعضهم بفتح السين او يجعلها صاداً خالصة . ويسميه بعض المصريين بورق الزجاج وهو ترجمة (Papier de verre) ويقال له ايضاً (Papier sablé) اي الورق المرمّل . ولا حاجة الى التعبير بكلمتين عن هذا الورق كما لا حاجة الى استعمال السنفرة بعدما عرف العرب هذا العمل وعبروا عنه بالسَّفْن بفتح فسكون فقالوا سفنه سفناً بالتخفيف وسفّنه بالتشديد وهو في الاصل القَشْر واستعملوه في أنواع منه : منها هذا ومنها الحك بحجر او حديدة للتسوية وسموا ما يُحك به السَّفَن بفتحتين . ولكنهم لما كانوا يجهلون

(١) الفأرة من كلام العامّة الا انهم يخففون همزتها وهو جائز ويريدون بها آلة ذات شفرة يقشر بها الخشب ويرادفها من الفصيح المسحج كمنبر . ولا نرى بأساً من استعمال الفأرة على التشبيه بفأرة الحيوان لانها على هيأتها في الجملة كما سمت العرب نافجة المسك بالفأرة لانها على هيئتها .

الورق المرمَّل استعاضوا عنه بالجلد الخشن قال في اللسان « السَفَن جلد أخشن غليظ كجلود التماسيح يكون على قوائم السيوف وقيل هو حجر يُنحت به و يليّن وقد سفنته سفناً وسفّنته • وقال ابو حنيفة السَفَن قطعة خشناء من جلد ضبّ او جلد سمكة يسحج بها القِدْح حتى تذهب عنه آثار المبراة وقيل السفن جلد السمك الذي تحك به السياط والقِدْحان والسهام والصحاف و يكون على قائم السيف وقال عديّ بن زيد يصف قدحاً:

(رمّه الباري فسوّى درأه غمزُ كفيه وتحليقُ السَفَنْ)

انتهى • والمسنفر بصيغة اسم المفعول تطلقه العامّة ايضاً على الزجاج الذي أُزيل شفوفه وقد وضع له الاستاذ اليازجي (الزجاج المعطّش) وقال انه « تعريب قولهم Dévitrilié وهو من التعريب بما يصح ان يقوم مقام اللفظة لا بما هو مرادف لها في الوضع » و يظهر وجه هذه التسمية لمن يراجع صفة عمل هذا الزجاج بالضياء (ج٤ ص٤٣٢) •

شكم

شكم الفرس بمعنى جذب عنانه جذبة قوية ليكبح جماحه واصل الشكم في اللغة وضع الشكيمة في فم الفرس وهي حديدة في اللجام معترضة في الفم ، ومنه شكمت الوالي اي رشوته كأنك سددت فمه بالشكيمة وليس في معنى الشكم لغةً ما يفيد الجذب • والشكيمة بمعنى هذه الحديدة مما أماتته العامة وأبقت على فعله ولكنها استعملته في جذب العنان لانه سبب في نشوب الشكيمة في فم الفرس اذا لم يكن دخيلاً في العامية من (چكمك) بالجيم الاعجمية بمعنى مطلق الجذب في اللغة التركية فجعلته العامة بالشين الخالصة وخصته بالعنان •

ومن المجاز عندهم استعمال الشكم بمعنى ارجاع المرء عن تماديه في قول اوفعل يقولون (شكمته في كلامه) اي أرجعته و (فلان شكم ابنه) اي أرجعه عن غيه • واستعمل ابن اياس النخع للشكم فقال في حوادث سنة ٨٩١ من تاريخه « فلما كان اليوم الثاني من انكسار الصاري ركب السلطان على فرس وسيّر في الحوش ثم ساق ونخع الفرس باللجام فشبّ به وانقلب على السلطان فسقط الى الارض وبقيت رجله تحت جنب الفرس » والنخع بهذا المعنى عاميّ ايضاً •

والعرب تقول في هذا كبح وأكبح وأكمح وأكفح وشجر قال في اللسان « الكبح

كبحك الدابة باللجام : كَبَح الدابة يكبحها كبحاً واكبحها الاخيرة عن يعقوب جذبها اليه باللجام وضرب فاها به كي تقف ولا تجري يقال اكمحتها واكفحتها وكبحتها قال الجوهري هذه وحدها عن الاصمعي بلا ألف وفي حديث الافاضة من عرفات وهو يكبح راحلته هو من ذلك كبحت الدابة اذا جذبت رأسها اليك وانت راكب ومنعتها من الجماح وسرعة السير » . وفي اللسان ايضاً « وفي حديث العباس قال كنت آخذاً بحكمة بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وقد شجرتها بها اي ضربتها بلجامها أكفها حتى فتحت فاها » .

الصوفان وصوفن

الصوفان بضم اوله قطن يعالج ليجعل حرّاقاً يشتعل بالقدح على الزناد وكانوا يستعملونه قبل ان يعرفوا عيدان الثقاب . سموه بذلك لانه يصير بعد المعالجة كاللبد اي الصوف المتلبّد . وكان لهم في عمله عدة طرق أشهرها انهم يعمدون الى صبيغة من القطن فيبلّونها بالماء ثم يحكّونها بذفرى شاة اولحاء شجرة فاسدة الجذع حتى تتشرّب من عَرَق الذفرى او مما يسيل من اللحاء فيجففونها في الشمس . ومنه ما يعالج بمحروق ثمر الجمّيز الفجّ او بموادّ أخرى لاحاجة لذكرها . ثم لما ظهر ورق الثقاب الذي يشتعل بحك رؤوسه سموه ايضاً بالصوفان وهو المستعمل الآن بالريف والصعيد . وكان لهم شيء آخر يشعلونه بالقدح وهي خيوط تفتل كالذبالات يسمونها (اليَدَك) تكلمنا عليها في حرف الياء . ولم نر لفظ الصوفان مذكوراً في كتاب قبل زمن الجبرتي ولا نذكر اننا رأيناه في تاريخه الا في موضع واحد وهو في قوله في حوادث سنة ١٢٠٢ « وفيه اشتدّ العسف في الرعية بسبب طلب السلفة وتعدّى الحال الى بيّاعين المخلل والصوفان وتضرر الفقراء من ذلك » .

والعرب تسمي الصوفان الحرّاق بالضم وتشديد الراء والحراق والحراقة بالضم والتخفيف فيهما والحروق بفتح فضم والحرّوق كتنّور والحروقاء بفتح فضم وفسّروه بما تقع فيه النار عند القدح وقال ابوحنيفة هي الخرق المحرقة التي يقع فيها السقط وفي التهذيب هو الذي تورى به النار . قلنا والذي كثر استعماله من هذه الصيغ بعد زمن

العرب الحرّاق بالضم والتشديد ومنه ما أنشده صاحب مطالع البدور للشريف العقيلي :

وأدهم من خيول الجوّ وافى ... فثار من الضباب له غبـار
اذا أبدى صهيل الرعد منه ... لوحش المحل داخله نفـار
أشبهه ولمع البرق فيـه ... بحرّاق تمشّت فيه نار

وأنشد تقي الدين الراصد في مجموعه لابن عنين :

ما إن مدحتك أرتجي لي نائلاً ... فحرمتني فذممتُ باستحقـاقي
لكنني عاينت عرضك أسوداً ... متمزّقاً فقدحت في حرّاق

ولشهاب الدين الفيومي ومن ديوانه نقلته :

كأنما في السويدا من لظى شغفي ... شرارة قدحت في طيّ حرّاق

وجاء في تاريخ الوزراء للصابي في كلامه على جهاز جارية للمعتضد « ثم تذكّر فقال يحتاج ان يكون مع ذلك كبريت وحرّاق وأحجار النـار ومُمرُج ونقدّم باحضار ذلك فأحضر » .

ثم اشتقت العامة فعلاً من الصوفان فقالت صوفن[1] وأرادت به فساد الخبز بظهور بياض وخضرة عليه وهو على التشبيه لانه يكون في هذه الحالة كالصوفان اي في صورة الصوف الملبّد . والعرب تقول كرج الخبز كفرح واكرج وكرّج بالتشديد وتكرّج اذا فسد وعلته خضرة . وتقول عَشِم الخبز اذا يبس وتكرّج والعَيْشم الخبز الفاسد اسم لا صفة . وتقول تسنّه الخبز ومعنى التسنّه التكرّج الذي يقع على الخبز والشراب وغيره .

ضوي

الضوّي بفتح الاول وتشديد الواو المكسورة وبياء النسبة في آخره كان يطلق

---

(١) بضم اوله ضمة كالحركة الناشئة من حرف o في الافرنجية واصله الفتح وكل فتحة سبقت واواً ساكنة في كلمة تضمها العامّة بهذه الحركة نحو يوم ونوم وصوفن وسورق . وما كان يائياً تميله نحو ليل وعين الا ما شذّ وهو قليل كما بيناه في قواعدهم بالمقدّمة .

على حامل المشعل قبل ان يعم النور في طرق المدن الكبيرة كالقاهرة والاسكندرية فكانوا يشعلون كسارات الخشب في المشاعل ويعدون بها أمام عجلات العظماء لتنير لهم الطريق واكثر ما كانوا يفعلون ذلك في ليالي رمضان حيث يكثر التزاور والسهر . ثم لما عمّ النور في اكثر الطرق بطل حمل المشاعل وبقي اسم الضوّي في الغالب للخدم الذين يرسلون في الحاجات ولا سيما خدم الدواوين ثم قلّ استعماله في ذلك ايضاً ولم يبق منه بالمعنى القديم الا الذين يسافرون مع قوافل الحاجّ .

واطلاق الضوّي على حامل المشعل قديم يرتقي الى قرون فقدرأيناه في أشعار لاهل القرن السابع وعبّر به ابن فضل الله العمري في المسالك في كلامه على ركب المحمل فقال « بطليعة وساقة وضوّية في أوائل الركب وأوسطه وآخره » وفي صبح الاعشى في كلامه على نظر الدواوين « السابعة الخدمة بديوان الرواتب وفيه مرتبات الوزير فمن دونه الى الضوّي » . وعبّر به المقريزي في السلوك في كلامه على وصول الحرة من عند سلطان فاس الى مصر في ذهابها للحج واحتفاء السلطان بها في عبارة طويلة نقلها عنه المقّري في نفح الطيب يقول فيها « وتقدم السلطان الى النشو والى الأمير احمد أقبغا بتجهيزها اللائق بها فقاما بذلك واستخدما لها السقّائين والضوّية وهيئا كل ما تحتاج اليه في سفرها » انتهى . وجاء في خططه في الكلام على موسم السنة مدة الفاطميين وما كان يفرّق فيه من الطعام وأنواع الحلوى « فيعم ذلك سائر الناس من خاص الخليفة وجهاته (١) والاستاذين المحنكين الى ارباب الضوء وهم المشاعلية وينتقل ذلك في أيدي أهل القاهرة ومصر » فعبّر هنا بارباب الضوء ولم يقل الضوّية . وقال الجزيريّ في درر الفرائد المنظمة في كلامه على سير قوافل الحاجّ والمحافظين عليها « وشخص من الضوّية يكون يقظاً ليلاً بشعله في الساقة يطوف بها وينتش تحت شجر أم غيلان على النائم والغافل والمنقطع فينبه النائم ويذكّر الغافل وللضوّي المذكور جامكية (٢) من ديوان السلطنة الشريفة » وهو يعبّر به كثيراً في هذا الكتاب .

(١) جهات الخليفة نساؤه كما يقال الآن حرم وتكلمنا على ذلك في حرف الهاء من المعجم . (٢) أصلها في الفارسية جامكي ومعناه ما ينفق على القيام بعمل ثم غلب استعمالها بعد ذلك فيما ينفق مشاهرة ويرادفها من الفصيح الطعم والرزق .

واصل هذا اللفظ ضوئيّ نسبة الى الضوء وبذلك وجهه الجزيري في درر الفرائد المنظمة فقال « مقدم الضويّة والمشاعلية وهو عبارة عمن يكون مقدماً لرجال المشاعل نسبة الى ضوئها حال ايقادها والمشاعلية مفرده مشاعلي نسبة الى ما يتصفون به من الفلفلة » الخ . فاذا كنا لم نزل في حاجة الى استعمال هذا اللفظ لمن يحملون المشاعل في قوافل الحاج فهذا أصله .

وعبّر ابن بطوطة في ثلاثة مواضع من رحلته بالدوادوية لحاملي المشاعل بالهند فقال في أحدها « ويكتري الفراشين وهم الذين يضربون السراجة (١) ويفرشونها ويرفعون الاحمال على الجمال ويكتري الدوادوية وهم الذين يمشون بين يديه ويحملون المشاعل بالليل » . وهو فارسي الاصل الواحد دَوادو وهو خادم يستخدم في دنيء الاعمال كغسل الأواني وحمل الطعام وغيره ويسميه الأتراك بالسرايدار فخصوه في الهند بمن يحمل المشعل . وليس ببعيد ان يكون استعمل لذلك في الدول التركية بمصر ثم حرّف الى الضويّة ولكن الأخذ الأول .

وقال ابن أياس في حوادث سنة ٩٢٤ من تاريخه « ثم نزل الزيني بركات بن موسى من القلعة في موكب حافل وقدّامه الملاليّة والمشاعل بالفوط الزركش عليها والانكشارية بالنفوط قدّامه » ولم أحقق هذا اللفظ ولم أذكره الا لان هذه العادة باقية الى الآن بمصر ولاسيما في مواكب الزواج والختان والقدوم من الحج فانهم يسيرون فيها حاملي المشاعل بالنهار وهي مغطاة بالشقق الملوّنة غير موقدة وهم في أبهى لباس من الحرير الشامي والقطني .

وجاء في ترجمة صاعد بن يحيى الطبيب من أخبار الحكماء للقفطي ما نصه : « الى

(١) السراجة بالجيم الأعجمية فسرها ابن بطوطة قبل ذلك بانها التي تسمى بالمغرب بالأفراج وهي التي تدار حول الخيمة ثم تظلل . قلنا اي الشقق التي تضرب كالحواجز ثم تظلل فتكون منها الخيمة وهي التي تسمى عند الفصحاء بالسرادق وعند العامة بمصر بالترك بفتح فسكون و بالترك بضم فسكون وقد تكلمنا عليها في حرف التاء من المعجم . وأصل السراجة في الفارسية الدار الصغيرة مركبة من سراي بمعنى الدار ومن (چه) وهي علامة التصغير وحذفت الياء من سراي في التركيب .

ان وصل الى باب خربة المراس والقاتلان تابعان له فبصر بهما واحد وصاح خذوهم فعادا اليه وقتلاه وجرحا النفّاط الذي كان بين يدي الحكيم » وفي القصة انهما فملا ذلك ليلاً اي ما يدل على ان النفّاط حامل الضوء وقد رأيته كذلك بالتصريح في قصة حكاها سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان عن العماد الحلي الفقيه فقال : « حكى لي قال دخلت ليلة الى العادل في قلعة دمشق فخلع عليّ خلعة بطيلسان فخرجت في الليل واذا بنفاط قائم وبيده مشعل فلما رأى طيلساني ظن أني القاضي [1] فمشى بين يدي بالمشعل فمشيت الى باب البريد أريد الأمينية [2] فلما وصلت الى دار سيف أخذت الطيلسان فجعلته في كمي وقصرت في المشي فالتفت النفّاط ولم ير الطيلسان فقال ياسيدي اين مشى القاضي فأشرت الى ناحية مدرسة نور الدين وقلت داره عند المدرسة فمضى عني وخلصت منه » . والظاهر انه سمي بذلك لان مشعله كان يضاء بالنفط ولعله من النوع الذي كانوا يسمونه بالنفّاطة وهو على ما في القاموس ضرب من السرج يستصبح به او ان يكونوا أرادوا به في الاصل حامل هذا النوع ثم استعملوه في حاملي المشاعل على الاطلاق . ولم نقف فيما اطلعنا عليه من النصوص اللغوية على وصف لهذه النفّاطة كاشف عن صورتها وتركيبها ولكننا رأينا في درر الفرائد المنظمة للجزيري وصف مشعل من نوعها مفيد في تقريبها الى الاذهان وهو قوله عن ركب امير الحج « وتصحبه المشاعل للضوء وبعض الامراء صنعت له النفطية شيئاً من البارود الابيض يسمى عقوب الضوء فاذا وقع الصراخ في الركب يجعل شيء من ذلك العقب في المشعل فيضيء اضاءة واضحة جداً بحيث لا يخفى السارق فيمسك عند ذلك .

(تتمة) استعملت النفّاطة والنفّاط في معان أخرى فصلنا الكلام عليها في برة وساروخ وطو بجي ومدفع من المعجم .

* * *

---

(١) لان الطيلسان كان خاصاً بالقضاة وقد بينا صفته وتكلمنا عليه في موضعه من المعجم . (٢) مدرسة بدمشق بناها امين الدولة أتابك العساكر المتوفى سنة ٥٤١ او ٥٤٠ كما في تنبيه الطالب للنعيمي .

طَبْع الحُسْن

يريدون طابع الحسن اي خاتمه ويطلقونه على النقرة التي تكون في الذقن واستعمال طابع الحسن لهذه النقرة قديم عند المولّدين فقد انشد البدري في نزهة الانام في محاسن الشام لجمال الدين ابي الحسن عليّ الخزرجيّ في تفّاحة :

تفاحة محمّرة قد بدت   تميلها الريح على غصن
كأنها خدّان قد جمّعا   يلوح فيها طابع الحسن

ورأيته مذكوراً ايضاً في زجل لبعض المتقدمين وفي عبارة لبعض فضلاء القرن السابع في كتاب له في شراء الرقيق . واستعمل له المولّدون ايضاً جب يوسف وخاتم الحسن قال الشهاب الخفاجي في شفاء الغليل « جبّ يوسف مولّد معناه نقرة الذقن قال الاصفهانيّ :

أيا قمراً جار في حسنه   على عاشقيه ولم ينصف
سمعنا بيوسف في جبّه   ولم نسمع الجب في يوسف

ويقال له خاتم الحسن وهي مولّدة مأخوذة من لسان العجم » انتهى . وفي كتاب شراء الرقيق المذكور بيتان للثعالبي يقول في ثانيهما :

ويروعني ذقن له مستودع   جباً ومن ذا الجبّ يطلع يوسف

والعرب تسمي هذه النقرة النونة بضم الاول وفسرها اللغويون بالنقرة في ذقن الصبي الصغير وفي حديث عثمان رضي الله عنه انه رأى صبياً مليحاً فقال دسموا نونته اي سوّدوها لئلا تصيبه العين . ولها أسماء أخرى ذكرها اللسان في مادة (نون) وأعاد ذكرها في موادها وفسرت فيها بمعان أخرى ايضاً وهي الخنعبة والثومة بضم الاول فيهما والهزمة والوهدة والقلدة والهرتمة والعرتمة بفتح فسكون فيها والحترمة بكسر فسكون . وفي القاموس « الشَّجْرة النقطة الصغيرة في ذقن الغلام » ولينظر ما المراد بالنقطة فان شارحه لم يتعرض الا لضبطها بفتح فسكون وكونها عن ابن الاعرابي .

(تتمة) العامة تسمي النقرة التي تظهر في الخد عند التبسم بالغمّازة وبالنُّقرة وتكلمنا عليها في الغين والنون من المعجم .

احمد تيمور

تصحيح نهاية الارب

اغلاط الجزء الرابع

في ص٢ س٧ قال هشام بن عبدالملك (ماوجدت شيئاً ألذَّ اليَّ من جليس تسقط بيني وبينه مروءة التحفظ) صوابه (مؤونة التحفظ) اي ثقله وكلفته ·

وفي ص٦ س١٠ — قوله (أمرَعدةً من مُوالياته) يريد بهن إماءه فصوابه (مَوْلَيَاته) بفتح اللام والتخفيف جمع (مولاة) او (مَوْلِيّاته) بالتشديد جمع (موليّة) وهي المرأة التي يلي أمرها والٍ عليها · اما (المُواليات) فجمع مُوالية وهي المناصرة ولا معنى له هنا ·

وفي ص٧ س٦ — قوله (وسار يريد مكة فلما بلغ الخليفة قيل له أحرمْ) صوابه (فلما بلغ ذا الحليفة) و (ذو الحليفة) ميقات أهل المدينة ·

وفي ص٨ س٢ — قوله (وأخرج له فضلةً من مُلّةٍ فأكلها) صوابه (فضلة من مَلّةٍ) بفتح ميم (مَلّة) لابضمها بل الصواب ان يقال (فضلةً من خبز مَلّة) بزيادة (خبز) لان (الملة) هي الرماد الحار الذي يُخبز عليه · ولا يخفى أن الرماد لا يؤكل وانما يؤكل الخبز قال الحطيئه ·

(حفاة عُراة ما اغتذَوا خبز مَلّةٍ ولا عرفوا للبُرّ مذ خُلِقوا طَعما)

فقول المؤلف (فضلةً من ملّةٍ) توسع او تسامح في التعبير إن لم يكن غلطاً ·

وفي ص٩ س١١ — قوله (فتنتْهُ بدلالٍ وتخطى حاجبيها)

صوابه (و بخطَّيْ حاجبيها) تثنية خطّ · والخطوط الطِلاء الذي تخضب به المرأة حاجبيها ·

وفي ص١٠ س٧ — رأى رجلاً غليظ العنق (فقال اني لأرى لهذا عنقا مادقّتها العبادة) دقّ العنق كسرها ولا معنى له هنا فصوابه (ما دقّقتها العبادة) اي لم تجعلها دقيقة رفيعة او (ما رققتها العبادة) اي لم تجعلها رقيقة نحيفة ·

وفي ص١٢ س١٠ — قوله (واستُفتي القاضي ابوبكر بن فريعة) بالفاء وصوابه (ابن قريعة) بالقاف وهو قاضي السندية وغيرها من أعمال بغداد مشهور بحسن

بداهته في ما يسأل عنه وكانوا يهيئون له امثلة غريبة المعنى ليسمعوا جوابه اللطيف عليها وقد توفي سنة ٣٦٧ هجرية ٠

وفي ص١٩ س٥ — قوله يصف جواري روميات : (مقرطقات بصنوف الحُلي) صوابه (مقرَّطات) بتشديد الراء اي انهن قدطلقن في آذانهن اقراطاً من صنوف الزينة ومختلف ضروبها ٠ اما (مقرطقات) بطاء بعد الراء فمعناه انهن لابسات القراطق جمع (قُرطق) وهو ضرب من الأقبية تلبسه فتيان الترك غالباً وليس هو من لبوس الجواري ٠ والغلط هنا كالغلط في ما يروونه من قول عمر بن الوردي :

(مرَّ بنا مقرطق ووجهه يحكي القمر)
(قلت ابو لؤلؤة منه خذوا ثار عمر)

فصوابه (مقرَّط) مكان (مقرطق) بدليل قوله (ابو لؤلؤة) ٠

وفي ص٢٢ س١٩ — قال لها انك لرسحاء فقالت (ما نقصناه من الطست زدناه في المبينة) لامعنى للمبينة هنا فصوابها (المِثْيَنَة) وهي كما في مستدرك التاج المكتل٠ فالجارية تقول انها ان كانت رسحاء وكان طستها ناقصاً فان مكتلها يجبر هذا النقص ٠

وفي ص٢٤ س٩ — قوله (قوموا واشحتوا معي) كذا بالتاء المثناة ولا معنى له وصوابه (اشحثوا) بالمثلثة وهو بمعنى (اشحذوا) بالذال ٠ وشحث المسنّ وشحذه والسحاث والشحاذ واحد ٠

وفي ص٣١ س٢ — قوله (كان ابوك ألحى وانت أقط) (أقط) بالقاف وصوابه (أثط) بالثاء المثلثة يقال رجل ثطّ وأثطّ اذا كان كوسجاً خفيف شعر اللحية وهو المراد هنا لانه قابله بالألحى الذي معناه كبير اللحية اما القطط فهو قصر الشعر وجعودته والوصف منه (قَطٌ) لا (أقطُ) كما في عبارة الكتاب ٠

وفي ص٣١ س٦— قوله (لقي أشعب سالمُ بن عبدالله بن عمرو) هكذا (عمرو) بواو بعد الراء وصوابه (عمر) وهو ابن الخطاب رضي الله عنه جدّ سالم التابعي الجليل ٠

وفي صفحة ٣٤ س١٩ — قال أبان مذ رأى الاعرابي الذي أقبل ومعه جمل (هذا والله من البابة) قال المصحح في تفسير (البابة) هي اسم بلدة ٠ اقول لكنها بلدة من بلاد بخاري وبلدة أخرى من ثغور الروم كما في مراصد الاطلاع والحكاية انما

وقعت في الحجاز عن أعرابي فيه عنجهية وجفوة أراد أبان بن عثمان العبث به فصوابه (من البادية) لا (من البابة) وهو ظاهر ٠

وفي صفحة ٣٦ س٨ — قوله (أكافئك على قيمتك المتاع) صوابه (على تقويمك المتاع) وهو المفهوم من سياق القصة ٠

وفي صفحة ٣٧ س ١٧ — قوله :

(تراها على هام الرجال كأنها ديار يهود جُلِلت بالبرانس)

ضمير (تراها) يرجع الى القلانس التي انما يصفها بدنان اليهود في شكلها وطولها ولا معنى لوصفها بديار اليهود ٠

وفي صفحة ٣٨ — فسر المصحح (الجريب) بالمزرعة في قول الخليفة لابي دلامة (أقطعتك مائة جريب) وصوابه ان الجريب مقدار معين من مساحة الارض قيل هو ٣٦٠٠ ذراع وقيل أكثر فلا يصح تفسيره بالمزرعة كما لا يصح تفسير الفدان بالبستان ٠

وفي صفحة ٤٠ — فسر المصحح كلمة (الشراة) في قوله (فأخرجني لقتال الشراة) — فقال: (الشراة اسم مدينة بالشام) نعم ولكن الصواب هنا ان (الشُراة) هم الخوارج سموا بذلك لقولهم انهم شروا أنفسهم (اي باعوها) في طاعة الله بالجنة ٠

وفي صفحة ٤٥ س ٨ — قوله (تهبني جاريةً من جوارك) صوابه من جواريك لان ياء (جواري) انما تحذف مع التنوين فيقال (جوارٍ) اما اذا أُضيفت فترجع الياء فيقال جواريك وجواري الخليفة ٠

وفي صفحة ٤٥ س ١١ — قوله (فأقام في بغداد حتى عرض) بالعين المهملة ولا معنى له وصوابه (حتى غرِض) بالغين المعجمة اي ضجر ومَلَّ ٠ واذا عُدي (غرض) بإلى كان معناه الاشتياق ٠

وفي صفحة ٤٧ س١٤ — قوله (قولوا له الخبيث) صوابه (قولوا للخبيث) او (لهذا الخبيث) بدلالة سياق الكلام ٠

وفي صفحة ٤٨ س ١٦ — قوله (انا في هذا اليوم ضجر وأحببت ان انفرّح وأفرح) قوله (أنفرح) كذا بالحاء المهملة ولا معنى له على انه مكرر مع قوله (أفرح) فصوابه (أنفرج) بالجيم كما في الاغاني اي أعتزل في داري فأجلب لنفسي الفرج

وانكشاف الغم . هذا أصل معنى التفرج في كلام المولدين منذ القرن الثاني للهجرة ثم حدث له معنى جديد في القرون الأخيرة فصاروا يريدون به النظر والاطلاع على شيء يحدث الفرج وانكشاف الغم ولذا يعدّونه بعلى فيقولون : ذهبت أتفرج على استعراض الجيش مثلاً . اما استعمال (التفرج) في أصل اللغة فهو ان يُسند الى نحو الغم فيقال تفرج الغم اي تكشف وزال عن القلب .

وفي صفحة ٥٥ س ٨ — قوله (واسمر مثل كفك مستقيم) صوابه (ملء) كما في الأغاني .

وفي صفحة ٥٥ س ١٧ — قوله (عداتك في الملال عداة صدق) كذا (عداة) بتاء مربوطة وصوابه (عدات) بتاء مبسوطة لانها جمع (عدة) وقد جمعت جمع تأنيث اما جمع عادي اي عدوّ (فعُداة) بتاء مربوطة كقضاة وغزاة . وقد مر شبيهه .

وفي صفحة ٥٦ س ١٠ — قوله (ابراهيم بن سيابة مولى بن هاشم) صوابه (مولى بني هاشم) .

وفي صفحة ٥٨ س ١٤ — قوله (فقلت) صوابه (فقال) كما يفهم من السياق .

وفي صفحة ٦٠ س ٨ — قوله (ولا مالٌ ولا طرفٌ ولا خلط لمرتاد)

صوابه (ولا حظ لمرتاد) كما في الأغاني . و(الطرف) في قوله (ولا طرف) معناه المال الطارف المستحدث وهو ضد التالد . وفي الأغاني (ولا عزّ) مكان (ولا طرف) ولعله الأصوب لئلا يتكرر مع قوله قبله (ولا مال) .

وفي صفحة ٦٢ س ١٠ — قوله (واناني اياكم مطوّح) كل معاني طوّحه وطوّح به تفيد معنى الوقوع في الهلكة وسياق الكلام هنا لا يستدعي كل هذا الغلوّ في وصف شقاء نفسه ولذلك كان الصواب (مطّرح) بالراء ومعناه مبعد منسي مطروح جانباً لا احد يلتفت اليّ ولا يفكّر بي .

وفي صفحة ٦٤ س ١٧ — قوله (فقام مولاها الى الجابية يستقي نبيذاً) (الجابية) بالجيم الحوض يُجبى فيه الماء للأبل ولا يناسب هنا فصوابه (الخابية) بالخاء المعجمة وهي الحُبّ اي الجرة الضخمة وتسمى الخمرة (بنت الخابية) قال الحريري (فلما رأيتهم كأعجاز نخلٍ خاوية . او صرعى بنتِ خابية .

وفي صفحة ٦٦ — فسّر المصحح (تيغارات النبيذ) فقال هي جمع (تيغار) وهو الحوض . والصواب ان (التيغار) إجّانة كبيرة أو هو ضرب من الدنان والأزيار

« راجع ما كتبه عن كلمة (التيغار) كل من احمد تيمور باشا في مجلة المجمع (سنة ٣ ص ٤٣) والمرحوم رفيق بك العظم (سنة ٣ ص ٢١٢).

وفي صفحة ٦٩ س ١٤ — قوله (علم شغلك . فاطّرح عدلك) كذا بالدال المهملة وصوابه (عذلك) بالذال المعجمة والسياق يعيّنه.

وفي صفحة ٦٩ س ١٥ — قوله (فتبسط عذرك) صوابه (فابسط عذرك) من بسط الثلاثي. وبسط العذر يكون بمعنى قبوله من المعتذر كما هنا. وقد يكون بمعنى ابدائه وشرحه

وفي صفحة ٧٣ س ٩ قوله (فانهما بابان اذا فتحا لم يُغلقا الا بعد عسر. وخلان اذا لقحا لم ينتجا غرضاً) كذا (غرضاً) وصوابه (لم ينتجا غير ضرّ) وهو ظاهر.

وفي صفحة ٧٤ س ٦ — قوله (اكثر أسباب القطيعة المزاح. وان كان لا غنى للنفس عند الجمام) صوابه (لا غنى للنفس عنه لجمام) اي ان النفس لا تستغني عن المزاح أحياناً لاجل الجمام. والجمام بفتح الجيم بمعنى الراحة يقال (وجد جمامه) اي راحته وفعله (جمّ الفرسُ وأجمه صاحبه) اذا تركه بعد تعب فاستراح واستجمع قوته وعاد اليه نشاطه ومنه قول الشاعر :

(أفد طبعك المكدود بالجدّ راحةً ... يجمّ وعلله بشيء من المزح)
(ولكن اذا أعطيته ذاك فليكن ... بمقدار ما تعطي الطعام من الملح)

وفي صفحة ٧٤ س ١١ — قوله (امرح بمقدار الطلاقة واجتنب الخ) صوابه امزح.

وفي صفحة ٧٤ س ٢٠ — قوله (ألقيتها وطفقت تضحك لاهياً الخ) صوابه (وطفقت تضحك) وضمير (ألقيتها) يعود الى كلمة المزاح بمعنى انك تمزح مع صديقك من دون مبالاة وتكون كلمة المزاح ثقيلة مؤذية فيتحمل منها طول اذيته.

وفي صفحة ٧٥ س ٢ — قوله (يفرح للفكاهات قلب المحزون وتزول عنه الشؤون) صوابه (وتزول عنه الشجون) جمع شجن بمعنى الهم والغم وهو المناسب للمقام. اما كلمة (الشؤون) فمعناها الخطوب والأحوال التي تهم الانسان وتتعاظمه. والفكاهات لا تكشف الخطوب العظيمة عن الناس وانما هي تسليهم وتنفس كربهم.

وفي صفحة ٨٠ س ٢٠ — قوله (ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً كما

مُطرت استبان فيها لون الخمر) قوله (بعد ذلك) اي بعدان حرمت الخمرة وأريقت في الأزقة فصوابه اذاً (كلما مطرت استبان فيها لون الخمر) لا (كما مطرت) ٠

وفي صفحة ٨١ س٢— قوله (فقال اخرج فانظر) صوابه (فقال القوم اخرج) بدلالة السياق ٠

وفي صفحة ٨٤ س١ — قوله (لأن معاقر الرجل الكأس) صوابه (لان الرجل معاقر الكأس) بتقديم الرجل يقال عاقر الخمرَ والكأسَ لازمها وعاقر الشَّرْب لا يفارقهم٠

وفي صفحة ٨٧ س١٨ — قوله (والباذق والبختج) صوابه (والباذق والبُختج) بالجيم لا بالحاء وهو معرب (بخته)٠ والهاء في أواخر الكلمات الفارسية اذا عربت قلبت جيماً تارةً وقافاً تارةً أخرى نحو (باذق) في (باذه) ٠

وفي صفحة ٨٧ سطر ١٩ — قوله معدداً اسماء الخمرة (ومن اسمائها المرّاء من قولك : هذا أمرى من هذا اي أفضل) كذا (المراء وأمرى) بالراء المهملة وصوابه (المزّاء وأمزى) بالزاي المعجمة لان المؤلف فسّر (أمرى) بأفضل وليس في مادة (المرو ولا المرى) ما يفيد معنى التفضيل ٠ وعلى العكس مادة (مزو) فان المزو والمزية الفضيلة ٠ ومزّاه وأمزاه فضّله ٠ وتمازى القوم تفاضلوا ٠ فالخمرة (المزّاء) اي الفُضْلى لانها (أمزى) اي أفضل من سائر الأشربات ٠

وفي صفحة ٩٢ سطر ١٦ — قوله (فتعامل المأمون وابن طاهر على سكر يحيى) صوابه (فتحامل) اي حمل كل منهما صاحبه على إسكاره او المعنى أن كلاً منهما مال وجار عليه بالأسكار حتى كلفاه من ذلك ما لا يطيق ٠ اما قوله (فتعامل) فيمكن ان يفسر له معنى لكن بشيء من الكلفة والقسر ٠

وفي صفحة ٩٢ سطر ١٧ — قوله (فأشار الساقي) صوابه (فأشارا) بالف التثنية بدلالة السياق ٠

المغربي

ايطاليا والمشرقيات (١)

طمحت ايطاليا في كل زمن الى هذا الشاطئ من البحر المتوسط فحملت اولاً القوة والسلام الروماني . ولما انحلت عرى هاتين المادتين تحت ضربات البرابرة عادت توجه وجهها الى تلك الوجهة ايضاً لا الى الشمال . وكان البحر المتوسط ميدان عمل جنوة وبيزا والبندقية وأمالفي وباري وسالرن ولم يقنع تجارها بان يعتنوا بالاتجار باقمشة الهند وفارس وجزيرة العرب وأفاويهها وأبازيرها بل اخذوا يؤيدون النفوذ اللاتيني في آسيا الصغرى ومصر والحبشة . وكان من انتشار الاسلام وقوته في القرن الثامن ان ضربت هذه الفتوح التي تذكر بفتوح رومية ايام عظمتها ضربة شديدة فاحتقر المسلمون ايطاليا على سمو مدارك ابنائها ومرونة أخلاقهم وأغاروا عليها فأدخلوا على قلوب اهلها الهول والفزع ، فكان الجلاد عظيماً . ولئن وفقت ايطاليا الى طرد العرب من صقلية فان نجاح مدنها الساحلية في الجنوب قد تراجع وظلت جنوة وبيزا متأثرتين وعادت البندقية فوجهت وجهتها الى آسيا الصغرى .

وكان من الحروب الصليبية انتهيأت لايطاليا اسباب الانتقام فان هذه الغارات وان كان باباوات رومية هم الذين أملتها عقولهم قد بذل فيها العنصر الايطالي بما عرف به من الحمية الممزوجة بقليل من التبجح من حسن السياسة اكثر مما بذل من الشجاعة . فانتصر الايطاليون في الحرب الصليبية على مرافقة جيوش اوربا الى آسيا وبينا كان ملوك الأمم الأخرى يقيمون ممالك صغرى في الارض المقدسة كان الايطاليون يقطفون ثمرات تلك الحملات . وقد ثبت هذا الدهاء السياسي الايطالي في الحملة الصليبية الرابعة فانه انتج لجنوة وبيزا ان ربحتا كثيراً واستأثرت البندقية بتجارة آسيا الصغرى وامتلاك اراض مخصبة على الشواطئ الشرقية من البحر المتوسط وجزء من الاستانة . ولما سقطت القسطنطينية في ايدي محمد الثاني سنة ١٤٥٣ حالت دون هذا السير النافع ومع هذا فان

(١) من مقالة للسيد انطوان كاباتون في مجلة العالم الاسلامي البارزية مقتبسة من كتاب غرائب الغرب .

البندقية بما أنه من عجائب المهارة وحسن المأتى بل بجهادها العلني قد احتكرت جميع تجارة اوربا مع الشرق .

وبهذا الاحتكاك المتصل تمت للبندقية على قوتها البحرية والتجارية معرفة الشعوب الاسلامية حق المعرفة اكثر من كل اوربا . وكان من العادة الجارية مع طبقة التجار من أبنائها ان يتكلموا بالتركية والعربية و يألفوا بعض العادات والمصطلحات الشرقية . ولكن جاءت قوة في القرون التالية اكثر من قوة البندقية على ما لها من الصلات التجارية مع العناصر الاسلامية فزادت عليها لانها روحية تطمع في امتلاك العالم ونعني بها « البابوية » .

فامتدت أحلام كنيسة رومية الى الخارج ومطلبها أعلى من الربح المادي ، وكانت في عهد غارات الجرمانيين تحلم بالقبض ذات يوم من قياد الوحدة فأحسنت صلاتها مع المسيحيين بل مع الوثنيين في الشرق ممن تطمع في تنصيرهم ، وأدركت كل الادارك الخطر الناشئ من امتداد كلمة الاسلام على اوربا المسيحية . ومع ان الحملات الصليبية قد أخفقت وقوة الايمان قد انثلمت في القائمين بها ، ما برحت كنيسة رومية الى أوائل القرن السابع عشر تطالب باعمال أخرى وفي هذا العهد كان الضعف أخذ من العثمانيين .

بيد ان رومية شعرت في الحملة الصليبية الثانية ان السيف وحده غير كاف في مثل هذا الجهاد، ورأت ان تعارض التعصب الاسلامي بطوائف متماسكين في اتحادهم من غيوري الاوربيين او الشرقيين لتقطع أوصال المسلمين قطعاً أدبياً بعدان اوقفتهم عن سيرهم المادي . ومافتئت رومية منذ القرن الثاني عشر والثالث عشر تحاول تنصير جميع الشعوب الآسياوية التي ظلت على وثنيتها فبعثت الى بلاد الموسكوب وفارس وارمينية والتاتار والتبت ومغوليا والصين والأرخبيل الهندي وفوداً من اهل الذكاء والحصافة ممن خلفوا لنا رحلاتهم ومذكراتهم اليومية ، وعهدت اليهم ان يسبروا غور ارجاء تلك البلاد لينصروهم او ليحالفوا واياهم على الاقل ضد المسلمين . وكان نصيب مصر والحبشة ايضاً البحث عن مثل هذا الشأن .

ولم تلبث الرهبنات العظمى ان أنشئت مثل الدومينيكانيين والفرنسيسكانيين واليسوعيين والكبوشيين والكرمليين واللعازريين ليكونوا جنداً مخلصاً في خدمة إمام الاحبار وتفتح تلك البلاد لدخول النصرانية اليها . فانبث جيش من الرهبان على

اختلاف مظاهرهم في قارتي آسيا وافريقية الشمالية لافتتاحها ونشر الانجيل فيها ثم نشر المدنية الغربية . تخبط القائمون بالأمر اولاً ولم يهتدوا لأحسن الطرق في العمل ، فانهال الفرنسيسكانيون والدومينيكانيون يفادون بأرواحهم ويصبرون على ضروب العذاب في سبيل دعوة الشعوب الاسلامية في افريقية الشمالية الى الدين المسيحي . وكانت الطرق التي عمدوا اليها ، على تحمس فيها ، ممزوجة بكثير من الجهل ، فشعروا في الحال ان الضرورة تقضي على من يريد دعوة احد الى دينه ان يتكلم بلغته على الأقل ليتفاهم الداعي والمدعو فنادى القوم من كل مكان بضرورة انشاء مدارس لتعليم اللغات كان رايموند لول داعيتها النشيط .

فقضى مجمع فينا سنة ١٣١١ الذي كان برئاسة اكلمنس الخامس ان تؤسس في باريز واكسفورد وبولون وسلمنكة دروس عربية وعبرانية وكلدانية ، من شأنها تخريج وعاظ واهل جدل أشداء لتنصير المسلمين واليهود . وانشأ الفرنسيسكانيون والدومينيكانيون في دياراتهم دروساً من هذا القبيل ليعدوا رهبانهم لنشر الانجيل . ومنذ ذاك العهد أصبحت ايطاليا مهد حركة تجحت في المشرقيات ، واخذوا بنوع خاص يدرسون العبرية للتعمق في فهم اسرار التوراة وتنصير اليهود ، واللغة العربية لتنصير المسلمين . وكان اساتذة العبرية يتخرجون باعلم العلماء الربانيين ، واساتذة العربية كانوا ممن رحلوا الى بلاد اللغة التي اخذوا يدرسونها ، ويصحبهم بصفة معيدين أناس من المسلمين او من السور بين الموارنة ممن كانوا يعلمونهم العربيه بالعمل . ورأى هؤلاء القسس بحكم الضرورة ان ينتقلوا من اللغة العامية الى اللغة الفصحى ليشتد ساعدهم في فهم المسائل الفلسفية ورد حجج المخالفين باسلوب فلسفي ادبي .

ومن اجل هذه الغاية اهتموا ايضاً بمصر والحبشة ، ومن مدارسهم نشأ العلماء الأول من الاقباط والحبش والاحمريين ، ولكن دراسة اللغة العربية بقيت الحاكة المحكة في شبه جزيرة ايطاليا ، فكان ينظر الى تعلمها انه من الحاجات الماسة لكل تجار المدن البحرية . فقد وضع احدهم سنة ١٢٦٥ اللغة العربية كتاب المعاهدة التجارية بين تونس وجمهورية بيزا ، وظلت العربية مألوفة في عدة اماكن من ايطاليا الجنوبية عقيب احتلال العرب صقلية . فكانت في بلاط ملوك نورمانديا وهوهانستوفين

وفر يدريك الثاني ودي منفروا لغة العلم العالي والشعر والادب . وما كانت العربية ، على مافيها من القصائد القيمة المقعدة والعواطف المؤثرة ، لتحمل امثال شارل دانجو على تحمسه لدينه ان يخاف عاديتها ، بل كان الاطباء والطبيعيون في قصره إما من الاسرائيليين او من المسلمين المتسامحين في عقائدهم . وكان الطب هو الجواز الذي سارت به الفلسفة العربية عندما قام جيرارد دي كرمونا الشهير في اوائل القرن الثالث عشر في ظل دولة فريدريك الثاني يترجم بعض كتابات ابن سينا الفيلسوف .

وفي القرن الثالث عشر ترجم المعلم مومي من اهل بلرمة من العربية الى اللاتينية كتاب ابقراط في امراض الخيل ، فتسربت فلسفة ابن رشد من امثال هذه الطرق ، ولم تلبث ان صادفت قبولاً بين ناشئة ايطاليا حتى شكا من ذلك جهاراً بترارك في القرن الخامس عشر ، اذ رأى في تلقف فلسفة ابن رشد دليل الالحاد والازدراء باليونانية واللاتينية وكثير من الادباء والعلماء من غير طبقة الرهبان ، كانوا يرون من موجبات الفخر في القرن التالي ان يعرفوا اللغة العربية سائرين على سنة بيك دي لاميراندول .

وعلى توفر بعضهم على نشر كتب في الجدل مع المسلمين ، حتى قبل ان يترجم القرآن باحدى اللغات الغربية ، فان عشاق العربية كانوا يرون من الحيطة ودواعي الغيرة ان يمرنوا انفسهم على ترجمة رسائل في الطب ينقلونها عن العربية ، اذ لم يكن احد يجهل مكانة العرب في هذا الفن . وبذلك يرون انهم ينجون من الاتهام بالزندقة وقد اصبح اندري اريفابن في البندقية حجة في هذا الباب ، وانشأ هؤلاء المترجمون يبالغون النظر فيما ينشرون فكان لهم أسلوب علمي حقيقي . ولما رأى اندري مونكاجون بللون في القرن الخامس عشر ان تراجم ابن سينا القديمة واطباء بلاط فريدريك الثاني ليس فيها عناية ذهب يحكم دراسة اللغة العربية في دمشق واتم تعليمه الشرقي بالرحلة الى مصر وسورية وفارس وآسيا الصغرى ، رحلة طويلة وذلك قبل ان يعود الى كلية بادو ليشرح لتلامذته فلسفة ابن سينا . وقصد جيرولامور انوزيو احد اطباء البندقية بلاد الشام ايضاً في سنة ١٤٨٣ ليتبحر في فهم فلسفة ابن سينا و يعلق شروحاً على ترجمته عليها .

وكان من سقوط القسطنطينية وهجرة علماء من اليونان الى ايطاليا وكثير من نصارى الشرق واختراع الطباعة وقيام الاصلاح ، انبعث في ارجاء ايطاليا حركة النهضة العلمية

التي تجلت في اجمل مظاهرها في الدروس الشرقية ولا سيما في دروس العربية والاسلام .

كانت الحركة في تعلم المشرقيات عامة وافرادية معاً ، انتشرت كثيراً بفضل الكردينال فريدر يك دي ميديسيس في فلورنسا والباباوات في رومية والكردينال بورومه في ميلان والكردينال باربار يكو في بادو ومن تقدمهم مثل باباغانيني الذي نشر في مدينة البندقية اول طبعة من القرآن باللغة العربية ، ولكن هذه الطبعة لم تلبث ان أبيدت بغيرة دينية خرقاء ، وكان من الاسقف اغوستينو جو يستنياني المشغوف بالدروس الشرقية ولاسيا العربية والعبرية ان قبل من فرنسيس الاول بتدريس اللغة العبرية ، بعد ان صرف ثروته في اقتناء مجموعات من المخطوطات المهمة في العبرية والعربية والكلدانية والرومية ، وكان تيز يوامبرو كيو قومس (كونت) البونز مستشرقاً مدققاً .

وهكذا كانت ايطاليا كلما أولع علماؤها باللغة العربية وتشربوا روحها تميل كل الميل الى الاقطار التي كان يتكلم فيها . وقد نشر اندريا ار يفابن من مأنتو اول طبعة ايطالية من القرآن ، بيد ان كل هذه الاعمال على جلالتها لا تعد شيئاً في جانب انشاء مطبعة أسرة ميديسيس المالكة ، والمطبعة الشرقية لبث الدعوة ، ومطبعة بادو وكليتها وكل ذلك بغية تنصير المسلمين والوثنيين . فقد طبعت مطبعة ميديسيس ١٨ الف نسخة من الانجيل باللغة العربية سمته (اربعة اناجيل يسوع المسيح سيدنا المقدسة) وارسلتها مع تجار لتباع بثمن بخس في البلاد العربية او التي تفهم بها العربية ، على صورة حازمة لا يظهر منها المقصد الذي يرمي اليه دعاة الدين .

وكانت النية معقودة قبل كل شيء على اعلان حرب صليبية جديدة روحية على الاسلام يدخل اليها بالوسائل العلمية ، وعُني الباباوات الادباء امثال ليون العاشر واكليمنتس السابع عناية خاصة بتأسيس خزائن كتب من المخطوطات تسلب من المسلمين الاعداء القدماء لتكون من ذلك مجموعات نفيسة في دار كتب الفاتيكان . وكان غريغوريوس الثالث عشر لا يرى احسن في النجاح من تنصير الناس و إبادتهم . وأنشأ يوليوس الثاني في مدينة فانو على بحر الادرياتيك اول مطبعة عربية احتفل ليون العاشر بافتتاحها سنة ١٥١٤ بنشرها اول كتاب طبع بحروف عربية وهو كتاب « صلاة السواعي » . وكان في رومية مطبعة تجربة شرقية انشأها سافاري دي بريف

الذي ظل سنين طويلة سفيراً لملك فرنسا في القسطنطينية وهو نفسه الذي حفر أمهات الحروف العربية التي نقلت عنها مطبعة الامة في باريز اشكالها . ونشر منذ سنة ١٦١٣ كتاب التعليم المسيحي .

وظل الكردينال فرديناندي ميديسيس متماً لذوق أسرته في حب المعارف الشرقية ، فابتاع مخطوطات شرقية باسم البابا ، وكان يدير بطريركيات انطاكية والاسكندرية ومملكة الحبشة ادارة روحية ، وانشأ على نفقته مطبعة ميديسيس وولى عليها ريموندي الذي ولد سنة ١٥٣٦ في نابولي وهي اكثر البلاد التي انتشرت العربية فيها . فكان باللغات الشرقية التي يتقنها ولاسيما العربية ، قدوة الداعين الى تعلم المشرقيات ، ونشر بالعربية كتاب نحو وكتب ابن سينا وغيرها ، فكانت مطبوعاته بحسن طبعها ووضعها موضوع الاعجاب العام ، وبعد ان قضى ريموندي نحبه لم تعد أسرة ميديسيس تفكر في اعلان الحرب الروحية على المسلمين بواسطة الكتب بل عمدت الى إحداث الاضطرابات العملية .

ولم تشأ رومية ان تكون في خدمة المعارف الشرقية بالمطابع والمكاتب والمدارس دون أسرة ميديسيس في بث هذه الدعوة ، لتنتشر بها الدعوة على الاسلام ، فقد صارت بفضل البابوات ميدان درس كل مايرقي عقول القسيسين الذين تنتدبهم رومية لفتح العالم فتحاً روحياً ، يتخرجون في المدارس ما أمكن بلسان البلاد وعاداتها ومعتقداتها التي يريدون بث دعوتهم فيها ، ودار الكتب تتم لهم هذه المعلومات ، فيعثرون فيها على ماسطره أسلافهم في رحلاتهم الى البلاد التي عُنوا بتنصير اهلها ، وما تلقفوه من معتقداتهم وعاداتهم ولهجاتهم وصناعاتهم ، ويقضى على كل قسيس ان يكتب بعد مقامه في القاصية كتابة او رسالة تخدم هذا الغرض . ومطبعة بث الدعوة تنشر كل ما يؤلف من هذا القبيل ، وتترجم الى لغات شرقية كثيرة الكتب المسيحية والردود على الاسلام . وكان للغة العربية الشأن الاول من بين هذه اللغات التي تطبع فيها المطبعة وهي عشرون لغة شرقية .

وما كان القصد من هذه العناية الا دينياً محضاً بادئ بدء ، ولم يكن العلم الشرقي الا واسطة تساعد على الجدل ، وكذلك اللغة العربية لم تكن الا سلاحاً يقاتل

به الاسلام ولذلك لم تر المدرسة الاكليركية الشرقية في بادو غضاضة عليها ، ان تشتغل بالعلم المجرد احياناً للاثر الذي يحدث عنه . وكانت المطبعة والمكاتب الشرقية من المتممات لتلك المدرسة لذهابها بفضل الشهرة وتأثيرها في الافكار .

وقد تخرج بالاستاذين ماراسي واغاييتو عدة من التلامذة باللغة العربية ، فصنفوا فيها وأفادوا ، وتعاقب اثنان من الكرادلة على ابرشية بادوكان كل منهما يتنافس في عصره في خدمة الدروس الشرقية . وهذا كان شأن ميلان فان فريدريك بورومة بث فيها روح العلوم الشرقية ، وبعث منذ سنة ١٦٠٩ الى الشرق يبتاع بالاثمان الباهظة كتباً ومخطوطات شرقية ، فأسس المكتبة الامبروزية الشهيرة ، ولم يكثر تلامذة المدرسة التي أسسها لهذا الغرض ، بل كانوا قلائل امتازوا بإخصائهم ، وكان ثمة اساتذة خاصة من مسيحيي الشرق او المسلمين الملحدين ، ولطالما عطف عليهم ونشطهم وتخرج في مدرسة امبرواز انطونيوجيجي باللغة العربية فكان لها مجداً اثيلاً .

عد القرنان السادس عشر والسابع عشر عصر ازدهار الدروس الشرقية ، ولاسيما اللغة العربية في ايطاليا . اما القرن الثامن عشر فكان عصر الانحطاط التام ، اذ قلت فيه حتى الغيرة الدينية والحماسة العقلية ، ولم ينشأ فيه سوى الكردينال ميزوفانتي الخارقة في اتقان اللغات المتنوعة ، فكان مفخراً للعلم الايطالي ، وقد تقاسم جمهور الشعب اقيال وملوك متوسطون صار معهم الى الشقاء والعبودية . اما الطبقة العالية فقد حرمت الاشتراك في ادارة شؤون بلادها ، ينهكها الاستبداد البليغ ، او اضطهاد النمسا الشديد ، فنسيت في لذائذها المادية حريتها وعلو منزلتها العقلية .

وفي سنة ١٦٩٠ احترقت مطبعة ميديسيس ثم أعيد انشاؤها ، وبعد ان تقلبت عليها الاحوال ونقلت الى باريز بامر الامبراطور نابليون أعيدت الى ايطاليا ، وفيها طبع اعاظم مستشرقي الطليان امثال اماري وسكيابارللي وجويدي كتبهم ، وما نشروه من آثار العرب . ولما فتح نابليون مصر واعلن للمسلمين بانه يراعي معتقداتهم وحقوقهم ، وانه لا أرب له الا قتال المماليك احلاف انكلترا ، رأى ان يستولي على قلوب المصريين فظهر لهم بمظهر الحياد وحسن الخدمة ، وبعث يجلب مطبعة لبث الدعوة الشرقية من ايطاليا فأتته الى مصر واخذ يطبع بها الكتب خدمة للسياسة والتجارة .

فأصيبت من ثم المطابع الشرقية في ايطاليا بضربات السياسة والحوادث ، وبقيت المدرسة الاكليركية وخزائن كتبها في بادو بمعزل ، وعلى ماعرف به المستشرق العالم بالعربية اسياني من سعة الفضل ، فانه لم يتيسر لبلاده ان يعيد الحياة للشرقيات بعد ان انطفأت جذوتها بالفتن والكوائن ، وانقرض بيت ميديسيس . ونشأ للعربية استاذ في القرن الثامن وهو القس فللادرس في كلية بلرمه ونشر بعض الكتب ، ولكن القرن التاسع عشر امتاز بآدابه كما امتاز بالحياة في ايطاليا التي هبت قوية حرة ، وراحت ترفرف على كل ما كان فيه مجدها ايام تاريخها المجيد ، فأزهرت فيه الدروس الشرقية ولاسيما الدروس العربية والعلوم الاسلامية . فكانت الولايات الجنوبية في ايطاليا تخرج ابطالاً في الشرقيات امثال المؤرخ والسيامي ميشل اماري الذي نشر احسن تاريخ للمسلمين في صقلية وكثيراً من الكتب التي تدل على فضل علم وتدقيق . كذلك يقال في دروس العربية في كليتي فلورنسا وبيزا . وعاصر اماري الاستاذ سكيابارلي مدرس العربية في فلورنسا ثم يوناز يا مدرس كلية نابولي واغناطيوس جو يدي الذي هو اليوم احد الزعماء المجلين من علماء المشرقيات من الطليان . وهكذا نشأ لايطاليا أجلة من المتبحرين في علوم الشرق ولغاته ، وامراء يفضلون على العلماء في طبع ما يلزم ونشره .

وكان امتياز ايطاليا قديماً في نشر المعارف في كل البلاد فأصبحت كذلك في عهد وحدتها تريد ان تجعل لكل اقليم حظاً من هذه الخدمة ، ولم تلبث صعوبة الحياة الحديثة والاطماع القديمة التي يظهر انها اليوم العامل في حياة الممالك الاوربية ان تحدو ايطاليا السياسية الى الانتفاع من هذه المعارف النظرية انتفاعاً عملياً .

واذ كانت مصر على قربها من ايطاليا وغناها وعراقتها في الاسلام مما يكون منه الخطر ، كانت هي اول غاية انصرفت اليها كهنة الطليان وتجارهم . وكانت ايطاليا منذ القرن السادس عشر مركزاً لتعلم الآداب القبطية ، وقد انشأت تعلم علم الآثار المصرية والقبطية في بيزا ، لتثبت بذلك انها لا تريد ان تكون غريبة عن علم كانت لها القدم الراسخة قديماً في الابداع فيه ، وكان للغة الحبشية المقام الاول في ايطاليا لانها رأتها اقرب الى بث الدعوة في نساطرة الحبش ، وان التجارة تمكن بدون ان يصطدم الايطالي مع الاسلام الذي لا يتساهل .

وفي اوائل القرن التاسع عشر أنشأت ايطاليا مجمعاً ومدرسة لتنصير الافريقيين وتعليم دعاة لهذا الغرض ، تأخذهم من ابناء تلك البلاد وتربيهم ليعودوا الى مساقط رؤوسهم يحيون فيها روح دينهم الجديدة ، ولكن هذا العمل في التنصير أخفق لما حال أمامه في كل مكان من بث دعوة الاسلام ونشر الدعوة البروتستانتية ، فاقتصرت ايطاليا من ثم على غرس نفوذها في تلك البلاد وإعداد الاسباب للمطامع الاستعمارية . ولما سحقت الحبشة لايطاليا في سنة ١٨١٥ جيشاً مؤلفاً من خمسة وسبعين الف ايطالي في ادوا ، اضمحلت آمال ايطاليا ، وقنعت بما ترك لها من المواني هناك ، وراح ابناؤها ينتشرون في تونس ومصر ، وعلماء المشرقيات المتضلعون من العربية من ابنائها يرفعون شأنها الماضي في الحضارة وتقاليدها القديمة في النصرانية .

واتفق ان احد رجال البيت الخديوي الامير احمد فؤاد باشا (جلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر اليوم) تعلم في المجمع العلمي العسكري في تورينو ، فكان منه بعد ذلك ان عقد انفع الصلات مع ايطاليا ، كما بدأ ذلك منه سنة ١٩٠٨ ، وقد عين رئيساً للجامعة المصرية لتعلم العلوم الحديثة للمصريين ونظم الجامعة بمشورة عالم فرنساوي مشهور المسيو مسبرو ، وكانت اكثر الدروس تلقى بالعربية فكان من الاساتذة جويدي وناللينو ومالو الايطاليون الذين درسوا الدروس التي عهدت اليهم بالعربية .

ومنذ ذاك العهد مالت الافكار في ايطاليا الى طرابلس الغرب ، لتكون لها اهراء حنطة ، كما كانت للرومان قديماً ، وذلك لانها بصرف المال وبذل الوقت والعناية بزراعتها ، سيكون منها مورد ربح عظيم ، وتجد فيها اليد العاملة من الطليان مجالاً واسعاً للاستعمار ، فرأت ايطاليا ان يكون الفتح الاستعماري مشفوعاً بالرفق والرحمة والتساهل في معاملة الشعوب الاسلامية ، وان يكون اساس الاستعمار في تلك الاقطار المصالح الاقتصادية ، وان تدار البلاد بايدي اعظم رجال الادارة ممن تعلم منهم وزارات المستعمرات الاوربية دروساً في الاستعمار .

واخذت ايطاليا بتنظيم كلية بادو التي كانت اتخذتها جمهورية البندقية منذ قرنين مدرسة لتخريج رجال سياستها وتراجمتها وسماسرتها ، تدرس فيها العربية والفارسية والتركية ولا سيما العربية ، وستعنى هذه المرة بالعربية اكثر ليكون من متخرجيها اعظم

الادار بين المستعمرين لليبيا ، وتضاف الى دروسها اللهجات البلقانية المنوعة ممن تجبر معهم البندقية وايطاليا · ولمدينة جنوة درس عربي طالما تناوب تدريسه أعاظم مستشرقيها ، وهي اليوم تطالب بان يكون لها امتياز بتخريج رجال الادارة والاستعمار بانشاء كلية بحرية استعمارية فيها ، وكذلك سيكون من كلية بولون اثرعظيم في تخريج رجال بالعربية ، كما لها منهم حظ ليس بقليل الآن · وفي رومية في مدرسة الدعوة الى الايمان درسان للعربية والسريانية ، وكذلك مدرسة القديس ابولينير فان درس العربية يدرسه فيها الاسقف بوغاريني وتفتخر كلية الحكومة اللادينية في روميه بان فيها درساً للغة العربية وآدابها بزعامة الاستاذ سكيابارللي والحبشية تحت نظارة جويدي · وفي جنوب شبه جزيرة ايطاليا المملوء بتذكارات اسلامية ، والقريب من حيث الوضع الجغرافي من بلاد المسلمين ، كلية بلرمه التي يدرس العربية فيها كل من الاستاذين نالينو وبوونازا واقتصرت نابولي على تعليم العربية بالعمل كما تعلمها بالنظر ايضاً ، وفي نابولي مجمع شرقي يعلم بالعمل اللغات الحية في آسيا وافريقيه ، وفيه تلامذة صينيون وهنود وبلغاريون وصربيون وفلاخيون والبانيون ويونان · وفي سنة ١٩٠١ أعيد تنظيم هذا المجمع على مثال مدرسة اللغات الشرقية في باريز ويمتاز بان دروسه مجانية ولا يمتحن الطلاب فيه ·

اللغة العربية

« في دولة الترك العثمانيين »

« تعليق على رسالة (التنبيه[1]) بقلم ناشرها »

لا يخفى ان علماء الترك في الدولة العثمانية قبل عصرها الاخير كانوا — كسائر علماء الدول التركية التي قامت في العصور الاسلامية الاولى — يدرسون اللغة العربية ٠ ويتكلمون بها ٠ ويضعون فيها المصنفات النفيسة في العلوم المختلفة ٠ بل ان منهم من ألف كتباً في متن اللغة العربية : كالفيروزابادي صاحب القاموس (المتوفى سنة ٨١٦ هـ) ومنهم من ألف في قواعدها ونحوها وصرفها وأشهرهم في ذلك الشيخ البركوي (المتوفى سنة ٩٨١ هـ) ٠ اما الذين ألفوا في الفنون المختلفة باللغة العربية فلا يحصون كثرة : منهم ابوالسعود والفناري والملا خسرو والجامي والخيالي وخوجه زاده وحاجي خليفه وطاشكبري وابن كمال باشا (صاحب رسالة التنبيه) وغيرهم ٠ ولم تضعف عناية علماء الترك باللغة العربية ويضيعوا ملكة التكلم بها والمقدرة على التصنيف فيها الا بعد ان زاحمتها اللغة التركية في العصر الاخير الذي قام على رأسه السلطان محمود الثاني وابنه السلطان عبدالمجيد الاول واضع (التنظيمات الخيرية) وكان من آثار ذلك تنشيط اللغة التركية وتقريب قواعدها وتسميتها (اللغة العثمانية) وبذلك تضاءلت اللغة العربية ٠ وأهمل التصنيف فيها ٠ حتى آل الامر في الأزمنة المتأخرة الى صعوبة وجود عالم تركي يحسن التكلم باللغة العربية ويجيد الإنشاء فيها ٠ اللهم الا اذا أقام عدة سنين في البلاد العربية ٠ ولم يكن الحال كذلك في القرون التي سبقت عهد السلطان محمود كما ذكرنا آنفاً : فان علماء الترك قبله كانوا يجيدون العربية تكلماً وكتابة مع انهم لم يزوروا البلاد العربية ولم يخالطوا أهلها ٠

ولم تقتصر العناية باللغة العربية على العلماء فقط بل كان ملوك العثمانيين انفسهم يتعلمون العربية وآدابها كما يتعلمون التركية وآدابها ٠ ومنهم من كان يمارس نظم الشعر

(١) لابن كمال باشا التي نشرت تباعاً في هذه المجلة (جزء ١ و ٢ و ٣ و ٤) ٠

فيها . وقد روي بخط السلطان سليم الأول بيتان من الشعر مكتوبان على مقياس النيل وهما :

(الملك لله من يظفر بنيل مُنى يَرْدُده قسراً ويضمن بعده الدَرَكا)
(لو كان لي او لغيري قدر أنملة فوق البسيطة كان الامر مشتركا)

فإذا كان هو ناظم البيتين كان على جانب عظيم من معرفة اللغة العربية وتذوق آدابها . وان لم يكن هو ناظمهما كما قيل كان حفظه لهما وتمثله بهما وكتابته لهما حيث وُجدا — آيةً على مشاركته في آداب العربية وحسن ذوقه في اختيار الجيد من شعر العرب .

أما السلطان احمد الاول فانه كان ينظم الشعر العربي الجيد ومما نسب اليه منه القصيدة التي مطلعها :

(ظبيٌ يصول ولا وصول اليه جَرَحَ الفؤاد بصارمي لحظيه)

الى ان يقول :

(يا شعر في بصري ولا في خدّه إني أغار من النسيم عليه)

ويُروى عن السلطان محمد الفاتح انه بينما كان قافلاً من بعض حروبه في (الروم ايلي) خطر له بيت من الشعر العربي فأحب الوقوف على معناه . فالتفت الى احد قضاة عسكره وهو المولى محيي الدين الشهير بابن مغنيسا فسأله عن البيت فقال :

— أتفكر فيه بالمنزل ثم أجيب . فقال السلطان :

— يُحتاج الى فكر في بيت واحد ؟ .

فسكت القاضي . وقال السلطان لبعض خدمه أحضر مولانا سراج الدين (موقّع الديوان العالي) فحضر فسأله عن ذلك البيت فأجاب على الفور : هو للشاعر الفلاني من قصيدته الفلانية من البحر الفلاني ثم قرأ سباق البيت وسياقه وحقق معناه . فالتفت السلطان اذ ذاك الى (ابن مغنيسا) وقال له : ينبغي ان يكون العالم هكذا في العلم والمعرفة والتتبع . ثم عزله عن قضاء العسكر . وأعاده الى التدريس في احدى (المدارس الثمان) وقال : انه ما زال في حاجة الى التدريس .

وكان المولى (سراج الدين) المذكور من مدرسي (المدارس الثمان) ماهراً

في حفظ قصائد العرب . وله اليد الطولى في نظم الشعر العربي . ومن ثم جعله السلطان محمد موقعاً بالديوان العالي لمهارته في إنشاء الرسائل .

ومن البارعين في اللغة العربية نظماً ونثراً المولى علاء الدين المشهور بحناوي زاده (المتوفى سنة ٩٧٩ هـ) تقلّب في الوظائف العلمية ومنها قضاء دمشق الشام الى ان بلغ رتبة قاضي عسكر اناطول . وله مصنفات في اللغة العربية والعلوم الاسلامية غاية في الإمتاع والفائدة : منها كتاب (الاسعاف في علم الاوقاف) وحاشية على كافية الجامي في النحو . وأخرى على (الدرر والغرر) . ولما كان في دمشق جرت بينه وبين البدر الغزّي مناظرة فوضع (حناوي زاده) على أثرها كتاباً في علم التفسير . وله شعر رقيق منه البيتان المشهوران :

(أرى في صدغك المعوجّ دالاً ولكن نُقّطت من مسك خالك)
(فأصبح داله بالنقط ذالاً وها أنا هالكٌ من أجل ذالك)

والمصنّفات باللغة العربية التي ألّفها علماء الترك ووصلت الينا كثيرة جداً يتكوّن من مجموعها مكتبة كبرى في مختلف الفنون . وهي دليل على ان اللغة العربية كانت لغة الخواص والمؤلفين في عصور الدولة العثمانية كاللغة اللاتينية عند الافرنج . وربما كانت (اي اللغة العربية) تشارك أختها اللغة التركية الرسمية في الدواوين والمصالح العامة . وقد يستدل على ذلك بما مرّ من حكاية السلطان محمد الفاتح مع المولى سراج الدين الذي كان بارعاً في الآداب العربية ولذلك عينه السلطان موقعاً في ديوانه العالي . وليس ذلك الاّ لإجادته اللغة العربية ومقدرته على إنشاء الرسائل . كذا قالوا في ترجمته . وسياق كلامهم يقتضي ان تكون هذه الرسائل التي كان ماهراً بانشائها رسائل عربية العبارة . ولقد أخبرني بعض أفاضل العرب ممن أقاموا طويلاً في باب المشيخة الاسلامية انه كان يطلع على صكوك ووثائق وبراآت باللغة العربية صادرة في زمن الملوك العثمانيين الأولين . فسألته وهل كنتَ ترى وثائق وصكوكاً أخرى باللغة التركية . قال بالطبع انا كنا نطلع على وثائق باللغتين . اذن كانت اللغة العربية تزاحم التركية في فروق أشدّ المزاحمة او بعضها .

وهل يتصوّر ان تُكتب صكوك في القضايا الشرعية التي تقع بين عامة الاتراك

ويتداولها ايديهم ثم لا يكونون يفهمون اللغة العربية ويتكلمون بها لكي يفهموا مضمون تلك الصكوك والوثائق ؟ .

هذا ما نريد ان نستدل عليه ايضاً من رسالة (التنبيه على غلط الجاهل والنبيه) لابن كمال باشا . وقد نشرناها في هذه المجلة فان مؤلف هذه الرسالة انما يصحح ألفاظاً كان يخطيء في النطق بها الشعب التركي الذي كان يسكن الروملي والاناطول في عهد سلاطين آل عثمان الاولين (اي في القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة) والاخير منها عصر المؤلف . ومن قرأ هذه الرسالة وتتبع الالفاظ العربية التي خطأ المؤلف الناطقين بها حكم انهم انما كانوا يتكلمون لغة غريبة تخللتها هذه الألفاظ كما يتكلمون لغتهم الخاصة أعني اللغة التركية . وان اللغتين كانتا تقريباً لغة التخاطب بين اهل ذلك العصر ولولا ذلك لما قام ابن كمال باشا ينقصى أغلاطهم واحدة واحدة ويجمعها في رسالة ثم يصححها بمقتضى قوانين اللغة العربية والقواعد الصرفية .

لا يقال : ان ابن كمال باشا انما صحح في رسالته الاغلاط العربية الناشية في كلام خواص الاتراك وعلمائهم لا عامتهم — لا يقال ذلك لان مؤلف الرسالة صرّح بانه يصحح في رسالته أغلاط عامة أهل زمانه كما يصحح أغلاط خاصتهم ولهذا سمى رسالته (التنبيه على غلط الجاهل والنبيه) وليس يعني بالجاهل الا العامي كما لا يخفى . وقال في مقدمة الرسالة ما نصه : (فحصل لي ما أربى على مئة لفظ من السقط . بعضها للخاصة وبعضها للعامة فقط) . وقال ايضاً في تضاعيف الرسالة ما لفظه : (وقد شاع هذا الغلط بين البنين حتى كاد لا يتحاشى عنه الخواص ايضاً لاعتياد الألسن الخ) .

ونقول ايضاً في دفع اعتراض آخر : انه من المستبعد ان يقوم (ابن كمال باشا) فيصحح أغلاطاً لغوية يخطيء بها أبناء العرب المقيمين في الاقطار العربية البعيدة عنه . فان ذلك فضول منه واشتغال بما لا يعني ولا يفيد . كما اذا قام مجمعنا العلمي بدمشق فنشر في مقالات (عثرات الأقلام) التي يصحح بها أغلاط الكتاب السوريين — كلمات تعثر بها أقلام التونسيين او المراكشيين مثلاً . ومن جملة ما صححه ابن كمال باشا في رسالته من الأغلاط كلمة (ابي أيوب) الانصاري قال : ان العوام يقولون (أيوب) مكان (ابو أيوب) زعماً منهم ان (ايوب) اسم له . وهذا بالطبع لا يخطيء

به سكان البلاد العربية وانما هو خاص باتراك الاستانة الذين يقولون الى اليوم (جامع السلطان أيوب) على عادتهم في اختصار الاعلام مذ يقولون: (سلطان مجيد · وسلطان حميد) مكان (عبد المجيد وعبد الحميد) ·

ونقول ايضاً في جواب اعتراض ثالث: ان ابن كمال باشا لم يتوطن في البلاد العربية حتى يصحح على اهلها اغلاطهم: فقد ذكروا في ترجمته انه اول ما استخدم في الجيش ثم انتقل الى السلك العلمي وجعل يحصل العلوم الاسلامية على أساتذتها · ولما تأهل للتدريس عُيّن في مدارس أدرنة واسكوب في الروملي ثم في إحدى (المدارس الثمان) في القسطنطينية ثم تولى قضاء ادرنة ثم قضاء عسكر اناطول ثم رجع الى التدريس في أدرنة ثم تولى الافتاء العام (اي مشيخة الاسلام) في القسطنطينية · ومات فيها سنة (٩٤٠ هـ) فلم يذكروا انه أقام في بلاد عربية إقامة يصح له فيها ان يتصدى لتصحيح أغلاط اهلها ·

ومن المستبعد ايضاً (وهو جواب اعتراض رابع) ان يكون ابن كمال باشا انما صحح كلمات عربية اقتبسها الاتراك واستعملوها في لغتهم التركية التي كانت ولا تزال مشوبة بكلمات عربية فكانوا ينطقون بها مغلوطة فصححها عليهم · وهذا الاعتراض أعرق في الوهم من غيره: لان الكلمات اذا انتقلت من لغة الى لغة أصبحت ملكاً للذين انتقلت الى لغتهم: فهم ينطقون بها بحسب قوالب لسانهم · وما تقتضيه لهجاتهم وأساليبهم: فكلمة (عِشْق) مثلاً هي في اللغة العربية مكسورة العين و ينطقها الاتراك اليوم مفتوحة العين (عَشق) فمن الفضول ان نتصدّى الى تقدم فنقول لهم انكم تلفظونها غلطاً فالواجب عليكم ان تكسروا عينها لان صوابها في اللغة العربية كذلك وان العرب هكذا ينطقونها · وهذا كما اذا عمد احد علماء الفرس الى الكلمات الفارسية الدخيلة في لغتنا العربية وقد حرّفناها وتلاءمنا بها حتى وافقت ألسنتنا وقوالب لغتنا — فجمعها في كتاب وردّها الى اصولها الاعجمية وكلفنا معشر العرب ان ننطق بها كما ينطقها الفرس: فنقول للجاموس (كاوموش) و للفيل (پيل) وللفلفل (پلپل) وللفنجان (پنكان) وللكعك (كاك) وللسرج (سرك) وللسكر (شكر) وللخورنق (خورنكاه) وللخشاف (خوش آب) وللبابوج (باي بوش) ولكلمة ضنك بمعنى ضيق (تنك) وهكذا:

فكما انه لا يجوز للعالم الفارسي ان يلومنا على نطقنا بهذه الكلمات كما ننطق بها اليوم ولا يعدّه علينا غلطاً — كذلك لا يعقل ان يقوم ابن كمال باشا فيخطّئ أبناء لغته الاتراك في كلمات عربية أفرغوها في قوالب لغتهم التركية ليتسنى لهم ان ينطقوا بها بسهولة .

فالذي نراه ان (ابن كمال باشا) انما يخطّئ في رسالته أتراكاً من أهل زمانه يتكلمون العربية كما يتكلمون لغتهم التركية . وكيف يُتصوّر ان لا يكون متكلماً بالعربية من ينطق بمثل هذه الكلمات :

(إناث) (برنة) (بزاق) (ابن) (ثقل) (تذبّب) (مستحكم) (حانث) (خجل) (خشن) (نُزُل) (دأب) (أدوية) (النكات) (القوابل) (مرضع) (سكّر) (تسلّي) (لُكْنة) في نظير ذلك وكله مما له في لغة الترك مرادف شائع بينهم . لا سيما ان منها ما هو واقع في تراكيب عربية محضة كالتركيب الاضافي والتركيب الوصفي فيقولون (سلسُ البول) (حباب الماء) (عِرق النسا) (نقيب الأشراف) (الحقّ السابق) (الاشتهار الكاذب) (الإنعام العالي) بل نقل المؤلف في رسالته عن عوامّ زمانه انهم يتكلمون جملاً عربية مركبة تركيباً اسنادياً فيقولون :

(أذعنتُ) (الأمر مبني على كذا) (فلان مرتبط بكذا) (هو قابل) (هؤلاء قوابل) (فلان توأمان فلان) (فلان مزيد للبلغم) (ضربُ اليتيم مظلمة) (فلان به نزلة) (فلان من منسوبات فلان) (هو من قبيل سبقة اللسان) (لا يبعد من ألطاف مولانا وأعطافه) وغير ذلك من الجمل والتراكيب العربية المحضة مما لا يمكن ان تقع الا في كلام قوم يتخاطبون باللغة العربية وان المؤلف كان يسمع ذلك منهم فخطّأهم فيه وصحّحه عليهم .

فتحصّل معنا أن التكلم باللغة العربية في عصور الدولة العثمانية الاولى لم يكن مقصوراً على خواصّ الترك كما كنا نظن من قبل بل قد يكون عاماً فيهم عمومه بين خاصتهم . وبالطبع لم تكن اللغة العربية وحدها هي التي يتكلمون بها بل كانت اللغة التركية ايضاً تشغل الجانب الاعظم من حديثهم . والقسم المهم من كلامهم . لكننا لا ندري ماهي وظيفة كل من اللغتين في ذلك المحيط الاجتماعي . وفي أية دائرة او مصلحة كانت تُستعمل هذه اللغة او تستعمل تلك ؟ وكل ما امكننا إثباته هنا ان

لغتنا العربية كانت مما يتخاطب به خواص الأتراك وعوامهم في عصر ابن كمال باشا . وقد انتبهنا الى هذا من رسالته (التنبيه) التي صححناها ونشرناها . ثم رأينا ان نزيدها خدمةً وإيضاحاً بهذا التعليق .

المغربي

الفاظ عربية لمعان زراعية

— ٢ —

للعنب بعد ان يحصرم وقبل ان يينع حالة يلين فيها بعض اللين و يزداد فيه السكر وتقل الحوامض وتصفو القشرة في الحب الابيض وتأخذ تلوّن في الاسود . فكرّامو بلادنا يقولون صار العنب « زرّوقة » و يسمي الفرنسيون هذه الحالة (Véraison) والعرب تقول ارقّ العنب وألمص اذا صار « زرّونة » وكذا أوشم للعنب الذي يلوّن .

واذا قطفت اغصان الشجر لاسيما الكرم سال منها نسغها وهو ما يسمى بالفرنسية (Pleurs) اي الدموع وهو بالعربية الدمّاع . والتوحيم ان ينطف الماء من العود النامي اذا كسر . واكثر مايكون سيلان الدمّاع في الربيع بعد ان تدب الحياة في النبات على اثر نوم الشتاء . و بينما اكتب هذا المقال في اواسط آذار اراه يهوي نقطة اثر نقطة من قضبان الجفنة في حديقة البيت لانني قضبتها منذ بضعة ايام .

و بعض الاشجار اذا لم تقضّب لاسيما اذا كانت مغروسة في ارض غنية بالعناصر النيتروجينية تنفتح براعمها وتنكشف عن افنان ريّا واوراق غضة لكن الثمر يظل قليلاً . و يحدث ذلك ايضاً في الزرع في الارض نفسها . ففي هذه الحال يقال للشجرة قد أعصت اي اخرجت عيدانها ولم تثمر كما جاء في الامهات وهو بالفرنسية (Partir en bois) ولدى فلاحي بلادنا (هافت الشجرة وهاف الزرع) .

ومن المعلوم ان البرّة اذا ما انتشت ينفطر التراب عن ساق واحدة بادئ بدء لكن التربة اذا كانت غنية وكانت السنة مطاراً يتولد على تلك الساق في الربيع اصول جديدة وسوق عدة تنتهي كل منها بسنبلة . فاذا توالد الزرع على هذا الشكل

فقد فرّخ وأفرخ وأشطأ و بالفرنسية (Taller) والفرخ يسمى (Talle) وهو ايضاً الشطء والوالِبة (من ولَبَ الزرعُ نبتت له فراخ في اصوله) ٠

وعصفت الزرعَ مثل شرنقته (انظر المقال الأول) اي صرمته مخافة الضَّجَعان او النَّحَل (Verse) وهو استلقاؤه من فرط العناصر الغذائية في التراب ٠

واذا صُرم الزرع فكل قبضة من الزرع المحصود تسمى الغَبْط (ج غبوط) والكُدْرة (ج الكُدَر) وهي بالفرنسية (Javelle) ٠ واذا رُفعت الغبوط وكُدّست بعضها فوق بعض فكل واحدة منهسا هي العامّة و بالفرنسية (Gerbe) ما لم تكن كبيرة فهي اذن الكُدْاسة والكُدس (Moyette) اما الكُدوس العظام فهي العَرَم و بالفرنسية (Meule) والفعل عرّمَ ٠ واكثر ما تستعمل الأكداس للحب بعد دوسه او دقه ٠

وقلت في المقال السابق ان الشَّوف آلة تسوى بها الارض المحروثة وقلت انني لم ار اصلح من هذه الكلمة للدلالة على آلات زراعية يسميها الفرنسيون (Rouleaux) تستعمل للغرض نفسه ٠ وقد عثرتُ اخيراً على الفاظ ترجع على الشوف في ترجمة الأدوات الزراعية المذكورة وهي الملاّسات والمِمْلاسات فقد جاء في الأساس ان الملاّسة خشبة تُملّس بها الارض ٠ وكذا المالَق فعبارة اللسان « هي الخشبة العريضة التي تشد بالحبال الى الثورين فيقوم عليها الرجل و يجرها الثوران » ٠ وعبارة القاموس « ما يُملّس به الحارث الارض المثارة » ٠

ونشر العلاّمة (محقق) في الصفحة ٥٠٧ وما يليها من المجلد الخامس مقالة ممتعة في (الدؤنون) فقال ان من جملة معانيه الدلالة على النبات المسمى (Phelipœa lutea) فالاستاذ قد اصاب بذلك وان كان لم يذكر لنا انه رأى هذا النبات نفسه وعرف اسمه باللاتينية على اثر درس نباتي ٠ قلت ان الاستاذ اصاب لان العلامة النباتي الدكتور بوست ذكر لهذا النبات في الصفحة ٦٠٣ من كتابه بالانكليزية (نبات سورية وفلسطين و بواديها) بضعة اسماء عربية فصيحة او عامية منها الهالوك (Halûq) والدؤنون (Danûn) والطرثوث (Teraṭhith) ٠ وطريقة الدكتور بوست وامثاله في جمع النبات التقاط النبتة ثم تعيين فصيلتها وجنسها ونوعها حتى اذا ظهر اسمها

اللاتيني مثل الاشخاص الذين يقطنون المكان الذي وجدت فيه عن اسمها لديهم ·
ولهذا لم يبق لديّ شك في صحة تسمية النبات المذكور بالدؤنون بعد تحقيق العلامة (محقق) البليغ من الوجهة اللغوية · ولقد ذكرتُ هذا النبات دون غيره مما يصح اطلاق اسم الدؤنون عليه لانني أحويه في مجموعة النبات التي لدي مع بضعة نباتات من فصيلته لاسيما من جنس (Orobanche) وكلها طفيلية تضر بالشجر وبكثير من الزروع ولا يجهلها فلاحو بلادنا · وكنت أسميها باسمائها العامية (جعفير وهالوك في الشام وحاءول في مصر) حتى هداني الاستاذ في مقاله الى لفظ فصيح ·

واذا اكثر الزراع من البذار في الارض ظهر الزرع ملتفاً متكادساً فيسمى « الزرع المتآصر » وبالعامية الزرع « العبي » و بالفرنسية (Dru) ·

ويعلم الاكارون الذين لديهم ارض منخفضة ان المطر اذا ثرّاها ودام اياماً يصفر زرعها وسببه اختناق اصول الزرع لفقد الاوكسجين من غزارة الماء · ويقول فلاحو الشام عند حصول هذا الداء ان الزرع قد غرق ويسميه الفرنسيون (Asphyxie des racines) اي اختناق جذور الزرع اوعروقه اواصوله · وهو بالعربية الرّصَع والبَثَق فقد جاء في المخصص لابن سيده ان « الرصع هو ان يكثر على الزرع الماء وهو صغير فيصفر ولا يُجذّر ولا يفترش ويصفرحبه » وجاء « البثق داء يصيب الزرع عن كثرة ماء السماء » فترى ان اللفظين يصلحان للدلالة على اختناق جذور الزروع ·

واصطُلح على تسمية صغار الشجر بالانجم مفردها نجم و بالفرنسية (Arbuste) على حين ان النجم في كتب اللغة ما طلع من النبات على غير ساق خلاف الشجر · اما صغار الشجر فلا بد ان يكون لها ساق غليظة فيما نعرفه منها في بلادنا ولهذا لعل لفظ العَرْمَض (واحدتها عرمضة) يصلح للدلالة عليها لان من معانيه كل شجر لا يعظم ابداً ·

مصطفى الشهابي

آراء وافكار

« تعليق واستيضاح »

أشار عضو مجمعنا الفاضل الشيخ عبد القادر المغربي في العدد الثاني عشر المجلد الخامس من مجلة المجمع العلمي الى كتاب (الموجز في الاجتماع) وختم عبارته بقوله : « لكننا لا نكتم المؤلف امراً لاحظناه نحن عليه ولاحظه فاضل من فضلاء دمشق أحب التنبيه اليه ذلك ان المباحث الدينية التي لها علاقة بموضوع الاجتماع كان المؤلف يفرغها في قوالب (كذا) لا تلتحم مع اخلاق اهل البلاد الذين يكتب لهم كتابه ولو راعى ذلك فيه لكان الإعجاب فيه اكبر والإقبال عليه اوفر » .

لو ان الشيخ أورد ملاحظته مورد الرأي الخاص او في غير مجلة المجمع العلمي — ولها فيها من المعنى ما لا يكون في غيرها — لما كان لنا معه مقال . فلكل ذي رأي اجتهاده ، ولكل مجتهد نصيب . واصحاب الرأي يختلفون في امور تكاد تكون مجمعاً عليها فما بالك في موضوعات اجتماعية . وعلم الاجتماع « لا يزال في جملته مذهباً اجتهادياً » وهو ما قلناه في مقدمة الكتاب .

ولكن الشيخ الفاضل ارسل رأيه جازماً ، وانزله منزل الحكم القاطع . وكأنه أراد ان يجعل له شيئاً من معنى الاجماع ، فعززه برأي فاضل آخر قال انه رأى رأيه فأصبح الامر بيننا وبينه ، او بين ما أردناه وبين ما وقعنا فيه ، مختلفاً جداً . فلقد أردنا من وضع هذا الكتاب فائدة من يطلع عليه من اخواننا ابناء البلاد ، وهو ما نحن من اشد الناس حرصاً عليه ، فاذا بنا نأتيهم على زعم الشيخ بما لا يلتحم مع اخلاقهم ....

والذي انكرناه فساقنا الى التعليق والاستيضاح ، ان هذا التنبيه — وقد جعله صاحبه حكماً — أرسله مجمجاً لابيان له ، ولا تعليل فيه ، خلافاً لكل حكم حتى ما كان (عرفياً) . فهو لم يذكر لنا شيئاً من تلك القوالب التي أفرغناها بما لا يلتحم مع اخلاق اهل البلاد . وهذا ما كان يجب إن يشار اليه في مثل هذا الموضع . وعليه الجمهور من نقدة الكتب في مجلتنا هذه . ولو فعل لكنا بين ان نذعن لرأيه فنشكر له هديه ، او ان لا نرى

رأيه فنترك لاصحاب الفكر النيّر من القراء حكمهم وهم خير الحاكمين . فكما يكون الكاتب عرضة للأوهام ، فقد يكون الناقد مظنةً للاتهام .

ولا نكتم المنتقد استغرابنا كما هو لم يكتمنا ملاحظته — كيف انه سكت عن المباحث — وتعرض لقوالبها . فهل المباحث ملتحمة مع اخلاق اهل البلاد ، والقوالب غير ملتحمة ؟ . على انه اذا كان من شيء يجوز ان يقال عنه مثلاً انه لا يلتحم مع الاخلاق فانما يقال ذلك عن المباحث لا عن القوالب . فالقوالب على مانفهم ان هي الا الاسلوب او الطريقة او الكيفية او الصيغة ، او ماشئت من مثل ذلك ، مما يفرغ المرء كلامه فيه . وهذا عرض لا يتناول الجوهر ولا يؤثر في الاخلاق . ولكنه قد يخالف المألوف او العادة أو ما اشبههما . وشتان ما هما والاخلاق .

ثم اذا صح اننا أفرغنا مباحثنا في قوالب لا تتفق مع المألوف والعادة ، وهما ما سماهما حضرته اخلاقاً ، فهل من نكير علينا متى كان كلامنا لا يتعارض وعقيدة من العقائد ، ولا يمس ديناً من الاديان في جوهره ؟ قلنا لو ان الشيخ بيّن لنا ما اخذه علينا لجعل لنا سبيلاً نعرف منه اذا كنا جئنا بما فيه ضرر على هذه الهيئة الاجتماعية التي انما يراد من علم الاجتماع مصلحتها وارتقاؤها . فمتى كان ذلك فقد اصاب واخطأنا . والاّ فالتقيد في القوالب ، في يوم مثل يومنا ، خرجت فيه الامم عما كان يعد من جواهر الامور لا من أعراضها ليس مما يجوز انتقاده ، ولا سيما متى كان المنتقد رجلاً كالشيخ المغربي لا يزال ينادي على نفسه انه من طلاب التجدد والاصلاح . وهل يتم مع مثل هذا التقيد تجدد او اصلاح ؟ .

ولا بد لنا في هذا المقام من القول اننا اذا تعرضنا في كتابنا للدين ، فقد كان ذلك من الوجهة الاجتماعية ، لا من حيث هو عقائد . ومع أن كتابنا لم يكن كتاباً دينياً فنحن على مثل اليقين بل على اليقين كل اليقين ان ليس فيما كتبناه ما يمس ديناً من الاديان . ولكن الامر على العكس . فلقد نوهنا بما كان للدين من الفضل ، وأشدنا بما كان له من الاثر المفيد في الحياة الاجتماعية . كما اننا اتينا بذكر بعض الأضرار التي تنبعث عن فهم الدين على غير حقيقته ، واخراجه عن غرضه وطبيعته . واستشهدنا في جملة ما استشهدنا به على ذلك ، بكلام اثنين من كبار الائمة وفلاسفة الامة ، هما الغزالي وابن عقيل .

اما اذا كان الشيخ حفظه الله توهم ان للدين في القلوب تأثيراً لا يزال يجري على غير وجهه المشروع — يوم كانت العامة اذا قيل لها « ياغيرة الدين » تركت عقولها ومضت تعدو وراء عواطفها — نخشى علينا ان يُفهم كلامنا على غير معناه، فتأتينا من هذا الباب صيحة نحن في غنىً عنها — اذا كان ذلك فنحن نطمئن قلبه ونقول له : ان التطورات الفكرية والانقلابات الاجتماعية قد كشفت عن العيون غشاوتها . فطويت صفحة ذلك الزمن . واصبح الناس الأفاهم لا يسيرون الا عن تثبت وتحقق . اما ذلك القليل ممن لا يزال يؤخذ بالنعرة الجوفاء ، فليسوا ممن يساق اليهم الكلام والسلام .

عارف النكدي

من هو مؤلف المذكرات التاريخية ؟

« هو عبد الله نوفل الطرابلسي »

عثرت على كتب كثيرة لم يذكر مؤلفوها اسماءهم فيها إما لاغراض سياسية منعتهم فأحجموا إحجام المتحذر الخائف من طائلة القصاص ولا سيما اذا كانوا قد تعرضوا لذكر مظالم الولاة ووصف سوء ادارتهم خاصة في الامور الاخيرة . وإما لانهم ارادوا التكتم لاسباب أخرى . واما ان بعض النساخ او الحاسدين أرادوا إخفاء اسمائهم غمطاً لعملهم او انتحالاً لكتبهم الى غير ذلك من الاغراض المتلونة التي نزلت بكثير من المؤلفات فأفقدتها اسماء واضعيها وأصبحت غفلاً منهم يتكهن المطالعون في اظهار مصنفيها .

ولقد بحثت مراراً في كثير منها حتى أعدتها الى نصابها ورجعت اسماء مؤلفيها باستقراآت واستنتاجات مهمة ذكرتها بمقالة في مجلة الكلية الغراء (منذ سنتين) ونشرت الآن (المذكرات التاريخية) في حوادث دمشق في اوائل القرن الماضي وما حدث فيها من الفتوق والمحن والحروب والنكبات : ولا سيا حوادث الدولة المصرية من سنة ١٨٣١ — ١٨٤٠ م .

ولقد جرت مناظرة أدبية بيني وبين ناشر هذه المذكرات الصديق الباحث الخوري قسطنطين الباشا بشأن مؤلفها الذي وقفت على ترجمته المطولة واخبار أسرته المهمة التي

نشأ منهـا مؤلفون وكتاب في الحكومات المصرية والسورية وأدباء عرفوا في خدمة النهضة العربية . وكنت أبحث عن تاريخه الذي عرفت انه الفه وذلك لما كنت مدرساً في مدرسة كفتين بقرب مسقط رأسه طرابلس الشام المعروفة بادبائها من الطائفتين الاسلامية والمسيحية ، وهذه حكاية مؤلف الكتاب التي اتفق لي ان عرفتها وبقيت متابعاً اياها الى ان ظهر الكتاب فجاءت الادلة على صحتها من الكتاب نفسه مزكية ما ظننته والى قراء المجلة الكرام ابسط كلتي :

كان في دمشق في اوائل القرن الماضي وما قبله أسرة اسرائيلية اندلسية الاصل جاءت الاناضول على اثر حوادث التفتيش سنة ١٤٩٢ م وانتقل قسم منها الى دمشق يعرف (بآل فارحي) وكان كثير منهم كتاب الحكومات في عكا والشام وخزان الاموال وبعضهم في الاستانة يرفدون اخوانهم هنا بمعاضدتهم فارتفع شأنهم ونبغ منهم اخوان هما حاييم بن شحاده فارحي وروفائيل ، فحاييم كان مديراً لخزينة احمد باشا الجزار وخلفه سليمان باشا واشتهر بدهائه وحصافة عقله وذكائه حتى مدحه شعراء عصره مثل نقولا الترك وبطرس كرامه وغيرهما ومات بلا عقب وشقيقه روفائيل كان صرافاً لخزينة دمشق واتصل بالحكومة المصرية في الشام ولم يكن بأقل نفوذاً من اخيه ، ومن اولاده داود الذي خدم الحكومة وانتقل بعضهم الى مصر .

وكان لهم ابن عم اسمه حزقيال كان في دوائر المالية بالاستانة يدافع عنهم ويقوي نفوذهم وابن عم آخر اسمه سلمون فكانت شؤون الحكومة المالية ودواوينها بيدهم مدة طويلة وكان بنو البحري من حمص كتاباً في دواوين دمشق فتحامل عليهم آل الفارحي وزاحموهم بوظيفتهم فكانوا يتراوحون بين التنصيب والعزل وكان بنو صروف المسيحيون الحمويو الاصل الدمشقيو المولد والوطن كتاباً للحكومة في دمشق ولاسيما جرجس وولداه مخائيل ويوسف . وكان آل فارحي يبغضون الكتاب المسلمين والمسيحيين الذين يتقربون من الحكومة ويشون بهم للولاة لابعادهم واحتكار دواوينها لهم . ولقد ذكر بعض المؤرخين استفحال العداوة بين بعض آل البحري كتاب حكومة دمشق وآل فارحي مزاحميهم ولا سيما ابراهيم العورا في تاريخ سليمان باشا المخطوط في خزانتي وما كان بين

المعلمين عبود البجري الحمصي واخيه جرمانوس وحابيم شحـاده فارحي الدمشقي واخيه من قصة طويلة ·

وفي سنة ١٨٢١ مسيحية كان ابو سليم عبد الله بن جرجس نوفل الطرابلسي (عم نوفل نوفل المؤلف المشهور) كاتباً في دواوين دمشق وبقي الى سنة ١٨٤١ حين خروج الدولة المصرية في سورية · وهذا الرجل هو رابع اخوته ممن اشتهروا بالكتابة للحكومة في عكا وطرابلس ودمشق في ذلك العهد ·

وآل نوفل أسرة عربية حورانية قديمة عرفت باسم النحو والترجمان واشتهرت باسم احد ابنائها المسمى نوفل المتطبب وقد ورد ذكره في مخطوطات كثيرة في القرن السابع عشر للميلاد ورأيت خط حفيده موسى الجميل في كتب كثيرة اخذت مثالاً منه بالتصوير الشمسي فكانت الكتابة موروثة فيهم والانشاء طبيعياً وخدمة الحكومة مهنتهم زمناً مديداً ·

وابو سليم هذا هو الذي اشتهر ابنه سليم دي نوفل في بطرسبرج بمؤلفاته ومقامه السامي بين علمائها وتدريسه العربية في كلياتها ·

كان ابو سليم يكتب باللغة البسيطة لانه اصغر اخوته فلم يتسنَّ له (وقد فجع بقتل اثنين منهم بوشاية بعض خصومهم) ان يتقن الانشاء مثلهم وهما اكبرهم نصرالله وثانيه نعمة الله والد نوفل المؤلف المشهور · فنشأ أسلوب كتابته عامياً ·

وكانت مناظرة في طرابلس الشام بين آل الغريب الأسرة المعروفة فيها من المسيحيين وبين آل نوفل للتزاحم على الكتابة في الدواوين وكان مصطفى اغا بربر حاكمها قد قرب آل الغريب وأبعد آل نوفل ·

فذهب ابو سليم عبد الله (مؤلف المذكرات) الى دمشق وتديرها وكتب لحكامها وتربت أسرته فيها وتزوج منها بعد موت زوجته الثانية ورزق اولاداً تربوا في دمشق وهجروا موطن ابيهم طرابلس لاسباب سياسية ·

وكان عبدالله حصيف العقل ذكياً حسن الادارة والسياسة فنال منزلة لدى حكام دمشق في المدة المشار اليها ولم يستطع بنو فارحي ان يقووا عليه لكنهم عزلوه مرة فعاد بعد قليل الى منصبه وزاحمه يوسف عيروط من طائفة الروم الكاثوليك وكبير كتاب محمد

علي باشا في مصر ولم يثبت في دمشق اكثر من اسبوع وعاد القلم الى نوفل بمعاضدة يوسف زرديل اليهودي صديق أسرته في مصر ٠ وعدو آل فارحي ٠

فكان نوفل هذا بين خصوم يجب ان يتحذر منهم فكتب حوادث دمشق بكل تحفظ في هذه (المذكرات) المنشورة حديثاً وحيثما ورد اسمه فيهما ذكر نفسه باسم المعلم احياناً وترك بياضاً أمامه ليكتب متى زالت الموانع (انه مؤلف الكتاب) و يشرح بعض الشؤون ٠ ولقب نفسه بالمعلم على عادة عصره ليخفي نفسه و يتنصل وكذلك نجده ذكر اسم ابن اخيه نوفل نعمة الله نوفل وولده (سليماً) المار اسمه قريباً وعين عمره وهذا الابهم غيره كابهمه لانه ابنه (راجع الصفحات الـ١٤٨ و١٩٨ و ٢٤١ و٢٤٤ و٢٤٦) ثم ذكر في الصفحة الـ٢٣٦ الكاتب الثاني تحت يده وهو موسى صدقه من وطنه طرابلس كان قد رباه وخطب له ابنته فتوفيت قبل تزويجها فخطب له ابنة ابراهيم الطنوس احد كتبة الحكومة الدمشقية في ذلك العهد من مشايخ مقعبرة في حصن الاكراد ٠ والكتاب هو بلغة العامة و يظن حضرة ناشره انه بلهجة دمشقية لا طرابلسية مع ان الصديق المؤرخ جرجي افندي يني كتب الي انه رأى نحو تسعين كلمة فيه مما يستعمله الطرابلسيون اليوم وليس بعجيب ان يكون المؤلف كاتباً بلهجة دمشقية وهو قد بقي في تلك المدينة نحو ربع قرن او اكثر يشافه سكانها و يخدم حكومتها و يربي أسرته ٠ وزوجته دمشقية ايضاً فضلاً عن ان اللهجات العامية لا يظهر اختلافها بالكتابة دائماً بل باللفظ ٠

وبعد البحث لم أجد غيره كتب مذكرات عن هذه الشؤون لان زوجة ابن اخيه نوفل وهي انجلينا الغريب اخبرتني منذ بضع وثلاثين سنة ان لم زوجها هذا كتاباً في الحروب المصرية في سورية وكذلك نسيبه المرحوم نقولا بك نوفل اخبرني ذلك وعرفت ان الكتاب أحرقته خادمة ابن المؤلف المرحوم حبيب على اثر وفاته سنة ١٨٩٣ م و بالطبع أحرقت المسودة وبقيت المبيضة منسوخة بقلم بعض كتاب ديوانه ولعله موسى صدقه او من بني صروف الذين كتب له منهم جرجس ومخائيل صروف وقد جرى مثل هذا لزين الدين عمر بن سهلان الساوي مؤلف كتاب (البصائر النصيريه) في المنطق فانه أحرقت مسودته بعد وفاته حداداً عليه كما يذكر المؤرخون ٠ ولكنني كنت في صباي اصلح تجاربه (بروفاته) ليطبع بالمطبعة العثمانية في بعبدا (لبنان) ولم يكمل من طبعه

اكثر من ثلثه ولكن نشره بحواش وضبط العلامة الشيخ محمد عبده المصري في مصر · فبقيت مبيضته التي طبع عنها الكتاب ولو أحرقت مسودته ·

ومؤلف (المذكرات) ولد في طرابلس الشام سنة ١٧٩٧ م وتوفي في خدمة داود باشا اول متصرف في لبنان سنة ١٨٦٦ م ·

اما المذكرات فهي مفيدة في تفصيل الحوادث وقد خدمها بعض الخدمة حضرة ناشرها بحواش قليلة وكان من الصواب ان يضع بعض تفاسير المشكلات بحواش ليبقى المتن الاصلي متميزاً وهناك اشياء كثيرة تحتاج الى شرح وتفسير لانها بلغة صارت اليوم بعيدة عنا · ولعله يستدرك ذلك في طبعة ثانية ويخدم الكتاب خدمة كاملة ·

ولم تخل المذكرات من أغلاط مطبعية وكلمات مصحفة او محرفة سيستدركها الناشر ايضاً وهو جدير بجزيل الشكر على نشر هذا الاثر النفيس وما فيه من تفصيل ما جرى في ذلك العهد · والله ولي التوفيق · زحلة : عضو المجمع العلمي

عيسى اسكندر المعلوف

قرأت في الجزء الاول من هذه السنة مقالة (تصحيح نهاية الارب) للاستاذ المغربي فوجدته متردداً في صحة البيت الذي أورده في الصفحة (٣٣) وهو :

نصبت له في الارض بيت حديقة تمد لما في الجو كفاً ومعصما

وقد رأى ان الضمير في لما عائد على بيت الحديقة وهو مذكر فاستشكله واستظهر ان يكون لفظ بيت محرفاً عن (بنت) فيصح عود الضمير المؤنث اليها ؛ ثم انه لم يرتض الكناية عن المنجنيق ببنت الحديقة وبقي الاشكال ·

وقد لاح لي في ذلك رأي أحببت ابداءه وهو :

١ً — ان الضمير في لما محرف عن ضمير مذكر وهو يعود على الحصن المحدث عنه ، اما اعتباره مؤنثاً عائداً على التي تمد الكف والمعصم فذلك يجعله مع اللام الداخلة عليه حشواً زائداً ،

٢ً — ان لفظ بيت محرف عن (ذات) ولا معنى هنا للبنت كما لا معنى للبيت ·

٣ً — المضاف اليه بعد ذات هو اما ان يكون (خديعة) ووصف المنجنيق بانه ذات

خديعة يناسب النصب كما تنصب الاشباك لخدعة الصيد ، ويناسب وصفها بانها تمد كفا ومعصما للحصن لان مدها الكف والمعصم اليه ليس حبا به ليتناولها بل لترميه بقذائفها فتهلكه ، او يكون المضاف اليه لفظ (قذيفة) بالمفرد او قذائف بالجمع ، والوصف بهذا يناسب حال المنجنيق لانه آلة ذات قذائف يرمى بها ، حتى ان من اسمائه القذاف ، فتكون صحة البيت هكذا :

نصبت له في الارض ذات قذيفة[1] تمد له في الجو كفا ومعصما

ولي كلمة ايضا فيما ورد في تلك المقالة من كون القين لا يجمع على قيان لان هذا جمع قينة ، فاني لا ارى ذلك مانعا من ان يكون جمعا للقين كذلك ، لان فعالا جمع فعلة ايضا نحو قصعة وقصاع ، وان كان قليلا فيما عينه ياء نحو ضيعة وضياع وغيضة وغياض ، وقد صرحوا بجمع قين بمعنى العبد على قيان فلا مانع من جمعه هذا الجمع اذا كان بمعنى الحداد .

من اعضاء المجمع

مسعود الكواكبي

(١) او قذائف .

مطبوعات حديثة

الامير عبد القادر

١٨٠٨ — ١٨٨٣ (١٢٢٣ — ١٣٠٠ هـ)

« من التعصب الاسلامي الى الوطنية الافرنسية »

تأليف الكولونل بول آذان (Colonel P.Azan) طبع في مطبعة هاشيت في باريز (١٩٢٥م ص ٣١١)

L'Emir Abd el Kader
1808 - 1883
« Du fanatisme musulman au patriotisme français »
Librairie Hachette - Paris - 1925.

كتب اكثر من الف كتاب ورسالة ومقالة عن تاريخ هذا الامير واعماله في إمارته الفتية ، وايام عزلته في منفاه ، وهجرته الى فرنسا والشام ، وقد اختلف ما كتبه عنه المؤرخون : فقال كل منهم بحسب هواه ومقاصده ، فمنه ما أملاه التعصب ، ومنه ما شوهه الغرض ، كما هو الحال في تدوين اكثر الوقائع التاريخية التي تكون قريبة من زمن وقوعها ، واكثر الذين كتبوا عن الامير عبد القادر كانوا معاصرين له متأثرين بعوامل شتى ، فنهم الانصار المحبون ، ومنهم الخصماء الناقمون ، وقد حذا حذوهم من كتب بعدهم ، فنقلوا ما نقلوه عن غيرهم على علاته من دون تحقيق ولا تمحيص .

ولما اطلعت على هذا الكتاب وقرأت هذا العنوان : « الامير عبد القادر — من التعصب الاسلامي الى الوطنيـة الافرنسية » . لم اشك بانها أنشودة أراد المؤلف بواسطتها ان يتغنى بمآثر جيش ينتمي اليه . فكأن الكاتب أراد بهذا العنوان الذي صدر به كتابه ، ان يجرد الامير من كل شعور وطني ، و ينسب قيامه الى تعصب ديني ، مع انه برهن في كل أدوار حياته على انه أبعد الناس عن هذه الوصمة . ولو لم يكن طموحاً لاستقلال بلاده وحرية ابناء جنسه ، لما ناصب الاتراك العداء حتى اضطهدوه وأخرجوه من بلاده (ص : ٤ و٥ و٦) فهذا يثبت بان قيامه كان لمقاومة كل استيلاء اجنبي ، لافرق فيه عنده بين سلطة التركي المسلم وسلطان غير المسلم . واي برهان على

هذا اعظم من انه استعان بالافرنسيين لما أمن جانبهم في خلال معاهدتي (دهميشيل Desmichels سنة ١٨٣٤ وتافنا Tafna سنة ١٨٣٨م) ليقضي على النفوذ التركي المستحكم اذ ذاك في تلك البلاد (ص: ٣و٣٢و٣٣و٣٤) .

كان الامير عبدالقادر تقياً ورعاً ، بيد انه كان متسامحاً محباً للتجدد ، فلم يحجم قط عن التذرع بوسائل المدنية الحديثة الفعالة في اصلاح بلاده والنهوض بها ، على ما اعترف المؤلف به في مقدمته فقد نصح لحكومته بان تقتفي اثر الامير بقوله « يحتم على فرنسا واجب كبير وهو ان تثقف الشعب (الجزائري) اولاً ، وتكونه كما أراد ان يفعل عبدالقادر » وقد ذكر المؤلف بان الامير استعان بآراء كثيرين من الاوربيين الذين انضموا اليه ، فنهم افرنسيون والمان ومجريون واسبانيول . أليس كل هذا من شأنه ان يبرئ الامير مما ينسب اليه من تعصب وجمود ؟ .

وبعد فلم ار في كل هذا الكتاب مايستدعي هذا العنوان الماس بسمعة رجل كانت جميع اعماله مفخرة لقومه وعصره . ولم يذكر لنا حادثة من اعماله يشتم منها روح التعصب ، بل كل ماذكره هو سلسلة تسامح وتساهل على ما يأمره به الاسلام . فان كان الكاتب يرى دفاع المرء عن بلاده تعصباً ، واستسلامه تسامحاً ، فنعم هذا التعصب وبئس ذاك التسامح . كما انه لم يأتنا بما يستدل منه على وطنيته الافرنسية ، اللهم الا صداقته لفرنسا وحمايته لرعاياها في حوادث الشام سنة (١٨٦٠ م ١٢٧٧ هـ) .

ولعل الكاتب أراد بهذا العنوان ان يلطف اساءة امته الى الامير ، وقد نكثت بوعدها واعتقلته بعد القائه سلاحه ، فأراد ان يجد مبرراً لهذا العمل — بان اعتقاله في فرنسا أثمر نتائج حسنة في تطور أخلاق الامير . لانه اتى الى فرنسا متعصباً صلباً ، ثم غادرها متسامحاً مرناً .

وقد افتتح الكاتب بحثه بالطعن في نسب الامير وشرفه بدون اثبات ولا اسناد ، مع انه لم يسبق لغيره انكار صحة نسبه ، بل بالعكس قد دونه الحفاظ في كتب النسب والشرف ، كما جاء في كتاب جوهرة النقول في ذكر آل الرسول لعبد الرحمن بن محمد القاسمي ، وفي كتاب التحقيق في النسب الوثيق للشيخ احمد بن محمد العشماوي ، وفي كتاب فتح الرحمن وشرح عقود الجمان للشيخ محمد بن محمد الجوزي الراشدي ، وكثير غيرهم من علماء

الانساب المحققين . وقد أثبت ذلك في عقد البيعة للامير بما نصه : « .... فلم يجدوا لذلك المنصب الجليل الا ذا النسب الطاهر ، والكمال الباهر ، رأس الملة والدين ، قامع اعداء الله الكافرين ، ابا المكارم السيد عبد القادر ابن مولانا السيد محيي الدين .... الخ» . وقد أقر بصحة ذلك العلامة السيد محمود الحمزاوي مفتي دمشق الشام ، واعترفت الحكومة العثمانية بذلك وعهدت لابن اخيه السيد نور الدين بنقابة اشراف الاستانة . وذكر (ص:١٩٠) ان ابن اخي الامير السيد الطيب كان قتل في احدى المعارك وصوابه (السيد احمد) . وجاء في (ص : ٢٤٥) بان ثلاثة من اولاده رافقوه الى فرنسا وبينهم عبد الله والحقيقة هو (الهاشمي) ثالث أولاده .

فالكتاب في مجموعه من أحسن ما كتب عن الامير ، وقد كان المؤلف في اكثر مواقفه معتدلاً منصفاً ، وخصوصاً في دفاعه عما نسبه اكثر المؤرخين الافرنسيين الى الامير ، من انه هو الذي نقض معاهدتي (دميشيل وتافنا) ، وكذلك اعترافه بان الامير بريء مما نسبه بعضهم اليه من قتل بعض الأسرى الافرنسيين . وان السياسة أوجبت اذ ذاك إفاضة هذه التهمة ، لإثارة الرأي العام الافرنسي .

فالكتاب على صغر حجمه مستوفي البحث ، غزير المادة ، ولا عجب فان المؤلف معروف بتدقيقه ، وطول باعه ، ومن يطالع قائمة المصادر التي استقى منها ، يدرك المصاعب التي ذللها ، للحصول على نتيجة لم يسبقه اليها احد من قبل .

جعفر عبد القادر الحسني

الدولة الأموية في قرطبة

« تأليف السيد انيس زكريا الصولي . طبع في المطبعة العصرية ببغداد »
« سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م الجزء الاول ص ١٦٠ »

تناول المؤلف ، وهو من أساتذة التاريخ ، الكلام في هذا القسم على فتح الاندلس وعبد الرحمن الداخل وخلفائه والدولة الاموية في اوج علاها وعلى الحاجب منصور ، وما تخلل هذه الادوار من الحوادث التي تدلت بسياسة الاندلس تارة وارتفعت بها

تارة أخرى ، معتمداً في الاكثر على مصادر افرنسية وانكليزية ثم على المصادر العربية ولذلك جاء شيء من العجمة في بعض كلامه المنسق نسقاً غريباً مقبولاً مع بيان المظان التي أخذ عنهـا واكثرها عزيت الى دوزي وسكوت وكوبه وكونده وهوار ولوبون ولين بول · وقد علل بعض ما حدث في تلك المملكة العربية تعليلاً جيلاً الا ما تابع عليه بعض المتعصبة من الفرنج الذين يحاولون ان ينالوا من العرب والاسلام ، ولا غرض لم الا تزييف هذه الحضارة ، ثما قاله في تسامح ملوك الاندلس وهم المثل السائر فيه (راجع كتابنا « غابر الاندلس وحاضرها » المطبوع في القاهرة سنة ١٣٤١ — ١٩٢٣) لا يقدح في صفاتهم ، وما أخطأ فيه فرد لا يسري على الجماعة ·

وكنا نود لو أرجع المؤلف أعلام البلدان الاندلسية الى أصلها العربي لا ان يضعها بلفظها الافرنجي وحروفها اللاتينية كما قرأها مما يصعب على كل مطالع فهمه لان قراء العربية كلهم لا يعرفون اللغات الغربية · اما لو وضع أعلام البلاد على الصورة التي اصطلح عليها العرب ووضع بجانبها اللفظ الافرنجي فيحسن مرتين ، وربما قال لنا ان جميع المواد العربية التي طبعت حتى اليوم عن الاندلس ، من تلك التركة الكبيرة التي نجت من تعصب الاسبانيين ، لا تبلُّ الصدى ولا تسد نهمة الطالب في هذا الشأن فنحن موافقوه على دعواه لاننا لم نر احداً من الباحثين من علماء المشرقيات قد وفق حتى يومنا هذا الى وضع مصوَّر وافٍ بالغرض عن الاندلس فيه الاعلام على حقيقتها (راجع مقالة الاستاذ سيبولد في المعلمة الاسلامية عن الاندلس ومقالة تحريف الاعلام في بلاد الاسلام للاستاذ نالينو في مجلة المقتبس م٣ ص١٣٠) وخريطة الاندلس على عهد العرب التي نشرها الاستاذ السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي منذ بضع سنين مختصرة لا تسد الثلمة كلها ·

وها نحن نأتي للمؤلف بمثال من هذه الأعجميات التي وردت في كتابه بلفظها الأصلي فقط (Pierre sèche, Louis le débonnaire, Propogandiste) الاولى ان يقال الداعية · لويس الحليم · اللثيم او الشحيح · ومن الاعلام شيء كثير من هـذا القبيل (١) Xérès (٢) Guadalete (٣) Beza (٤) Denia (٥) (٦) Astroga (٧) Gerona (٨) Salamanque (٩) Alicante (١٠) Valentola (١١) Orihuela (١٢) Lorca (١٣) Bejar

Coria (١٧) Santebria (١٦) Guadiana (١٥)Mola(١٤) Vacasora
(٢١) Serranie de Ronde (٢٠) Bobaxter (١٩) Castille (١٨)
Algarve (٢٥) Mentesa (٢٤) Moron (٢٣) Ecija (٢٢) Tudel
Lugo (٣٠) Niebla (٢٩) Cazlona (٢٨) Baena (٢٧) Aguilar (٢٦)
(٣٥) Zamora (٣٤) Calatayud (٣٣) Viseu (٣٢) Santarem (٣١)
Nejera(٣٩) Talavera(٣٨) Guazalte(٣٧) Sidonia(٣٦) Coimbre
San Estuan (٤٣) Osma (٤٢) Mutonia (٤١) Valtierra (٤٠)
Tolox (٤٧) Viguera (٤٦) Val dijuiuguera (٤٥) Carcar (٤٤)
Ossuna (٥١) Ossonoba (٥٠) Calatrava (٤٩) Santa Maria (٤٨)

وما نخالف المؤلف الفاضل الا موافقاً لنا كل الموافقة في إرجاع هذه الاعلام الى اصولها لان مؤلفه يكتب لبني العرب، وان الاجدر بنا والاجمل ان نطلق عليها ما أطلقه أجدادنا عليها مدة قرون وما منها الا بلد او واد كانت لنا فيه هناك ايامنا الغر المحجلة فنقول : (١) شَرِيش شَرَش (٢) وادي لكة (٣) باجة (٤) دانية (٥) استورقة او استرقة (٦) جيرونة (٧) صَلَمنكة (٨) القنت (٩) بلنسله (١٠) أوريولة (١١) لورقة (١٢) وابة (١٣) بقسرة (١٤) مولة (١٥) وادي انه (١٦) شنت برية (١٧) قورية (١٨) قَشتالة (١٩) بُبَشتر (٢٠) رُنْدَة (٢١) تَطيلة (٢٢) إستجة (٢٣) مورو (٢٤) مَنتيشة (٢٥) الغرب (٢٦) بَلّي (٢٧) بَيّانة (٢٨) قسطلونة (٢٩) لَبْلة (٣٠) لُك (٣١) شَنترين (٣٢) بازو (٣٣) قلعة ايوب (٣٤) سَمّورة (٣٥) قُلُمرية (٣٦) شَذونة (٣٧) وادي سليط (٣٨) طَلبيرة (٣٩) ناجرة (٤٠) حصن تلبيرة (٤١) مطونية (٤٢) حصن وخشمة (٤٣) شَنت اشتيبن (٤٤) قلقرة (قلهرة) (٤٥) وادي دو ير (٤٦) حصن بقيرة (٤٧) طلوزة (٤٨) شنتمرية (٤٩) قلعة رَباح (٥٠) اشكونة او اشكونية او أخشونية او اقشونية (٥١) اشفونية .

وقد تحرفت عليه بعض الاعلام التي ردها الى حالتها الاولى فقال النورمانديون والمجوس ، والاندلسيون كانوا يطلقون على النورمانديين اسم المجوس فهم اذاً كما كانوا يطلقون الوشكند او البشكنت بَشكُونس على الباسك (Basques) . وفسر

غاسقونيا بجليقية وحليقية هي غاليسيا وقال مرات بدلــــ « بَطليوس » المدينــة المشهورة «بطليوس» بالميم . وقال ان الشاعر «غريب» من اهل القرن الثاني كان في زمن الحكم وهي يدعو الى الثورة ولا نذكر شـاعراً اندلسياً اسمه كذلك ومثل ذلك قوله في شاعر آخر اسمه سعيد بن حودي وقال عن زرياب المغني (زرئاب) وقال ان « بني قاس » القوطيين كانوا في أرغون وهؤلاء قد تحرفوا عليه .

والمؤلف على ما ظهر لنا لا يهتم لتخير الالفـاظ كثيراً فيسقط في هفوات لغوية وأكثرها مما عمت به البلوى بين الكتاب ونبه عليه المجمع العلمي في مقالات كثيرة تحت عنوان « عثرات الاقلام » كما انه لم يهتم بتة في اثبات التاريخ الهجري بجانب الحوادث ، والكتاب في امة عربية للامة العربية ، وكل امة تزهد في تاريخهـا وهو بعض مشخصاتها كانت حرية ان تزهد في غيره . وذكر ان المعـاهدة التي عقدت بين عبد العزيز بن موسى وتدمير احد امراء الاندلس كتبت بالعربية واللاتينية وانها في كتاب المكتبة العربية الاندلسية اي كأنهـا مفقودة والمكتبة الاندلسية طبعت منذ زمن طويل بعناية الاستاذين كودرا وريبرا (راجع مقالتنا في وصفها في مجلة المجمع العلمي م ٥ ص ٣٣٦) .

هذا ما رأيناه في هذا الكتاب الطريف ورجاؤنا ان ينظر مصنفه الى ما كتبناه بعين الرضا فانا رأيناه يحب « الانتقاد والغربلة » واحرِ بمن كان هـذا منزعه ان تورد له الحقائق بثوبها المجرد .

محمد كرد علي

في الشعر الجاهلي

« تأليف الدكتور طه حسين طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة »

« سنة ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م ص ١٨٣ »

معظم امالي هذا الاستاذ النابغة من الافكار الطريفة آخذ بقسط عظيم من التجدد فيه بحث ودرس . وكتابه هذا سيحدث تأثيراً مهماً عند انصار القديم في الادب يقول فيه ان ما انتهى الينا من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جداً لا يمثل شيئاً وان معظم ما نعرفه

ونتدارسه منتحل موضوع ، وضعه الرواة والنحاة والقصاص اواخترعه المفسرون والمحدثون والمتكلمون ليستدلوا به على ألفاظ القرآن اولغرض آخر من اغراض التفاخر اوالتنابذ بين القبائل . والاولى ان يستدل بنصوص القرآن على عربية هذا الشعر لا بهذا الشعر على عربية القرآن . وقد بحث في ذلك ما شاء بيانه وأسقط جانباً من هذا الشعر وألقى الشك في الجانب الاخير . وبحثه علمي مجرد من التقاليد والدين . ولاشك ان كتابه سيجد من مخالفيه مقاومة شديدة بريح العلم الحديث عقباها كتاباً آخر ينافض هذا الرأي وعندئذ يخسر الدكتور طه قضيته او يربحها .

عيد المقتطف

احتفل يوم الجمعة مساء ٣٠ نيسان الماضي في القاهرة بعيد مرور خمسين سنة على نشر مجلة المقتطف بحضور زمرة من العلماء ورجال الدولة المصرية وتليت خطب وقصائد قدر فيها قائلوها قدر عمل العالمين الفاضلين الدكتور يعقوب صروف وفارس نمر منشئي هذه المجلة اقدم مجلاتنا العربية التي كتب لها ان تعمر بفضل صاحبيها وتنشر العلم في البلاد العربية . ولا عجب اذا اذعن العلماء والادباء صاحبي المقتطف فهي المجلة العلمية الكبرى عند العرب نقلت اليهم أفكار الغرب وعلومه المادية . وليس في المعاصرين منا من لم يتدارس مقالات المقتطف و يستفد منها علماً وأدباً . واذا ألقينا نظرة على من آزروا هذه المجلة من كتاب العرب وعلمائهم في مصر والشام والعراق وتونس وغيرها يتجلى لنا تاريخ الحركة العلمية والادبية في ارض العرب . فللقائمين بمجلة المقتطف ولا سيما العلامة الدكتور صروف عضو مجمعنا نقدم تهنئات المجمع العلمي ونرجو له ولشريكه في هذا العمل العظيم اطراد الهناء والمضاء في خدمة العلم والافكار الصحيحة .

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) حزيران سنة ١٩٢٦ م الموافق ذي القعدة وذي الحجة سنة ١٣٤٤ هـ

المعلمة الاسلامية

Encyclopédie de L' Islam

متى ارتقى العلم في أمة لاتقنع من تدوينه بنتف قليلة مبعثرة بل تطلب التفصيل والتمحيص والتنسيق ، وتقريب اصوله وفروعه على المتناول ، هكذا كانت العرب يوم وضعت أسس العلوم عندهم . فكم من معلمة ، او موسوعات او دائرة معارف ، لهم في الحديث والسير واللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم التي خاضوا عبابها ، دونوها وجودوا في نسقها ، ولاتزال الى اليوم يستفاد منها ويدهش المتصفون من وضعها ، وينهج الغربيون أصحاب المدنيات الحديثة على منوال علماء العرب في وضع المعاجم والمعلمات تسهيلاً على الناس في التعليم . قال العلامة براون[1] الانكليزي: ألف العرب الكتب في علم تقويم البلدان وتخطيطها على طريقة لم يؤلف مثلها ، وكتبهم العربية في التاريخ أوسع الكتب وأدقها في نظري ، وبعض المؤلفات العربية في التاريخ لم يكتب على نسقه في اوربا . ثم ذكر كتبهم في التاريخ والفلسفة وتحدى أمته التي تفاخر بدائرة المعارف البريطانية بجماعة من كبار اهل العلم في العرب ألفوا معلمة اسمها « اخوان الصفاء » بينا كانت اوربا في دور الهمجية . وقال العلامة[2] هيس السويسري في معنى تساهل الوطنيين بمصر بدراسة المدنية الاسلامية البديعة: اننا (اي اهل اوربا) نعجب بها لما نقرأه من آياتها في كتب مشاهير المؤلفين أمثال ياقوت والبيروني والخوارزمي وابن خلدون الخ .

(١) من خطاب له في مأدبة دار الندوة الانكليزية أمام جماعة المصريين سنة ١٩٠٧ (١٣٢٥ هـ) (المقتبس م٢ ص٤٩٧) . (٢) مجلة المجمع العلمي (ج٣ ص٢٦) .

ولقد عاش اهل اوربا زمناً لا يعرفون عن الاسلام والعرب الا ماتسمح بمعرفته قساوسة البيع والديارات ، اونقله ألسن العامة من التجار والباعة وزوار القبر المقدس في ايليا ، حتى اذا كانت الحرب الصليبية المشؤومة واختلط الغربيون بالعرب وغيرهم من الشعوب الاسلامية وأخذوا يدركون بعض الحقائق و يوقنون ان ما كان بعض رجال الدين يلقنونهم اياه عن العرب فيه مافيه . ومابرح امر الوقوف على أحوال الاسلام والعرب يرتقي سنة عن سنة حتى قوي الاستشراق في الغرب ، وأخذ علماء المشرقيات ينشرون في مطبعة ليدن في هولاندة ، منذ أوائل القرن السابع عشر ، كتب علماء العرب في التاريخ والجغرافيا والادب والفنون والفلسفة . وما برحت هذه المطبعة على ما تعاورها من الأيدي سائرة سيراً متساوقاً لنشر أمهات هذه الكتب التي تتألف منها اليوم خزانة كتب تعد من أهم خزائن أسلافنا ، ولولا ما نشروه لبقي جزء كبير من مدنية العرب في ظلي الغموض الى اليوم .

اول معلمة عن الشرق أنشأها هربلو[1] من علماء المشرقيات في فرنسا منذ اكثر من قرنين ، ولكن هذه المصادر عن العرب والترك وغيرهم من الشعوب الاسلامية لم تكن متوفرة توفرها اليوم ، ولا كان الاخصاء في العلوم بلغ هذا المبلغ من الدقة في عصرنا . ثم ان معلمة علية يراد ان يستفاد منها لا يتأتى اليوم ان تعد شيئاً مادام المنفرد بانشائها واحداً مها بلغ من ضلاعته في العلم والبحث .

(١) هربلو واسمه (Barthélemy de Herbelot de Molainville) هو من علماء المشرقيات في فرنسا ولد وعاش في باريز (١٦٢٥—١٦٩٥) عينه فوكيه وزير مالية فرنسا أميناً للسر ومترجماً من اللغات الشرقية وقد أظله كولبر وزير فرنسا الكبير في عصره بظل حمايته ورتب له الملك لويز الرابع عشر رزقاً . كان استاذاً للغة السريانية في (كوليج دي فرانس) وقد طارت شهرته بالكتاب الذي ألفه واسمه « المكتبة الشرقية او المعجم العام » الحاوي كل مافيه معرفة شعوب الشرق وتاريخهم وتقاليدهم الحقيقية ولا يزال هذا التأليف يرجع اليه العلماء وقد اكمله غالان (Galland) من علماء المشرقيات من الافرنسيين .

ولطالما جرى البحث[1] في الغرب ولا سيما في مؤتمرات المستشرقين الدولية ، في الحاجة الماسة الى مجلة اسلامية تجمع شتات جميع أبحاث علماء المشرقيات التي هيأوها عن الشعوب الاسلامية . ومثل هذا التأليف لا اثر له في الغرب حاشا « المكتبة الشرقية » ولم توضع المعلمات العربية والتركية بحيث تفي بغرض القراء من الغربيين ممن لا يعرفون هاتين اللغتين فهي اذاً لا تسد هذه الثلمة . ولقد دعي العلامة الاستاذ هوتسما في اوترخت من بلاد هولاندة ، الى القيام بهذا التأليف ، فنشر بمعاونة بعض علماء المشرقيات والسادات بريل في ليدن نموذجاً من المجلة الاسلامية سنة ١٨٩٩ نال استحسان رصفائه ، فطلب معاونة المجامع العلمية في اوربا بأسرها للاتفاق على هذا المشروع ، فأجابته الى طلبه وأمدته بالمال ، فرضيت عندئذ مطبعة بريل ان تنشر هذا المصنف على نفقتها . ولم يقرر اولاً اللسان الذي يجب ان يُنشر به هذا الكتاب ، ثم وقع الاتفاق على ان ينشر بثلاث لغات (الالمانية والافرنسية والانكليزية) . قال السيد هوتسما : وهذا القرار أي نشر المجلة الاسلامية بثلاث لغات مما يؤسف له ، لان مهمة انشاء هذه المجلة تطول بذلك وتصعب ثلاثة أضعاف ، وقد كان كذلك ، وأشق من ذلك ان نشرها على هذه الصورة يستلزم وقتاً أطول ثلاثة أضعاف للنشر وتزيد النفقات ثلاثة أضعاف .

ضم الاستاذ هوتسما اليه الاستاذ باسيه عميد كلية الآداب في الجزائر ليتولى تحرير النسخة الافرنسية ، والاستاذ ارنولد في لندرا للقيام بالطبعة الانكليزية ، فتولى السيد باسيه ومؤازروه جميع المقالات المتعلقة بشمالي افريقية (الجزائر وتونس ومراكش والسودان) ، وجميع الابحاث المتعلقة بالبلاد الخاضعة للحكومة الانكليزية ماعدا مصر هي مما يرجع فيه الى السيد ارنولد ، وعامة البلاد مثل مصر والمملكة العثمانية بأجمعها وفارس وآسيا الوسطى والهند الهولاندية (جاوة) الخ هي في عهدة السيد هوتسما . وعهد بالمقالات المختلفة في هذا الشأن الى علماء كتاة يوقعون على ما يكتبون ، وهم وحدهم المسؤولون عما تحويه . والغاية من هذه المجلة علمية صرفة ، وذلك ليحيط الناس حق الاحاطة بحال

(١) من كتاب تفضل بارساله الى كاتب هذه السطور العلامة السيد هوتسما رئيس تحرير المجلة الاسلامية في ٢٩ حزيران ١٩١٤ (المقتبس م ٩ ج ١) .

الشعوب الاسلامية ويطلعوا على تاريخهم ودينهم وفنونهم وعلومهم وجغرافية البلاد التي ينزلونها وتراجم المشهورين من رجالهم .

هذه هي الخطوط الاساسية للعلمة الاسلامية ، ومابرحت بعد سبع وعشرين سنة من التوفر على نشرها لم تنجز ، «فقد[1] أُصيب العمل في المعلمة الاسلامية بعد الحرب بشيء من الاضطراب العام فسار سير السلحفاة ، وكان يُرى من العبث متابعة العمل خلال الحرب في عمل دولي عام . اما الآن فقد حسنت الحال وان كنت لا آمل وانا في سن عالية من الشيخوخة ان أرى نجاز المعلمة التي أصبح اتمامها مضموناً . ولبلوغ هذا الغرض طلبت مؤازرة تلميذي الاستاذ وانسنك في ليدن يساعدني في انشاء هذه المعلمة فبادر بنشر الجزء الاخير وفيه المقالات التي تبدأ بحروف S — Z فظهر منه اربع كراريس ، والجزء الثاني الذي يبدأ من حرف F الى K قد تم تقريباً وبقيت حروف L الى R وهذا ما يشغلنا ايضاً عدة سنين .

« تعاورت الطبعات الافرنسية والالمانية ايدي كثير من المنشئين غير مرة ، فقد أُصبنا بخطب عظيم بفقد رصيفي المأسوف له رينه باسيه في الجزائر ثم اتصل بي مؤخراً ما ارمضني وهو ان ابنه وخليفته في العمل هنري باسيه قد اعتبط ايضاً في رباط الفتح . اما النسخة الالمانية فقد تولى انشاءها الاساتذة شادي في همبورغ ور يشار هارتمان في كنسبرغ وبوير في هالي ثم السيد شادي للمرة الثانية والآن السيد هفنج في بون . وعصفت عواصف المنيـة بين المؤازرين ففقدت المعلمة من أشهرهم العلامة دي خويه استاذي في ليدن ، وفقدت من علماء الالمان مارتين هارتمان في برلين ، وسيبولد في توبنغ والمجري غولدصهير في بودابست ، والسويسريين السيد فان برشم في جنيف والسيد موتير ، والانكليزي السيد لونكورث ديمس ، والسيد مولنسكي في الجزائر ، واوستروب في الدانيمارك ، وغيرهم ممن قضوا في ساحات الحرب العامة .

« ومن أشهر من يؤازرون اليوم في المعلمة الاسلامية من علماء المشرقيات وهم زهاء خمسين رجلاً ، من الهولانديين وانسنك وجوينبول وفون ارانيدونك وهؤلاء الثلاثة مستعربون ، ومنهم بوير للفلسفة الاسلامية ، وبوخنز للفارسيات ، وكريمر للتركيات .

(١) من كتاب للعلامة هوتسما كتبه الي يوم ١٠ نيسان سنة ١٩٢٦ .

ومن الالمان السادة شادي ور يشار هارتمان وبوير وبكر و بروكلمان ومور يستر ور يتر وميتفوخ وكاهل وفيشير وليتمان ، وهؤلاء كلهم مستعربون ، والاساتذة سوبرنهايم وهرزفلد «للآثار» وستوك «للجغرافيا» وو يدمان وروسكا وشواي «للعلوم الطبيعية» وموردتمان وماتزيل وسوسهايم و بابنجر «للتركيات» وشادير «للفارسيات» وغيرهم . ومن الدانيمركيين الاساتذة بول و پدرسن وبورتمان، وهؤلاء الثلاثة من علماء العربية . ومن السويديين الاستاذ سترستين، ومن الروس الاساتذة بارتولد و كرنكوف ومينورسكي وكوفالسكي . ومن الانكليز الاساتذة ارنولد ومرجليوث ونيكلسون وهيج وبفر يدج ورفون كوير وفير وغيرهم . ومن الافرنسيين الاساتذة هوار، ديتنغ ، كارادي فو ، مارسيه ، ايغير ، كور ، بل ، ماسنيون ، كواين ، كاباتون ، فيوليه ، ليفي بروفانسال ، فيت ، غودفروا دومبين ، فرّان ، دلافوس ، بوفا ، كيليوم ، ديني باريه ، فاكا . ومن الايطاليين الاساتذة جو يدي ، غريفيني (توفي) ، نالينو ، بالاداشي ، ليفي دللافيدا . ومن الاتراك والشرقيين الاساتذة كو بريلي زاده فؤاد ومحمد بن شنب (الجزائر) وهدايت حسين (الهند) اه». ومن المؤازرين ايضاً الاساتذة لامنس وهورفيتز وماكدونالد و يوسف عالي، سنوك هرغرونـ و كـنمـبير، ومن هؤلاء الاعلام في المشرقيات ستة وعشرون عالماً كلهم من اعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق . وليس بين المؤازرين في هذه المعلمة غير اربعة من المشارقة منهم عالم عربي واحد وهو الاستاذ الشيخ محمد بن شنب من علماء الجزائر ، وليس فيهم غير اميركاني واحد وهو الاستاذ ماكدونالد على ماتبين لنا . كما انه ليس فيهم احد من علماء المشرقيات في اسبانيا والبرتغال . وهاتان المملكتان من أشد الامم علاقة بالاسلام والعرب لان تاريخها مدة ثمانية قرون كان في الجملة تاريخ العرب ومدنيتهم .

تصفحنا هذه المعلمة، ورجعنا اليها غير مرة، فكنا نعجب بابحاثها، ونستفيد من علم كاتبيها وتمحيصهم . ولاجرم فهي أمتع كتاب كتب على الاسلام والمسلمين في الغرب ، وهو أقرب الى الحقائق والتمحيص من كل ما ألفه الغربيون في هذا الشأن ، وعمل كهذا يولي العلم الغربي شرفاً واي شرف ، خصوصاً وان القائمين به هم في معرفة الشرق الاسلامي مجتهدون لا مقلدون : ذكرنا بعض لغاته ومنهم من عاش بين أهله دهراً ، فاذا كتبوا وفوا

الموضوع حقه ، واكثر مادتهم عربية او من لغة اسلامية ، وقليل من موادهم ما يكون بلغة اجنبية ، اللهم الا اذا كان تأليفاً لاحد علماء المشرقيات ، وقد تكون مصادره الاصلية شرقية معتمدة . ولكتاب هذه المعلمة عناية خاصة بالعزو الى المصادر المنقول منها شأن علماء العرب في التغالي بتصحيح السند ، والولوع بالاحاديث مروية بأسانيدها ، ولو أورثت الكتاب طولاً وتكراراً .

وانا لنرجو من كل من عرف في هذا الشرق العربي ، احدى اللغات العلمية الثلاث التي صدرت بها المعلمة الاسلامية ، ان يطالعوا مقالاتها مطالعة إمعان وتدبر ، ليقفوا على مبلغ علماء الغرب اليوم من معرفة الاسلام والمسلمين ، وتوفرهم على البحث والدرس . ولو كان كل ما يكتب على هذه الديار مثلاً باقلام محققين من تلك الحلبة التي تتألف منها لجنة انشاء المعلمة الاسلامية ، لما تسرب الخطأ الى السياسيين والاجتماعيين في الحكم على سكان هذا الشرق القريب . ونرجو من صميم فؤادنا ان تطول ايام صديقنا العلامة هوتسما حتى يرى ثمرة عمله العلمي ناضجة من كل وجه ، خدمة للعلم والادب جزاه الله عنهما خير جزاء .

محمد كرد علي

نموذج من معجمنا

« في العامية المصرية »

— ٩ —

ظُهُورات

الظهورات بضمتين نوع من الخِدْمة في الدواوين خارج عن الخدم الدائمة يلجأ اليه عند تراكم الاعمال اوحدوث أعمال جديدة تستدعي المعاونة فيستخدم لها أشخاص على نية فصلهم عند انجازها وعلى ان لا تكون لهم أرزاق ينقدونها بعد الفصل كالتي للمستخدمين الدائمين وتسمى بالماشات . و يطلق هذا اللفظ عندهم على المفرد والجمع وعلى نوع الخدمة فيقال كاتب ظهورات وكتّاب ظهورات وخدمة ظهورات بارادة الوصف لا الاضافة . وهو محرّف عن الظُهَراء بمعنى المعينين من ظاهره مظاهرة اذا أعانه فالصواب ان يقال للواحد ظهير بفتح فكسر وللجمع ظهراء بضم ففتح ولنوع الخدمة مظاهرة .

عالمة

العالمة عندهم المغنية والمقصود العالمة بفنّ الغناء ولكنهم خصوا به النساء ولم يقولوا للمغني عالم بل قالوافيه آلاتي . و يجمعون العالمة على عوالم وهو جمع صحيح قياساً واطلاق هذا اللفظ على المغنيات قديم في العامية يرتقي الى القرن السابع فيما نعلم وربما كان أقدم من ذلك . ذكر ابن ابي أصيبعة في عيون الانباء ان نجم الدين بن المنفاخ المتوفى سنة ٦٥٢ (١) كان يعرف بابن العالمة لان أمه كانت عالمة بدمشق ونعرف ببنت دهين اللوز هكذا بالنسخة والذي في الوافي بالوفيات للصفدي « و يعرف بابن العالمة دهن اللوز كانت عالمة بدمشق » قلنا ولعل دهن اللوز هذه هي التي ذكرها ابو شامة في وفيات سنة ٦١٤ من ذيله على الروضتين فقال « وفيها توفيت بدمشق العالمة المعروفة بدهن اللوز وكانت شيخة العالمات بدمشق في ربيع الآخر » والراجح ان المراد بالعالمة هنا

(١) في الوافي بالوفيات للصفدي وقيل ٦٥٦ .

المغنية ولو كانت من أهل العلم لقيل فيها غير ذلك كالمحدّثة او الفقيهة او الاديبة ولنعتت بشيء من نعوت الفضل ·

وفي تراجم النساء من الضوء اللامع للسخاوي « اقليم شيخة العوالم ومولاة الشيخة أمّ سليمان آلاتية ماتت بمكة في شعبان سنة احدى وستين[1] أرّخها ابن فهد وخلفها في حرفتها فاطمة ابنة السلاوي آلاتية » وقال في ترجمة فاطمة المذكورة « فاطمة ابنة احمد السلاوي ابن عبد الكريم الهلالية وتعرف بالسلاوية شيخة العوالم بمكة بعد اقليم الماضية وزوجة علي بن مزروع العطار ماتت بها في ليلة سادس عشر صفر سنة اثنتين وتسعين[2] وصُلّي عليها بعد الصبح ثم دفنت بالمعلاة وخلّفت تركة متسعة وورثة مستغرقين وخلفها ابنتها من ابن مزروع » · ولا ريب في ان المراد بشيخة العوالم في الترجمتين شيخة المغنيات ولا سيما في التعبير عن عملهن بالحرفة ·

وذكر ابن طولون الصالحي في نفحات الزهر في ذوق اهل العصر ان نورالدين بن رحاب المصري المغني كان متزوجاً بامرأة اسمها فضة وعبر عنها بنقيبة العوالم · وأورد صاحب تحفة العاشقين ونزهة المحبين لبعضهم في عالمة :

عالمة عالمة بالجفا قامتها عادلة ظالمة
قلت لها هل تعلمين الذي ألقاه قالت إنني عالمة

والمقطوع مذكور بين مقطوعين في ضارب بالدف وفي ساقية ·

و يرادف العالمة من الفصيح (القينة) بفتح فسكون ولا يهولنك قول الحريري في الدرّة « ومن ذلك توهمهم ان القينة المغنية خاصة وهي في كلام العرب الأمة مغنية كانت او غير مغنية » فقد ردّ عليه الخفاجي في الشرح بقوله « وقيده ابن السكيت بالأمة البيضاء واستعماله بمعنى المغنية كثير في كلام العرب نظماً ونثراً وفي الحديث كان لعبدالله بن حنظلة[3] قينتان تغنيان وفي القاموس القينة المغنية اوأعم وهو تخصيص للعامّ باحد فرديه او المجاز المشهور فلا وجه لانكاره » · وفي النهاية لابن الاثير « ومنه الحديث نهى عن بيع القينات اي الأماء المغنيات وتجمع على قيان ايضاً » ·

(١) و(٢) اي وثمانمائة · (٣) في النسخة المطبوعة بالجوائب (خطل) وهو خطأ ·

وهو اللفظ الذي استعمله الفصحاء للمغنيات زمن الدولة الأموية وفي صدر الدولة العباسية وجاراهم المولّدون في استعماله بعد ذلك الى ان أحدثوا لفظ العالمة فأميت . اما تفسيرهم القينة بالأمة المغنية فقد علله ابومنصور الازهري بان صناعة الغناء كانت من عمل الإماء دون الحرائر .

غَباني

الغباني بالفتح وتخفيف الباء نوع من النسيج يوشى بالحرير الاصفر مسيّراً او مشجراً واكثر ما يستعمل في مصر للحُزُم ولفائف العمائم ولاسيما عمائم البستانيين حتى أصبحوا يميزون بها بين العمال . ويعتمّ به من غير المصريين تجار الشام النازلون بمصر وقد يتخذون منه ملابس وكان قديماً من لباس العظماء في المملكة العثمانية . وفي غير مصر يقولون فيه أغباني بالالف في أوله او اغاباني بزيادة الف ايضاً بعد الغين و به عبر بعض المؤلفين وورد في مجلة الجنان التي كانت تصدر ببيروت في الكلام على الملابس العثمانية نقلاً عن زبدة الصحائف في سياحة المعارف بما نصه : « وما كنا نراه من القواويق المضربة التي كانوا يضعونها على رؤوسهم اشبه بالتيجان والعمائم التي كانوا يتعممون بها عليها من الشاش الابيض وما كانوا يتعممون به ايضاً على الطرابيش الحمر من الشالات الكشميرية والاغاباني وغير ذلك » .

وزيادة الالف في اوله هي الاصل فيه وقد استعمله الاتراك بها ولكن مع حذف الغين فقالوا أباني وآباني بمدّ اوله وفسروه في معاجمهم بثوب ارضه بيضاء موشاة بالحرير الزعفراني ولم يعرف اكثرهم اصله وذهب بعضهم الى انه أغباني وقيل آق بانو ولكن مع التوقف والشك ومعنى آق الابيض و بانو في الفارسية السيدة المسنة والاميرة وقارورة ماء الورد اوالخمر . والاقرب فيما نرى ان يكون من (آغا) ومن (بان) واصل الآغا بالمد الاخ الكبير في لغة الجغتاي واستعمله الأتراك في اللغة العثمانية بهذا المعنى وأطلقوه ايضاً على الأمير العظيم وعلى رئيس الخصيان وقد فصلنا الكلام عليه في حرف الالف من المعجم . واقتبسه الفرس من التركية وقالوا فيه ايضاً آقا بالقاف ولقبوا به العظماء والعلماء . واما (بان) فكلمة تلحق في الفارسية باواخر الكلم للدلالة على حافظ

الشيء وحارسة كعلامة (جي) في التركية كقولهم باغبان لحافظ الباغ اي البستان وهو في التركية باغجي . فكأن من سمى هذا النسيج بالآغابان اي حافظ الامير نظر الى انه واقٍ لجسمه وحافظ له كما قالوا لقفاز الصيد دستبان اي حافظ اليد ثم قالوا أغاباني وأغباني وغباني . و يرجح ذلك انه كان من لباس العظماء في المملكة العثمانية كما قدمنا .

و يرادفه من الفصيح (السِّيَراء) بكسر ففتح وقد يسكَّن الثاني وهو كما في القاموس « نوع من البرود فيه خطوط صفر او يخالطه حرير » وأنشد عليه صاحب اللسان للنابغة :

صفراء كالسيراء أكمل خلقها كالغصن في غُلَوائه المتأوّد

وهو اسم كما ذهب اليه سيبويه لانه أنكر مجيء فِعَلاء صفة فمن قال حلة سيراء فهو على الاضافة كما يقال حلة حرير ومنهم من أجاز ان يكون صفة . وزاد في اللسان « وقيل هي من ثياب اليمن » قال شارح القاموس « قلت وهو المشهور الآن بالمضف » هكذا بالنسخة بالضاد المعجمة وبلا نون والصواب (المَصْنَف) بفتح الميم وسكون الصاد المهملة وفتح النون كما أفادنيه احد فضلاء اليمن النازلين بمصر قال ولم تزل عامة اليمن تعرفه بهذا الاسم وهو مطرف من الحرير مطرّز الحواشي بخيوط من الفضة يتلفّع به في اليمن كما يتلفّع بالمطارف الكشميرية في غيرهم الا انهم لا يصنعونه الآن بل يصنعون بدله مطارف ساذجة بلا تطريز يسمون الواحد (لحفة) بكسر الاول والباقي منه قديم متوارث يتفاخرون به ويتلفّعون به في الاعياد . قلت واللفظ عامي الا ان له اصلاً في اللغة وهو صنّف الثوب وصنّفته بمعنى حاشيته فسمت العامة هذا المطرف بالمصنف لانه مطرز الحاشية . والظاهر ان هذه المطارف كانت تنسج مسيّرة بخطوط صفر زمن شارح القاموس فرأى على ما ظهر له انها المسماة بالسيراء عند العرب . وعلى اي حال فالسيراء من أقرب الالفاظ وألصقها بالغباني كما لا يخفى .

---

(١) هذه التسمية لا تصح وان كان لمادتها أصل في اللغة ولو انهم قالوا (المصنَّف) اسم مفعول بتشديد النون لكان أقرب دلالة على المراد الا ان التصنيف لم يرد في اللغة بمعنى تطريز الصنف اي الحاشية .

فيّس

الفيّس بفتح أوله وكسر الياء الاولى المشدّدة يريدون به الجواد المنفاق المفاخر بما ينفقه وهو من صفات المدح عندهم ولم يستعملوا له فعلاً ويقصدون بهذه الصيغة المبالغة كقولهم شرّيب وسكّير بفتح الاول والصواب كسره · وليس لمادة (ف ي س) وجود في كتب اللغة التي بأيدينا وانما هو محرّف عن الفيّاش بفتح الاول وتشديد الثاني وبالشين المعجمة في آخره ومعناه السيد المفضال المفاخر على ما في القاموس وشرحه الا ان العرب تجعله للتكبر المكثر بما ليس عنده فاستعملته العامة في احد معنييه بعد تحويل صيغته وابدال سينه شيناً ·

قمّر

يقولون قمّر العيش بمعنى لين الخبز بوضعه على الجمر وأهل المدن وغالب الريف يقلبون القاف همزة كعادتهم فيقولون فيه امّر والذين ينطقون بالقاف كالجيم المصرية في الصعيد وبعض الريف يقولون جمّر ولا يقول قمّر الا أهل رشيد وبعض جهات بني سويف وقد بينا اختلافهم في النطق بالقاف في المقدّمة · وأصل التقمير محرّف عن التجمير واستعماله في وضع الشيء على الجمر معروف عند العرب ففي المستدرك على (ج م ر) من شرح القاموس « وذبحوا فجمّروا اي وضعوا اللحم على الجمر ولحم مجمّر » وكأن الذين سمعوه بالجيم ظنوا انه من لغة من ينطق بالقاف جيماً مصرية فقلبوها همزة وقالوا امّر وجاراهم في ذلك من ينطقون بالقاف القرشية فقالوا قمّر على لغتهم · ورأيته بالقاف في الفيّة الطعام التي نظمها الشيخ عامر الأنبوطي من شعراء مصر في القرن الثاني عشر معارضاً بها ألفيّة ابن مالك وأولها :

يقول عامر هو الأنبوطي   أحمد ربي لست بالقنوط
وأستعين الله في ألفيّه   مقاصد الأكل بها محويّه

الى ان يقول في الخبز :

والاصل في الأخباز ان تقمرا   وجوّزوا التقديد اذ لا ضررا

ورأيت في طبقات مخطوطة عندي أبياتاً مختلة الوزن لتحريف بالنسخة منسوبة

لابي طاهر اسماعيل المعروف بابن مكنسة من شعراء العصر الفاطمي[١] ورد فيها البيض المقمّر بمعنى المطبوخ فاذا لم يكن اللفظ محرّفاً فهو دليل على ان استعمال التقمير للطبخ قديم في العامية ثم خصّ بعد ذلك بتلبين الخبز على الجمر وهو في كلا الاستعمالين محرّف عن التجمير كما قدمنا .

كَدّابة

يريدون الكدّابة من الكذب بالمعجمة وهم يقلبونها في الغالب دالاً مهملة والمراد بها أنواع الطعام الخالية من الأدهان او اللحم وتطلق في الاكثر على شيئين نوع من الحساء يصنع للمرضى بلا دسم يسمى (الشوربة الكدّابة) ونوع من الحشي يطبخ بالزيت بلا لحم يسمى (الضولمة الكدابة) . وقد استعمل الاطباء قديماً لفظ المزوّرة للطعام الخالي من الدهن او اللحم المستعمل في أغذية المرضى وخصها الشهاب في شفاء الغليل بالمرقة فقال « المزوّرة بوزن المفعول مرقة يطعمها المريض مولّدة وقال الفقهاء في الايمان هي ما يطبخ خالياً من الادهان » ولكنه فسرها في الريحانة بقوله « هي اسم طعام يطبخ من غير لحم للمريض » قلنا وهو الموافق لما رأيناه في وصف أنواعها في كتب الطب والاطعمة فانها غير خاصة فيها بالمرقة وأنشد الثعالبي في اليتيمة لابي محمد المطراني :

والمودّات ما خلت من تهادٍ مكدرة
كطبيخ خلا من اللحـم يدعى مزوّرة

وأنشد الراغب في محاضراته لجحظة :

قدّم سكباجة مزوّرة أحمض من وجهه اذا أكلت

وفي اليتيمة والمحاضرات وغيرهما من كتب الأدب مقاطيع أخرى تدل على انها غير خاصة بالمرقة . وهي عربية المادة والصياغة فلا يضر كونها مولّدة ونراها اولى بالاستعمال من الكدّابة .

وفي شرح التبريزي على الحماسة في تفسير قول الشاعر :

ألما كم ان تطلبوا بأخيكم أكلُ الخَزير ولعقُ أجردُ أمحق

---

(١) في فوات الوفيات لابن شاكر انه توفي في حدود سنة ٥٠٠

أنّ المراد بالأجرد اللبن الذي أُخذ زبده او رغوته او المرق لاوَدَك عليه ·
ولكن الظاهر انه ليس من الصفات الغالبة ·

لوّاشة

اللواشة بفتح الاول وتشديد الثاني خشبة تشد في فم الدابة لاخضاعها عند الانعال اوالقص او غير ذلك ولم نقف على أصل لها في اللغة والمعروف عند العرب الزيار بكسر الاول قال في الاساس « زيّر البيطار الدابة شد جحفلته بالزيار وهو خيط في رأس خشبة » وفي اللسان « الزيار ما يزيّر به البيطار الدابة وهو شناق يشد به البيطار جحفلة الدابة اي يلوي جحفلته » الى ان قال « وزيّر الدابة جعل الزيار في حنكها ، وفي الحديث ان الله تعالى قال لأيوب عليه السلام لا ينبغي ان يخاصمني الا من يجعل الزيار في فم الاسد ، الزيار شيء يجعل في فم الدابة اذا استصعبت لتنقاد وتذل » · ومن طريف ما يروى ان ابن عصفور لما ألّف كتابه المقرّب في النحو انتقده جماعة من أهل قطره الاندلسيين وغيرهم وألّفوا في ذلك منهم ابو الحسن حازم القرطاجنّي الخزرجي فسمى كتابه شد الزيار على جحفلة الحمار كذا في نفح الطيب وذكر ان في بعض الانتقادات تحاملاً كثيراً وتعسفاً وأنشد :

وفي تعب من يحسد الشمس نورها وبأمل ان يأتي لها بضريب

ماشة

الماشة حديدة ذات شعبتين يمسك بها الجمر وقد تصنع من الصُفْر اذا أُريد استعمالها في مواقد الغرف · والراجح انها دخيلة من التركية فانهم يقولون فيها مشه وماشه وأصلها من الفارسية ماشه قال الحفيد في الدرر المنتخبات المنثورة وهي بالعربية الملقاط قلنا ولم تزل عامة الحجاز تسمي الماشة بالملقاط ولا نرى بأساً من استعماله · وقال المولى علي چلبي في خير الكلام في التقصّي عن أغلاط العوام ان الماشة في التركية عربية الاصل وانها محرفة عن المحشّة ونقل قول القاموس « المحش حديدة يحش بها النار اي تحرّك كالمحشّة » قلنا واذا صح هذا فالراجح انها دخلت الفارسية اولاً ثم اقتبسها الاتراك منها ·

والعرب تقول لماشة الحدّاد الكَلْبتان بالتثنية قال في القاموس « الكلبتان ما يأخذ به الحداد الحديد المحميّ » ومن الشعر العربي الواردة فيه ما أنشده صاحب الأغاني للاشهب ابن رُمَيلة في هجاء الفرزدق ،

يا عجبًا هل يركب القين الفرس ... وعَرَق القين على الخيل نجس

وانما سلاحه اذا جلس ... الكلبتان والعلاة والقبس

والعَلاة السندان . ولم تزل العامة بمصر تسمي الماشات الضخمة التي للحدادين بالكلبتين كما تسمى بها ايضاً آلة خلع الاسنان ولا نرى مانعاً من استعمال الكلبتين ايضاً للماشة المعروفة اي ان نسميها بالملقاط كما قدمنا . اما المحشة فالمفهوم من التعريف اللغوي انها عود لتحريك الجمر لا التقاطه .

نبح

يقولون نبح الدمّل والجرح اذا ضرب بوجع وكذلك كل عضو مصاب برثية ونحوها يقولون فيه نبح عليَّ اذا ضرب بوجع . وليس له أصل في اللغة بهذا المعنى من هذه المادة والعرب تقول فيه أمح قال في القاموس « أمح الجرح يأمح أمحاناً محركة ضرب بوجع » وفي اللسان « الازهريّ قال في النوادر أمح الجرح يأمح أمحاناً ونبذ وأزّ وذَرِب ونَثَع ونَبَغ اذا ضرب بوجع » . قلنا اما النبذ فسر في موضعه بضربان العِرْق والأزّ بضربان العرق و بالوجع في خراج ونحوه ولم نجد ذرب ونثع ونبغ في موادها بهذا المعنى ولكن الازهري ثقة فلعلها استعملت في هذا المعنى بضرب من التجوّز واذا كان كذلك فالظاهر ان العامة حرفت نبح عن نبغ .

هون

الهون بضمة بين الضم والفتح كحركة حرف (o) في الافرنجية وكل فتحة تليها واو ساكنة ينطقون بها كذلك الا ما شذّ عندهم فالأصل فيه هَوْن بفتح فسكون و يريدون به ما يدقّ فيه الشيء والغالب ان يكون من نحاس او صُفْر او رخام . وهو محرف عن الهاون بفتح الواو وضمها و يقال فيه الهاوُون ايضاً فارسي معربٌ وعربيه المحاز والمهراس بكسر أولها . وعبر الاطباء بالمضربة عن الهاون المستعمل في

الصيدليات لمزج المراهم ونحوها على ما يؤخذ من قول القفطي في ترجمة ابي قريش من تاريخ الحكماء « فقال ليس ينفق لكم رأي حتى يذهب بصر هذا ثم دعا بدهن بنفسج وماء ورد وخل وخمر وجعلها في مضربة وضربها على راحته حتى اختلط الجميع » وهذه المضارب كالا يخفى مختلفة الحجم والنوع منها الصغير ومنها الكبير ومنها الرخام ومنها البلور .

وقد اتخذت العرب من الجلود شبه هاون وسمته بالكدن بكسر فسكون قال في اللسان « الكدن شيء من جلود يدق فيه كالهاون وفي المحكم الكدن جلد كُراع يسلخ و يدبغ و يجعل فيه الشيء فيدق فيه كما يدق في الهاون » .

وِشّ

الوِشّ بكسر الاول وتشديد الشين الوَجْه وهو محرّف عنه والظاهر انهم سمعوا ممن يرتضخون فيه لكنة أعجمية او بدوية عامية فيقولون وِجْه بالجيم القريبة من الشين فقالوا هم وِشّ بحذف الهاء وتشديد الشين .

وقد استعملوا الوش في الانسان والحيوان وفي كل شيء فسموا به الظهارة في الأقبية والمخاد وغيرها وقالوا فلان وِشّ كذا اذا كان من بابته اي يصلح له والغالب استعماله في الذم وقالوا للمقارب للشيء هو على وش كذا كقولهم (الفرخة على وشّ بيض) اي قاربت الدجاجة ان تبيض والمهر على وشّ ركوب للمهر المُنْفَقر اي الذي حان ان يركب . ومن كناياتهم (اكل وشّه) اذا انتقده وعابه او بالغ في عتابه . كل ذلك يقولون فيه وش فاذا أرادوا الريف قالوا الوجه البحري ولم يقولوا الوش البحري ومثله الوجه القبلي للصعيد وذلك لان كتّاب الدواوين يكتبونه الوجه في الأوامر والمناشير الصادرة الى مشايخ القرى فجرى على ألسنتهم وسرى منها الى العامة .

أما بلدة الوجه التي كانت من منازل الحج فمنهم من يقول فيها الوجه ومنهم من يقول الوش وعبّر باللفظين أبو العباس أحمد بن محمد الفامي في رحلته الى الحجاز سنة ١٢١١ فقال « ونزلنا غداً عند الشروق بالوش على مسيرة اثنتي عشرة ساعة ووجدنا هنالك ماء كثيراً عذباً » الخ ثم أنشد فيها :

والوجه لولا الماء زال بهاؤه فانزل وهمك عنده الآبار

ولم يعبر الجزيري في درر الفرائد المنظمة الا بالوجه وهو من علماء القرن العاشر وكذلك رأيناه فيما اطلعنا عليه من عبارات المؤرخين وأقوال الشعراء قبل هذا القرن فالظاهر ان تحريف هذا اللفظ بالوش حدث بعد القرن العاشر الا ان يكونوا تعمدوا التعبير بلفظه الصحيح . وعبّر الجبرتي في تاريخه بالوش متابعة للعامة كعادته فقال في ترجمة اسماعيل بك ابن إيواظ بك (١) « فلما رحل الحج من قلعة الوش سمعوا نوبة عبد الله بك من بعيد فلما وصلوا اليهم نزل عبد الله بك وسلم على الصنجق » وكثيراً ما يعبر عن سكنه بالوشّاشة كما يعبر عن سكان العقبة بالعقابة . وقال في موضع آخر في ترجمة حسين بك الوشّاش « وسبب تلقيبه بالوشّاش انه كان طلع للاقاة الحجاج بمنزلة الوش في سنة ورود الفرنساوية » .

يَخ

اليخ بفتح اوله وتشديد الخاء يضربون به المثل في البرودة ولا يعرفون ما هو ويخصونه بالبرودة المعنوية فيقولون (فلان أبرد من يخ) اذا كان ثقيلاً بارداً . وهو لفظ فارسي معناه الثلج وفي معاجمهم انه المعبر عنه في العربية بالجمد .

احمد تيمور

---

(١) إيواظ محرّف عن عوض بكسر ففتح والأتراك يقلبون العين همزة والضاد ظاء في النطق فقالوا فيه أوظ ثم اشتهر بايواظ باشباع الكسرة والفتحة .

تصحيح نهاية الارب

« تتمة أغلاط الجزء الرابع »

وفي ص٩٣ س٤ — قوله (فانظرلنفسك قاضٍ انني رجل الخ) صوابه (فانظر او فاختر لنفسك غيري) والا كان الواجب ان يقول (قاضياً) بالنصب لانه مفعول ولو نصبه لاختل الوزن · على ان المشهور في رواية البيت ما ذكرنا ·

وفي ص٩٣ س٧ — قوله : كان يأخذ الكأس بيده ويخاطبها قائلاً (أما العقل فتُتلفين الخ) ثم يعود فيقول مادحاً (واما النفس فتحيين واما القلب فتُجمين الخ) لعل صواب (فتحيين) (فتشرحين) او ماهذا معناه · واما بحب الخمرة للنفس فلا معنى له اوله معنى تافه لا يقصده البلغاء · ثم انتبهت الآن الى ان صواب (تسحبين) (تسخّين) من السخاء اي تحملين النفس على السخاء والجود ولكن يرد على هذا ان معاجم اللغة لم تذكر (سخّاه) مشدداً لإفادة التعدية اللهم الا ان يقال انه أصل تقرر فيحسن ان يقاس عليه ولا داعي لذكر جزئياته ·

وفي ص٩٣ س١٣ — قوله في صفة سكران (ويمشي ضعيفاً كمشي النزيف الخ) فسّر المصحح (النزيف) بالذي ذهب عقله والصواب انه الذي سال دمه بافراط حتى ضعُف واسترخى جسمه فلم يعد قادراً على المشي نعم انهم يقولون (أنزف ونزف) بالبناء للمجهول اذا ذهب عقله لكنهم لا يقولون في الوصف منه (نزيف) بمعنى ذاهب العقل وانما يقولون (منزف ومنزوف) كما يفهم من التاج ·

وفي ص٩٩ س٥ — قوله (وأزَحْتَ عنه حُثاثه فانزاحا) ضبط (حُثاث) بضم الحاء وصوابه فتحها او كسرها وأصل معنى (الحثاث) السرعة ثم استعير للنوم القليل لسرعة ذهابه · ومنه قول الحريري (لا أطعَم النوم إلا حِثاثا) ·

وفي ص١٠٤ س١٣ — قوله (ولست بفحّاشٍ عليه وان أسى) هكذا كتب (أسى) بالياء · وصوابه (أسا) بالالف لأن أصله (أساء) بالهمزة فاذا حذفت بقيت الألف على حالها كما تبقى ألف كل اسم ممدود بعد حذف همزته ·

وفي ص ١٠٨ س ١٣ — قول ابن المعتز :

(كأنه قائم والكأس في يده هلال اول شهر غاب في شفق)

صوابه (والكأس في فمه) لان الكأس التي يشبه حرفها بالهلال إنما يصح ان يكون مغربها الفم الذي يشبه الشفق بحمرته وتلك الكأس تغيب فيه ولا كذلك اليد : فإنها لا تشبه بالشفق عادة ولا تغيب الكأس فيها ٠

وفي ص ١٢١ س ٢ — قوله في صفة جرار الخمرة (استَوْدعتها روافيد مقيّرة) ضبط (استودعتها) مبنيًّا للفاعل ٠ والروافيد وهي الدنان الكبيرة لا تستودع الخمرة شيئًا آخر وانما هي نفسها تكون مستودَعًا للخمرة فالفعل اذن مبني للمفعول ٠

وفي ص ١٢٦ س ١٧ — قوله واصفًا حسن معاشرته لنديمه وانه يؤثره على نفسه بالطيب من الشراب :

(ولستُ له في فضلة الكأس قائلاً لأصرفه عنها — تحسَّ وقد أبى)

(ولكن احيّيه واكرم وجهه وأشرب ما أبقى وأسقيه ما اشتهى)

صواب قوله (لأصرفه عنها) (لأصرفها عني) اي لا اقول لنديمي تحسَّ اي أشرب فضلة كأسي لاجل ان أصرف هذه الفضلة عني تنزّزاً منها ٠ كلا لا أفعل ذلك ولكن أحيّيه الخ ٠ اما قوله (لأصرفه عنها) فلا يلتئم مع قوله (تحسّ) اذ كيف يصرف نديمه عن فضلة الكأس ثم يقول له تحسها اي اشربها على ان الفضلة تصرف عن الشارب لا الشارب عن الفضلة وعليه قول الشاعر :

(صددتِ الكأس عنا أم عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا)

ومعنى (صددتِ) صرفتِ الكأس وحوّلتها عنا ٠ ولا يحسن ان يقول (صددتنا عن الكأس) ٠

وفي ص ١٢٨ س ٣ — قول البحتري لنديمه في اوائل شعبان :

(قم نبادل بها الصيام فقد أقْمَرَ ذاك الهلال من شعبان)

كذا (نبادل) باللام ولا معنى له وصوابه (نبادر) بالراء اي نعاجل شهر الصوم فنشربها قبل انقضاء شعبان الذي أقمر هلاله اي بلغ ان يصير قمراً ٠

وفي ص ١٢٨ س ٨ — قول البحتري ايضاً :

(ان لانَ عطفاه قـا قلبه او ثبَّتَ الخلخال جال الوشاح)

ضبط ثبّت بتشديد الباء وصوابه تخفيفها ثلاثياً ومعناه استقر ولم يتحرك ·

وفي ص ١٣١ س ٦ — قول ابن عمار :

(متأرّج الحركات تندى ريحه كالغصن هزته الصبا بتنفّس)

كذا (متأرج) بالراء والجيم ومعناه فائح الرائحة الطيبة ولكن إضافته الى (الحركات) يبعد ان يكون هذا المعنى هو المراد هنا فصوابه (متأود الحركات) اي متعطف ومنثني وهو مع ذلك تفوح منه رائحة طيبة فأشبه الغصن من جهتين : اهتزازه وفوحان رائحة زهره و(الندى) شيء يتطيّب به لكن لم يرد منه فعل كما قال هنا (تندى) · فلعله من (نَدِيَ الصوتُ) اذا بعُد فمعنى (تندى ريحه) تبعد في فوحانها ·

وفي ص ١٣٤ س ١٣ — قوله (الغناء رائدة من رائدة الفجور) كذا بتأنيث الكلمتين وافرادهما وصوابه (رائدٌ من رادة) بافراد الاول وتذكيره لانه وصف للغناء وهو مذكر و بجمع كلمة (رادة) فان (رائد) كما يجمع على روّاد يجمع على رادة ايضاً كصاغة في جمع صائغ ومعنى (الغناء رائد من رادة الفجور) انه يتقدمه كما يتقدم الرائد الركب ومثله قولهم (الحمى رائد الموت) ·

وفي ص ١٦٨ س ٥ — قوله (حسبا للباب) صوابه (حسماً للباب) وهو ظاهر ·

وفي ص ١٨٥ س ٢٠ — قوله (والستر المورشيّ) صوابه (الستر الموشّي) وهو اسم مفعول من وشى الثوب اذا زينه ونقشه كوشّاه بالتشديد ·

وفي ص ١٩٥ س ٣ — قال (ما تقول في هذا السماع قلت هو الصفاء الزلالُ التي لا تثبت عليه الاقدام العلماء) قوله (الزلال) ضبطه بضم الزاي فأوهم ان المراد بالصفاء الماء ولكن قوله بعد ذلك (لا تثبت عليه الاقدام العلماء) يبعد هذا المعنى ويدل على ان الكلمتين محرفتان وصوابهما (الصَّفَا الزلاَّل) من دون همز في الاولى وبتشديد اللام في الثانية · والصفا والصفواء والصفوان — كلها بمعنى الصخر الاملس الذي تزل عليه الأقدام و (الزلاّل) صيغة مبالغة من زلّ بمعنى زلق عن صخرة اوغيرها · ومن أمثالهم (كما زلت الصفواء بالمتنزّل) اي كما يزلق النازل عن الصخرة الملساء ·

وفي صفحة ١٩٥ سطر ٩ — قوله (كما ينساب في مكمنه الأرقم) صوابه من مكنه ·
وفي صفحة ١٩٥ سطر ١٣ — قوله (دبَّ من قدمي شيءٌ الى رأسي) صوابه (الى قلبي) بدليل قوله بعد ذلك (فلما اجتمعا على قلبي) ·
وفي صفحة ٢٢٨ سطر ١٣ — قوله (ألا رُبَّ طيفٍ طارق قد بسطته الخ) صوابه (ضيف) بالضاد نعم ان (الطيف) قد يطرق و يرتاح اليه المطروق ولكن سياق الابيات يدل على ان المراد وصف حفاوة (ابي دلف) بالضيف وإحسانه نزله ·
وفي صفحة ٢٤١ سطر ٢ — قوله (وتعجبًا من عمله) صوابه (وتعجبنا) بدلالة السياق ·
وفي صفحة ٢٤٢ سطر ١٤ — قول طويس (أنا والله مع حلائل نساء قومي) حلائل بالحاء المهملة جمع (حليلة) امرأة الرجل الحلال له · وهذا المعنى غير مراد هنا فصوابه (جلائل) بالجيم جمع جليلة وهي المرأة العظيمة · كالجليل في الرجال وتجمع هذه على (جِلَّة وأجِلَّة) كما تجمع تلك على (جلائل) ·
وفي صفحة ٢٩٣ سطر ٣ — قوله (اريد وصيفةً ···· جميلة الوجه ···· سباطة) صوابه (سبطة) بسكون الباء و كسرها يقال امرأة سبطة الخلائق اي رخصته لينته كما في لسان العرب و يقال غلام سبط الجسم اي حسن القد لطيف ·
وفي صفحة ٣٠٠ سطر ١٨ — قوله :

(ما رعدت رعدة ولا برقت لكنها أنشأت لنا خُلُقه)

ضبط (خلقه) بضم الخاء واللام وصوابه (خَلَقة) بفتحها · و (الخَلَقَة) السحابة المستوية المخيلة للمطر اي التي هي مظنة ان تمطر فقولهم سحابة خَلَقَة بمثابة قولنا سحابة خليقة بان تمطر جديرة بانتظار ذلك منها ·
وفي صفحة ٣١٠ سطر ٣ — قول ابي العتاهية :

(نادت بوشك رحيلك الايام أفلست تسمع ام بك استصمام)

صوابه (أم بك الإصمام) بهمزة قطع مصدر أصمَّ الرجل بمعنى صم الثلاثي اي صار أصمّ · ولم يرد في اللغة (استصم) بمعنى صمَّ · وان وردت ايضاً في ديوان ابي العتاهية المطبوع في المطبعة اليسوعية ·
وفي صفحة ٣١٢ سطر ١٨ — قوله في صفة يحيى بن مرزوق المغني (وكان

المغنون يفزعون اليه في الغناء القديم فيأخذونه عنه و يعاني بعضهم بعضاً بما يأخذونه منه)
كذا (يعاني) بنون ثم ياء وصوابه (يعايي) بياءين من المعاياة وهي ان يُلقي إنسان على آخر
قولاً لا يهتدي لوجهه الا بتأمل وإعمال روية وفي الاساس (إياي ومسائل المعاياة ·
فانها صعبة المعاناة) وهذا المعنى اي المعاياة هو المراد هنا بدليل ما جاء في رواية الاغاني
وهي (و يعايي بعضهم بعضاً بما يأخذه منه و يُغرب به على أصحابه) فقوله (و يُغرب) من
الاغراب وهو الاتيان بالشيء الغريب الذي يدهش له السامع فهؤلاء كانوا يقتبسون
من يحيي أصواتاً في الغناء غريبة غير معهودة فيطرحها بعضهم على بعض كما يتطارح
الاخوان الاعايي والاحاجي ·

﴿ تتمة ﴾

نلخص فيما يلي عن مجلة الزهراء أغلاطاً استدركها في هذا الجزء (الرابع) من
نهاية الارب صديقنا العلامة (الاب أنستاس الكرملي) فقال :

في ص ٢٠٥ س ١٢ — قوله (وشاهدنا الورد والياسمين والمسمعات بقُصّابها)
ضبط (قُصاب) بضم القاف وقال مصحح الكتاب (القُصّاب الاوتار التي سوّيت من
الامعاء) وقال الاب أنستاس الصواب فتح قاف (قَصّاب) وهو جمع (قَصّابة) ومعناها
المزمار · ويكون معنى البيت: انه كان يحضرنا في ذلك المجلس الرياحين والمنيات بزاميرهن ·

وفي ص ٢٣٣ س ٨ — عدّد الالحان التي اقتبسها العرب عن الاعاجم فقال
(ألحان الروم والبربطية والاسطوخوسية) الكلمتان الاخيرتان معطوفتان على (ألحان
الروم) فهما إذاً اسمان لقبيلين من البشر فلا يناسب ان نفسر (البربطية) بانها نسبة الى
(البربط) وهو العود والصواب فيها انها مصحّفة عن (البزنطية) اي الامة البزنطية
المنسوبة الى مدينة (بزنطيه) وهو الاسم القديم للقسطنطينية · فالعرب أخذوا الالحان
عن الروم وعن سكان مدينة بزنطية · اما (الاسطوخوسية) فليست بمعنى الاجرام
السماوية كما اعتمده مصحح الكتاب وانما هي كلمة يونانية تسمى بها جزائر صغيرة على مقربة
من ساحل فرنسا الجنوبي قريبة من مرسيليا وتسمى اليوم جزائر (هواره —
Iles d' Hyères) اشتهر سكانها منذ القديم بالقصف والغناء · وهم من جملة من
أخذ العرب الالحان عنهم ·

وفي ص ٢٦٤ س ٧ — قوله (وسألني عن الخبر فأقصصته عليها) قال المصحح لم نجد في القاموس ولا اللسان (أقصّ الخبر) بمعنى (قصّه) ولعلها محرفة عن (فاقتصصته) . وقد استدرك الأب أنستاس على المصحح فقال « ان (أقصّ) الرباعي اذا لم يذكره علماء المعاجم فقد ذكره الطبري في تاريخه (٢ : ١٨٤٠ من طبعة الافرنج) حيث قال (فأتيته فأقصصت قصتهم الخ) . ثم قال الاب أنستاس : وانت تعلم منزلة الطبري من الفصاحة والسلاسة فهو أبرع مؤرخ في الاسلام وأحسن من كتب في الاخبار والأحداث . وانك لا تجد معجماً من معاجم اللغة يحوي بين دفتيه مفردات اللغة العربية كلها لانها بحر لا يتغضغض (اي لا ينقص او لا ينزح) بل ومحال ان تجدها مدوّنة فيها . الا ان استعمال الفصحاء للفظة يُتخذ بمنزلة حجة بل بمنزلة شاهد لما يراد اثباته » . اه ما أردنا تلخيصه من كلام الاب انستاس ونحن نوافقه على جميع ما قال حتى على جواز استعمال كلمة عربية لم ترد في المعاجم ووردت في كلام احد الفصحاء لكنني أشترط التثبت من استعمال الرجل البليغ لتلك الكلمة : مثلاً فعل (تبدّى) بمعنى ظهر لم يرد في المعاجم وورد في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي . وروى ابو تمام في حماسته قوله :

(وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدّى)

فليس هناك شبهة في كلمة تبدّى ولا في نقلها المتواتر في حماسة ابي تمام اما قول الطبري (فأقصصت قصتهم) فإن كلمة (أقصصت) يحتمل احتمالاً قريباً ان يكون النساخ حرّفوها وحذفوا تاءها ويكون أصلها (اقتصصت) فنحن اذن لا نكون على ثقة من ان الطبري استعمل (أقصّ) وارتضاها ما لم نره استعملها في غير ما موضع من كتاباته او اننا على الأقل نجد فعل (أقصّ) في عدة نسخ من تاريخه المذكور ولا يكفي ان نجده في نسخة طبعت في اوربا . والعلامة الكرملي أقدر الناس على معرفة ما اذا كان فعل (أقص) تكرر في كتابات الطبري وجاء في عدة نسخ من تاريخه او لا .

المغربي

النهضة القصصية الحالية

كانت بلاغتنا العربية وما زالت تكاد تخلو من النوع القصصي اذا قيست بادبيات الأمم الافرنجية . وكان كتابنا حتى العهد الاخير من شعراء وناثرين مقلدين اكثر منهم مبتكرين فكانوا يسيرون على نظم السلف في الآراء والافكار والاوصاف فلم يأتوا بشيء جديد بل أضاعوا شخصياتهم وأفنوها بتهالكهم على القديم فحسب . لذلك لم نجد من كتابنا من قدم لنا رواية قصصية او أخرى تمثيلية او أقصوصة عصرية . بل كان همهم الوحيد ان يجيدوا فن الترسل على نمط الهمذاني والحريري اونظم القصائد باكين على الاطلال وهائمين بحب هند ودعد وواصفين النوق والرمال ثم مادحين اوهاجين . وربما وصف الشاعر العصري الهند والسمهري وصاح بملء فيه صياح أبطال الحماسة القدماء وهو لم ير السيف في حياته الا معلقاً في رداء الشرطي ! فجاءت بلاغتنا العصرية — الا القليل منها — تخيفة تثير الضحك لا الاعجاب . ومن منا لا يحزن ومنذ أواخر القرن الماضي ونحن لا نملك من أدبنا العصري القصصي غير كتاب واحد هو « حديث عيسى بن هشام » . اذا أردنا ان نتحدث عن البلاغة القصصية الجديدة لم نجد الا « حديث عيسى بن هشام » واذا أوصينا احداً بقراءة كتاب قصصي جيد لم نجد الا « حديث عيسى بن هشام » . واذا افتخرنا بادبنا القصصي لم نجد الا « حديث عيسى ابن هشام » . حتى ضقنا ذرعاً به وضاق هو الآخر ذرعاً بنا . ووددنا ان نسكت بدلاً من ان نتكلم عن كتاب واحد فقط . ولكن عزاءنا اليوم اننا بدأنا نرى بزوغ النهضة القصصية العصرية في أفق أدبنا . فاذا تعهدها القائمون بها بالعناية والرعاية والاتقان والجودة سارت سيرها الطبيعي بلا عائق وانتجت نتاجاً قوياً سيكون ميراث المستقبل من بلاغتنا القصصية الجديدة . وانا ذاكرون هنا من لم تخنا ذاكرتنا في ذكرهم من مؤلفينا الجدد الذين وهبوا الأدب العصري القصصي مبتكرات عقولهم . ولو كان المقام متسعاً أمامنا او كنا في موقف النقد لكنا أفسحنا للقلم مجالاً اكبر مما سنفسحه له الآن . ولكن عذرنا في ذلك واضح . فمقدمة كتاب قصصي لا تستطيع ان تحوي نقداً مسهباً تحليلياً لكتاب العصر وكتبهم لذلك نترك للنقاد ميدانهم يجولون

فيه ونقصر بحثنا هنا على ذكر مختصر للكتب القصصية التي ظهرت في عالم البلاغة العصرية والمؤلفين القصصيين الجدد الذين تصدوا للقيام بهذا العمل الجليل ·

حديث عيسى بن هشام لمحمد بك المويلحي

اول كتاب ظهر في الادب المصري القصصي جدير بان نضعه بلا محاباة في الصف الاول من مؤلفاتنا القصصية · اتبع صاحبه في تأليفه طريقة المقامات واستعان باسلوبها المسجع في كثير من مواضعه · لذلك لانستطيع ان نسميه رواية قصصية بالمعنى المعروف عندنا الآن لخلوه من (الحادثة) او (العقدة) التي تمتاز بهما القصص العصرية · ولكن هذا لايقلل من قيمة الكتاب للدقة التي استعملها المؤلف في رسم الشخصيات وتحليلها ·

ليالي سطيح لحافظ بك ابراهيم

هذا الكتاب أقرب الى المقامات من حيث الأسلوب والطريقة من حديث عيسى بن هشام · بل يكاد يكون مقامة واحدة طويلة تتضمن نقداً على الأخلاق والعوائد المصرية · ليس فيه شخصيات بارزة مرسومة بريشة قصصية كما في حديث عيسى بن هشام لذلك فاق عليه الاخير في ميدان البلاغة القصصية المصرية وسبقه بمراحل كثيرة ·

قصة زينب لمصري فلاح (الدكتور حسين بك هيكل)

هي قصة عن حياة الارياف جديرة بان تسمى بحق اول رواية قصصية مصرية · راعى مؤلفها في صياغتها كل مايتطلبه الفن القصصي الراقي فأتت قطعة تامة النضوج في بلاغتنا الحديثة · حوارها كله باللغة العامية وهي ميزة يجب ان نقررها بالحمد والشكر للمؤلف · أسلوبها بسيط وجميل خال من التكلف والتمحل يحبب للانسان القراءة · ولكن مما يؤسف له ان صمت المؤلف صمتة نخشى ان تكون دائمة · ولعل قلة الرواج الذي صادفته القصة في عالم الأدب المادي والحالة السياسية التي طوحت بالمؤلف في لجتها اليوم كانتا من أهم الاسباب التي دعت الى هذا الصمت ·

(لا أذكر متى ظهرت هذه القصة بالتحقيق وربما كان ذلك حوالى عام ١٩١٢ والنسخة مع الأسف خالية من تاريخ الطبع ·

* * *

قصص جرجي زيدان التاريخية

لولم ينل الاستاذ جرجي زيدان شهرته الواسعة بكتبه العلمية التاريخية لكفته قصصه التاريخية برفعه الى هذا المستوى نفسه . ولكن قلة العناية بالبلاغة القصصية في العالم العربي عامة والمصري خاصة حدا بجمهور القراء ان لا يأبهوا كثيراً بهذه القصص النفيسة .

وتسمى هذه القصص « سلسلة روايات تاريخ الاسلام » وعددها ثماني عشرة أتى فيها مؤلفها بتاريخ الامة الاسلامية في عصورها المختلفة في قالب قصصي مستحب . بدأها « بفتاة غسان » ثم « بأرمانوسة المصرية » وختمها «بشجرة الدر » وكتب غير هذه السلسلة اربع روايات أخرى عن تاريخ مصر في عهد المماليك وعن الحرب السودانية المهدية . وقد كتب من روايات السلسلة نفسها رواية عن الانقلاب العثماني في تركيا فكأنه استوفى تاريخ الاسلام ومصر جميعه قصصاً . وأسلوبه القصصي والعلمي على حد سواء سهل للغاية ومقبول . اما صوغ حوادث التاريخ بأسلوب قصصي فلا ريب في انه بلغ فيه شوطاً كبيراً من الاجادة والنبوغ . وحسبه ان معظم هذه القصص قد طبع للمرة الثانية والثالثة وترجم بعضها الى اللغات الاجنبية مثل الفرنسي ، والشرقية مثل الهندي والفارسي . التركي .

نتائج الاحوال في الاقوال والافعال : لعائشة تيمور

منذ ثمانية وثلاثين سنة هجرية ظهر في عالم الأدب المصري كتاب قصصي للمنشئة الأديبة السيدة عائشة تيمور هو كتاب « نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال » . (السيدة عائشة تيمور الشاعرة المعروفة احدى أركان النهضة النسائية المصرية وتعتبر اول كاتبة وشاعرة مصرية في أواخر القرن الماضي » . ليست شهرة هذا الكتاب في جودته أسلوباً وطريقة ووضعاً بل في وقت ظهوره وفي الكاتبة التي ألفته . الكتاب يتضمن قصة واحدة على نمط قصص «الحواديث» المصرية بشكل ارقى وأجمل . وأسلوبه مسجع على الطريقة القديمة في العصر العربي المتأخر . ولكن ميزته ان مؤلفته سيدة شرقية مصرية وانه كتب في عصر كان فيه الاهتمام بالأدب والكتابة مقصوراً على الرجال دون النساء . أضف الى ذلك قلة الادباء من الرجال في ذلك العهد وكيف ان التيمورية بزت كثيراً منهم بشعرها ونثرها . واذا علمنا إهمال جمهور القراء والكتاب في هذا

العصر لفن القصص استطعنا ان نقدر لتيمورية مجهودها وجرأتها ونبوغها في ذلك الوقت الذي كان فيه ظلام الجهل يكاد يكون شاملاً الجميع ·

اقاصيص المنفلوطي في النظرات والعبرات

اشتهر المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي «بنظراته» التي كان ينشرها في المؤيد كل اسبوع مرة والتي جمعها وزاد عليها مما لم ينشره فجاء سفراً في ثلاثة اجزاء جمع شتى المواضيع من انتقادية وأدبية واجتماعية وقصصية · ثم نشر كتاب العبرات وهو مجموعة أقاصيص منها المصري المؤلف ومنها الاجنبي المقتبس والمترجم · لذلك يمكننا ان نعتبر المنفلوطي كاتباً قصصياً عالج فن الأقاصيص المصرية ·

كانت طريقة المنفلوطي في كل كتابته العناية بالأسلوب واللفظ اكثر من عنايته بجوهر الموضوع خصوصاً في قطعه القصصية المؤلفة ، وان كان هذا لا يمنعنا من ان نقدر له آراء قيمة في بعض قطعه الأدبية والاجتماعية وكذلك القصصية · ولكننا نقدر له فوق كل شيء سلاسة أسلوبه وجماله ورقة ألفاظه ووضوح أغراضه مع محافظته على اللهجة العربية الفصيحة · يمكننا ان نجاهر بلا خشية ولا لوم ان المنفلوطي وان كان قد أجاد في أسلوبه القصصي السلس الجميل فقد فشل في مواضيعه القصصية ورسم أشخاصه فيها · فجل مواضيع اقاصيصه تافهة يصح ان نضيفها الى مجاميع الامثال والمواعظ · اتبع في تأليفها طريقة المذهب «الرومانتيكي» المتطرف الذي يشوه فيه الخيال صور الحقائق الناصعة · اما اشخاص قصصه فهي أشباح ليس لها كيان ولا جسم تكاد تتلاشى أمام عينك من شحوبها ·

ما تراه العيون للمرحوم محمد تيمور

ليس رائدي في كل ما كتبته غير الاخلاص والحق لذلك ارجو ممن يقرأ كلمتي هذه عن تيمور الراحل فقيد ادبنا ومسرحنا ان لا يتهمني بالتحيز والمغالاة في القول لاتصالي التام به · ان محمداً تيموراً شقيقي المحب اولاً ، وصديقي الوفي ثانياً ، واستاذي الكبير ثالثاً ، من اعترف له امام الناس جهاراً بالفضل التام عليَّ في كل ما أُوتيته وما سآتيه من مجهود لا اعلم مداه ولا نتيجته · ولكن كل هذا ليس له تأثير على نفسي في موقفي هذا وانا اقرر الحقيقة التي لا ارغب في ان ازيد حرفاً واحداً عليها · لذلك اقول بلا محاباة ولا غلو ان

تيمور الراحل كان اكبر مؤلف روائي وقصصي مصري وجد في نهضتنا القصصية الحديثة . انني وانا فرد من حاملي لوائه ، السائرين على طريقته ومذهبه ، المنفذين رغبته ، المتممين لمطامعه وآماله لا اعترف لقصصيينا الذين عالجوا الكتابة في الادب المصري بالفضل الا بقدر اقترابهم وإجادتهم للمذهب الذي كان شعار الفقيد في كل ما كتب وهو العمل على ايجاد آداب مصرية بالمعنى الصحيح . فاذا قلت ان «المنفلوطي» فشل في اقاصيصه المصرية ذلك لانه لم ينجح في اخراج صور ناضجة واشخاص حية بارزة من البيئة المصرية . واذا قلت ان الدكتور «هيكل» قد اجاد في قصة «زينب» ذلك لانه نجح نجاحاً يغبط عليه في ايجاد جو مصري صادق اللون في روايته . واذا قلت ان محمداً تيموراً هو اكبر مؤلف قصصي وروائي وجد في نهضتنا الحديثة ذلك لانه قصر ميدانه على البيئة المصرية بأشخاصها وجوها وصورها واجاد في اخراج هذه الصور في رواياته التمثيلية واقاصيصه تامة النضوج من حيث جودة التأليف ودقة التصوير . والذي يهمنا من مؤلفاته — (ظهرت مؤلفات الفقيد في ثلاثة اجزاء وقد حوت كل ما كتبه من شعر ونثر واقاصيص وروايات تمثيلية) — في هذا المقام هو اقاصيصه المسماة « بما تراه العيون » . اشتهر عن الفقيد انه كان قوي الملاحظة الى حد بعيد ، تنطبع في ذهنه صور المرئيات بخاصة عجيبة ، ماهر في التقليد الى درجة من الاتقان كبيرة ، دقيق الوصف ماهر في صناعة التأليف ، له مذهب في الآداب لايحيد عنه . قاصر كل مجهوده عليه وهذا المذهب كما اسلفنا الذكر هو العمل على « ايجاد آداب مصرية » تكون بمثابة مرآة تنعكس عليها بيئتنا . لذلك كتب اقاصيصه باتقان كبير ولا مشاحة في انه اليوم اجدر اهل عصره في تبوئي اسمى مركز في بلاغتنا القصصية كما يصح ان نسميه بحق اول منشئ مجيد لفن الاقاصيص المصرية .

مؤلفون قصصيون آخرون

لقد ظهر في الوقت الحالي اي في البضع سنين الاخيرة بعد المرحوم محمد تيمور مؤلفون عالجوا فن كتابة الاقاصيص . وهم على قلتهم وقلة مؤلفاتهم يبشرون بمستقبل زاهر جميل . ولا ريب في ان بلاغتنا القصصية في المستقبل ستكون مدينة لهم بمجهودهم الصادق

في « العمل على ايجاد آداب مصرية بالمعنى الصحيح » ووضع اساس هذا الفن الجديد . ومن هؤلاء الادباء ممن لم تخني ذاكرتي في عدهم هم : المرحوم عبيد مؤلف كتابي « احسان هانم وثريا » وشحاته عبيد مؤلف كتاب « درس مؤلم » وابراهيم المصري وحسن محمود ومحمود عزمي وزكريا جزارين والدكتور حسين فوزي وطاهر لاشين وخيري سعيد وعبد القادر المازني وحسن صبحي وسليم شحاته (نشرنا الاسماء بحسب ظهور الاقاصيص مع حفظ الالقاب) وغيرهم من الادباء القصصيين العصريين الذين يتكاثرون كل يوم فيزيدون ثروتنا الادبية القصصية .

وقبل ان نختم هذا الفصل نذكر اسمين اشتهرا في عالم الادب القصصي العربي وهما المرحوم فرح انطون والاديب نقولا حداد . الاول كتب رواية قصصية واحدة سماها « اورشليم الجديدة » وهي قصة شرقية عصرية نزعتها فلسفية اجتماعية . والثاني كتب عدداً عظيماً جداً من الاقاصيص والقصص المترجمة والمقتبسة والمؤلفة . ولكنه بعيد مثل رفيقه السالف عن نزعة « تمصير الآداب » اي خلق ادب مصري في بلاغتنا الجديدة لذلك انت جميع قصصه وليس عليها من طابع المصرية الا القليل النادر . وهو يعد بحق اكثر كتاب العربية القصصيين كتابة . كثيراً ما يعالج في قصصه نشر الافكار والآراء اجتماعية كانت اوسياسية . وهو مؤلف محبوب من جمهور الشرق العربي عامة . ومن رواياته القصصية الجديرة بالاعتبار «آدم الجديد وحواء الجديدة وجمعية اخوان العهد» .

ويوجد غير هذين الاسمين اسمان مشهوران . اولهما الاستاذ العلامة الدكتور يعقوب صروف والاستاذ الفاضل مصطفى صادق الرافعي .

الاول عالم معروف بعلمه في كافة الاقطار العربية ولكنه مع ذلك قد عالج فن الكتابة القصصية من زمن مضى فوضع ثلاث قصص مصرية ، شرقية ، عربية هي: «فتاة مصر وامير لبنان وفتاة الفيوم» . والثاني كتب ثلاثة كتب قصصية عربية هي : « المساكين ورسائل الاحزان والسحاب الاحمر » وروايات الدكتور صروف روايات شرقية اكثرمنها مصرية تصف «المجتمع» الذي كتب عنه المؤلف وصفاً مجيداً . اما كتب الرافعي فمشهورة بروعة أسلوبها العربي الصميم الذي لا يخلو في كثير من الأحيان من غموض ظاهر يصدم القارئ القصصي اثناء مطالعته . وهي كتب فلسفية اكثر منها قصصية اه . الجزيرة : محمود تيمور

التنبيه

على اوهام ابي علي في اماليه

ابو عبيد البكري احد أئمة الاندلس في التاريخ والنسب والادب والجغرافيا وكتاب معجم ما استعجم آية الآيات في فضله يشهد له بطول الباع وسعة الاطلاع والتحقيق . ولقد عثرنا له من بضع سنين على كتاب مخطوط في خزانة كتب السيد مراد البارودي (١) في بيروت ذكر فيه الاوهام التي مرت الى بعض روايات ابي علي القالي في اماليه المشهورة بانها من امهات كتب الادب (٢) ومن مدهشات المؤلفات في الرواية والدراية وهاك مقدمته ففيها بيان الغرض من كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه . قال ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري رحمه الله الحمد لله خير مابدئ به الكلام وختم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم هذا كتاب نبهت فيه على اوهام ابي علي رحمه الله في اماليه تنبيه المنصف ، لا المتعسف ، ولا المعاند محتجاً على جميع ذلك

---

(١) كان في هذه المكتبة عدة مخطوطات لطيفة منها خطب ابن نباتة بخط صلاح الدين الصفدي كتبها في صفد سنة ٧١٨ وهي ناقصة جملة صغيرة من الاول وترتيبها على غير ترتيب المطبوع . ومنها مقصورة ابن دريد شرحها ابن خالويه . ومنها كتاب ازهار الاقطار في جواهر الاحجار للتيفاشي وهي نسخة خزائنية كتبت سنة ٦٩٧ ومنها الجزء الرابع من التذكرة المعظمية في الاحكام الشرعية للتميمي فرغ منه سنة ٦٢٧ ومنها معيد النعم ومبيد النقم للتاج السبكي وفيه بعض زيادات على المطبوع في ليدن سنة ١٩٠٨ ومنها ديوان ابي تمام بالشكل الكامل كتب سنة ١٠٦٧ ومنها فقه اللغة للثعالبي كتب سنة ٦٥٣ ناقص من اوله وآخره ومنها نسخة من ديوان المتنبي كتبت سنة ١٦٦٣ فيها بعض ابيات غير موجودة في النسخ المطبوعة . الى غير ذلك من النوادر .

(٢) طبع كتاب امالي ابي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي سنة ١٣٢٤ هـ في المطبعة الاميرية ببولاق مصر . ووضع له العالمان كرنكو وبفين فهرساً يقرب بعيده مثل اسماء البلدان والقوافي وغير ذلك وقد طبع في ليدن سنة ١٩١٣ .

بالشاهد والدليل ، فاني رأيت من تولى مثل هذا من الرد على العلماء والاصلاح لاغلاطهم ، والتنبيه على أوهامهم ، لم يعدل في كثير مما رده عليهم ، ولا انصف في جمل مما نسب اليهم ، وابو علي رحمه الله من الحفظ وسعة العلم والنبل ، ومن الثقة في الضبط والنقل ، بالمحل الذي لا يجهل ، و بحيث يقصر عنه من الثناء الاحفل ، ولكن البشر غير معصومين من الزلل ، ولا مبرئين من الوهم والخطل ، والعالم من عدت هفواته ، وأحصيت سقطاته ، كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه .

فلما اوريت من هذه الفوائد كابيها ، وأبديت خافيها ، اعطيت بها القوس باريها ، واهديتها الى المعتمد على الله المؤيد بنصر الله خلد الله دولته ، وثبت وطأته ، لالتماسه اسرار الحكم ، واقتباسه انوار الكلم ، وعنايته بانواع العلم ، واخذه من جميعها بأوفر قسم ، لا اعدمه الله نجماً من السعد مليحاً ، وطائراً من اليمن سنيحاً .

انشد ابو علي رحمه الله :

لقد تركت فؤادك مستجناً	مطوقة على فنن تغنى
يميل بها وتركبه بلحن	اذا ما عن للمحزون انا

ومنها :

وهاتفين بشجو بعدما سجعت	ورق الحمام بترجيع وإرنان
بانا على غصن بان في ذرى فنن	يرددان لحوناً ذات ألوان

وفسر ما ورد في هذه الاشعار من ألحان الحمام ان المراد به اللغات وانما المراد به اللحن الذي هو ضرب من الاصوات المصوغة للتغني ودليل ذلك قوله :

مطوقة على فنن تغنى

وقول الآخر : يرددان لحوناً ذات الوان

انما أراد ذات الوان من الترجيع كما قال في البيت قبله بترجيع وارنان . قال ابو علي رحمه الله واصل اللحن ان تريد الشيء فتوري عنه كقول رجل من بني العنبر كان اسيراً في بكر بن وائل وذكر الخبر بطوله وفسر ما فيه الى قوله يريد بقوله ان العرفج قد ادبى ان الرجال قد استلأموا اي لبسوا الدروع . ليس في قوله ان العرفج قد ادبى دليل على ماذكره ابو علي رحمه الله ولا من عادة العرب ان تلبس الدروع الا في حال الحرب ولما في بيوتها قبل الغزو فذلك غير معروف وانما اراد بذلك ان يؤذنهم بوقت الغزو و ينبههم على

التيقظ والحذر قال ابو نصر رحمه الله : ادباء العرفج ان ينسق نبته و يتأزر واذا اتسق النبت وتأزر أمكن الغزو وقال ابو زياد رحمه الله : العرفج نبت طيب الريح اغبر الى الخضرة له زهرة صفراء ولاشوك له و يقال له اذا اسود عوده حتى يستبين فيه النبات قد اقمل فاذا زاد قيل قد ارفاط فاذا زاد قليلاً قيل قد ادبي وهوحينئذ قد صلح ان يؤكل فاذا اغتم وضخت خوصته واكلأ قيل قد اخوص فاذا ظهرت عليها خضرة الري قيل عرفجة خاضبة ومنابت العرفج يقال لها المشافر وهي ايضاً الحومان وتكون في السهل والجبل اه ٠

وهاك نموذجاً آخر من الكتاب قال البكري : وانشد ابو علي رحمه الله غير منسوب في خبر ذكره عن الاصمعي رحمه الله :

احقاً عباد الله ان لست ناظراً الى قرقرى يوماً واعلامها الغبر
كان فؤادي كلما مر راكب جناح غراب رام نهضاً الى وكر
اذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكر
فيا راكب الوجناء ابت مسلماً ولازلت من ريب الحوادث في ستر
اذا ماأتيت العرض فاهتف بجوه سقيت على شحط النوى سبل القطر
فانك من واد اليّ مرجب وان كنت لا تزدار الا على عفر

خلط ابو علي رحمه الله في هذا الشعر وهو من شعرين مختلفين لرجلين فثلاثة الابيات منه ليحيى بن طالب على ما انا ذاكره وثلاثة الابيات منه لقيس بن معاذ وكان يحيى بن طالب الحنفي سخياً يقري الاضياف فركبه الدين الفادح فجلا عن اليمامة الى بغداد يسأل السلطان قضاء دينه فأراد رجل من اهل اليمامة الشخوص من بغداد الى اليمامة فشيعه يحيى فلما جلس الرجل في الزورق ذرفت عينا يحيى وانشأ يقول :

أحقاً عباد الله ان لست ناظراً الى قرقرى يوماً واعلامها الخضر

هكذا صحة انشاده واعلامها الخضر لا الغبر كما انشده ابوعلي رحمه الله وكيف يحن الى اوطان يصفها بالجدب والاغبرار :

اذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكر
كأن فؤادي كلما مر راكب جناح غراب رام نهضاً الى وكر

فيا حزنا ما ذا اجنّ من الهوى ومن مضمر الشوق الدخيل الى تجر
تعزيت عنهـا كارهًا فتركتها وكان فراقيها أمرّ من الصبر
اقول لمومى والدموع كأنها جداول ماء في مساربها تجري
الاهل لشيخ وابن ستين حجة بكى طرباً نحو اليمامة من عذر

وقد ذكر ابو علي رحمه الله خبر يحيى هذا وأنشد له هذا الشعر ولكنه نسي ولولا نسيانه لاعتذر وهكذا صحة اتصال ابيات شعره لا كما وصلها ابو علي رحمه الله واما ابيات قيس بن معاذ فانها :

ايا راكب الوجناء ابت مسلما ولازلت من ريب الحوادث في ستر
اذا ما اتيت العرض فاهتف بجوه سقيت على شحط النوى سبل القطر
فانك من واد الي محبب وان كنت لا تزدار الا على عفر
لعل الذي يقضي الامور بعلمه سيصرفني يوماً اليه على قدر
فتبرقأ عين ما تمل من البكا ويسكن قلب ما ينهنه بالزجر

وأنشد ابو علي رحمه الله لمالك بن اسماء في اخيه عيينة لما سجنه الحجاج :

ذهب الرقاد فما يحس رقاد مما شجاك وحنت العواد
خبر أتاني عن عيينة منظع كادت تقطع عنده الاكباد
بلغ النفوس بلاؤه فكأننا موتى وفينا الروح والاجساد
لما أتاني عن عيينة انه امسى عليه تظاهر الاقياد
نخلت له نفسي النصيحة انه عند الشدائد تذهب الاحقاد
وعلمت اني إن فقدت مكانه ذهب البعاد فصار فيه بعاد
ورأيت في وجه العدو شكاسة وتغيرت لي اوجه وبلاد
وذكرت اي فتى يسد مكانه بالرفد حين تقاصر الارفاد
ام من يهين لنا كرائم ماله وله اذا عدنا اليه معاد

هذا الشعر لعويف القوافي بلا اختلاف واي حقد كان بين مالك واخيه حتى يقول:

نخلت له نفسي النصيحة انه عند الشدائد تذهب الاحقاد

وكيف يقول مالك في اخيه ام من يهين لنا كرائم ماله ومالك أغنى من عيينة

وأنبه وانه كان متصرفاً في الرفيع من اعمال السلطان وكان مع ذلك من اهل الفصاحة واللسن والشعر الفائق والبراعة وعويف احد الشعراء المنتجعين بالشعر المسترفدين للملوك وانما قال عويف عند الشدائد تذهب الاحقاد لان اخت عويف كانت تحت عيينة ابن اسماء فطلقها فغضب من ذلك عويف وقال الحرة لا تطلق الا لريبة و باعد عيينة وعاداه فلما بلغه ان الحجاج سجن عيينة وقيده عطفه ذلك عليه وأذهب حقده له فقال الشعر وهو عويف بن معوية بن حصن وقيل ابن عقبة بن عيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر الفزاري وهو شاعر مجيد سمي عويف القوافي بقوله :

ساكذب من قد كان يزعم انني اذا قلت قولاً لا اجيد القوافيا

والكتاب في ٦٩ ورقة منصفة القطع تغلب الصحة على صفحاته وهو مشكول بالشكل الكامل وقد كتب في آخره . آخر كتاب التنبيه على اوهام ابي علي في اماليه فرغ من تعليقه يوم الاثنين لعشر بقين من صفر سنة اثنتين وستين وستمائة احسن الله تقضيها بالقاهرة المحروسة اه .

محمد كرد علي

آراء وافكار

قصة زقاق الاربعين

«أسرة في حلب تحتاج الى التمحيص»

زرت حلب في صيف سنة ١٩٠٩ م منتقداً مكاتبها القديمة وآثارها فعثرت على اشياء مهمة وصفت بعضها في مجلة (النعمة) البطريركية الدمشقية ولا سيما المكاتب المجهولة فيها وبعض أسرها ٠

وزرت الصديق الالمعي قسطاكي بك الحمصي فأطلعني على قطعة بخط جده لامه المرحوم عبدالله جبرائيل الدلال [1] في تاريخ أسرة الدلال وفي اولها هذه المقدمة بالحرف :

« يجب ان تعلم انه لما شرف لحلب السلطان مراد [2] المعظم متوجهاً الى فتوح مدينة بغداد وذلك في سنة ١٦٣٨ وقد شاهد هذه المدينة [3] خالية من وجود سكناء مسيحيين بها في تلك الاوقات فزجر الملك وجوه اهالي هذه البلدة واصدر امره الشاهاني ان تحضر مسيحيين وتسكن بهذه المدينة ٠ وتهدد الاهالي انه لحيز رجوعه من بغداد اذا لم يرى مسيحيين قاطنين بها فيقاصصهم ٠ فاقتضى وجوه البلدة يطلبوا من منتقدمي مدن القريبة لحلب عيّل [4] مسيحيين وأحضروا من الجهات اربعين عيلة وأعطوهم محلة للسكنى وسميت (بزقاق الاربعين) تلك المحلة المشهورة الى يومنا هذا [5] وهي خارج باب النصر ٠

ولما رجع المرحوم السلطان مراد وشاهد نفوذ امره الشاهاني فانسر من ذلك ومع تمادي الزمان تزايدوا المسيحيين ونموا وقد كان من جملة احد الاربعين عيلة الذين اولاً أحضروهم لحلب بموجب الامر الملوكي كان جدنا الاول وهو المدعو (متروك) اي ديمتري من طائفة الروم الملكية ولاجل البيان وتذكراً لمن يأتي بعدنا قد دونته ٠

(١) راجع كتاب (السحر الحلال في شعر الدلاّل) لحمصي بك (٢) هو السلطان مراد الرابع (٣) حلب (٤) اي عيال (٥) والاسم باقٍ الى يومنا ٠

الفقير عبدالله جبرائيل دلال في هذا الكتاب وذلك بتاريخ ٥ ربيع الاول سنة ١٢٥٤ الموافق مسيحية ١٤ ايار سنة ١٨٣٨ [١] .

الفقير

عبدالله جبرائيل دلال

* * *

وقابلت في حلب الصديقين اللوذعيين الخورفسقف جرجس منش وميخائيل افندي الصقال فانكرا قصة زقاق الاربعين . ولما عدت الى زحلة طلبت من الاب منش ادلته على (قصته الزقاقية) فكتب اليّ بما حرفيته :

الحكاية الزقاقية = على ان نفراً من المتطرفين غير المحققين قد استنتجوا من هذا [٢] انقراض نصارى حلب باسرهم واستخلافهم بغيرهم فكان رأيهم قائلاً ونتائجهم أوسع من مقدماتهم واسنادهم ساقطة لاستنادهم الى حكاية طويلة هذا محصلها :

قالوا لما دخل السلطان سليم الغازي حلب ظافراً بالغوري آخر ملوك الشراكسة ولم ير فيها احداً من النصارى . قال : لا بد ان يحضروا بعضهم فيرام فيها بعد عوده اذ ذاك من حرب العجم فاستأتوا باربعين عائلة منهم فعرف الزقاق الذي عمروه منذ ذاك العهد (بزقاق الاربعين) انتهى تحصيلاً .

قلت : هي حكاية خرافية لا تثبت على محك الانتقاد على ما اثبته في المشرق الاغرّ (٦ : ٣٥٩) والآن أعرض دلائلي على الصورة الآتية زيادة في جلائها فأقول : ان السلطان سليماً مهما كان عدله في رعاياه لا يظن احد أنه يأمر باستثناء النصارى الى حلب حتى يتنازعوا امته الاسلامية اسباب البقاء . بل مهما كان حبه للنصارى بالخصوص فلا يظن احد انه يدفعه الى الاهتمام بالنصارى كل هذا الاهتمام الذي يُعدّ في غير محله عند كل منصف من الخاص والعام .

والحكاية مختلة من الوجهة التاريخية من عدة وجوه أخصّها ان السلطان سليم

---

(١) وهنا عدّد تسعة جدود من بني الدلال من ديمتري (متروك) الى جبرائيل والده . (٢) كان كاتب المقالة قد بين في مقالة خاصة قبل هذه علاقات الأسر الحلبية بغيرها من الاسر اللبنانية والسورية والعراقية فأشار اليها الآن .

الغازي حارب الدولة العجمية سنة ٩٢٠ هـ وحارب الغوري سنة ٩٢٢ فتاريخ الحكاية فاسد ثم ان التقليد مسنود الى ابن الشحنة . وقد قلبتُ تاريخه كله . فلم ار منه حرفاً لانه اي ابن الشحنة عاش في غزوة تيمورلنك الشهيرة وبين هذه الغزوة وبين عصر الحكاية المزعومة لا اقل من مئة سنة فكيف يروي ماجرى بعده بسنين متطاولة .

ثم ان الدعوى بانقراض النصارى في حلب منقوضة بادلة صريحة محفوظة عند كل طوائف النصارى اقتصر على اثنين منها :

(الاول) ان العلامة مكسيموس مظلوم يذكر استيلاء المسلمين على كنائس النصارى في حلب ودمشق وانطاكية في نحو اواسط القرن الخامس عشر (القائد الامين ص ٦٠).

و(الثاني) ان كنيسة الموارنة كانت قائمة في اواخر القرن المشار اليه على ماهو مدوَّن في ذيل كتاب الفروض الكنسية المصون الآن في مكتبة البطريركية المارونية فهل بعد هذا يسلّم باحث او مؤرخ بانقراض النصارى الموهوم .

ومع هذا كله لا امتري بضعف حال النصارى في أواخر القرون الوسطى ولكنني امتري بمآل هذا الضعف الى حدّ الانقراض والتلاشي كما يزعمون فغاية ما يخرج به هذا التقليد : ان ماحصلت عليه البلاد من الامان والسلام في عهد السلطان العادل دفع فريقاً من أسر النصارى ان يهجروا لبنان وحمص وحماه وسواها ويعمروا حلب فتناقل الخلف عن السلف مثل هذه الانباء الطيبة وتوسعوا في روايتها حتى انتهت الى حد الخرافة وليس هذا هو اول التقاليد الشعوبية المنقوضة بل مثله كثير يحتاج الى التحقيق واعمال الروية . وهذا لا يحط من التقليد على عمومه كما لا يخفى على كل ذي ذوق سليم .

اما تسمية المحلة (بزقاق الاربعين) فهي عامة في حلب وبيروت ودمشق وزمن اطلاقها اكثر قدمية من هذا العهد على ماأظن وسبب تسميتها مجهول في الغالب لا تبينه الدلائل الحاضرة فيماارى فأدعه الى فرصة أُخرى لعل الزمان يكشف عن خبايا القدم اهـ .

هـذا ما كتبه اليَّ الاب منش على اثر عودتي من حلب كما مرَّ وهو منذ سبع عشرة سنة والآن لا أعلم ما ذا ظهر له من هذه المباحث .

وقال صديقي الاستاذ المؤرخ الشيخ كامل الغزي الحلبي في كتابه (نهر الذهب في تاريخ حلب) الجزء الاول الصفحة ١٩٧ ما نصه :

« ولما دخل السلطان سليم خان الثاني الى حلب ورأى قلة من فيها من التجار نقل اليها من البلاد المجاورة اربعين أسرة من التجار المسلمين ومثلها من التجار المسيحيين أسكنهم في (زقاق الاربعين) المنسوب اليهم اه .

وذكر في كتابه المذكور الجزء الثاني الصفحة ٤٢٧ ما مآله :

حارة زقاق الاربعين عدد بيوتها ٩١ وسكانها من مسلمين ونصارى على اختلافهم ٤٨٤ منهم ٣٩ مسلمون والباقون نصارى .

يحدها قبلة حارة عبد الرحيم وشمالاً المزازة وغرباً عبد الحي وشرقاً محلة الاكراد . يقال ان هذه المحلة مما أسس في ايام السلطان سليم خان العثماني بعد استيلائه على حلب أحضر اليها اربعين أسرة من المسيحيين ليقوي بهم تجارة حلب على ما ذكرناه في المقدمة في الكلام على النصارى . فبنت تلك الأسر في هذا الموضع اربعين داراً اتخذوها لسكناهم وسميت المحلة بعددهم » (انتهى قوله) .

ولم أقف على ما دونه الصديق الشاعر ميخائيل افندي الصقال في كتابه (تاريخ حلب القديم) و (تاريخها الحديث) وهما مخطوطان أفرد فيهما باباً كبيراً للبحث في نصارى حلب ومشاهيرهم . ولكنه قال لي شفاهاً في حلب ويوم زارني في مدينة زحلة منذ سنوات انه لا يسلّم بحكاية (زقاق الاربعين) ونسبته الى اربعين أسرة سكنته .

* * *

هذا ماحضرني الآن عن (زقاق الاربعين) بسطته على علاّته لعل احد الواقفين على حقيقة الخبر يمحصه لان مافيه من المناقضات لاتقبله فلسفة التاريخ ولاسيما ان القصة يسندها بعضهم الى عهد السلطان سليم والآخرون الى السلطان مراد ويهمنا ان تكون هناك حجة قاطعة في صحة الحكاية او تخطئتها لئلا يبقى الكلام فيها مضطرباً .

وليس أجدر من هذه المجلة المعروفة بدقة مباحثها ان تفسح مجالاً لمن يكتب في هذا الموضوع معتمداً على الادلة الصحيحة والآراء السديدة . والله الموفق الى السداد .

زحلة (لبنان) : عضو المجمع العلمي

عيسى اسكندر المعلوف

المسكوكات العربية

« وصاحب السعادة احمد زكي باشا »

بلغني ان العلاّمة احمد زكي باشا ألقى في مدينة القدس خطاباً نفيساً عن الآثار السورية وقد استطرد في خطابه الى مسألة شغلته منذ السنة الماضية وهي مسألة النقود العربية وما كنت ارتأيتهُ انا من استعمال الزجاجات كنقود للتداول مع انها في اعتقاد الباشا ليست سوى أوزان وعيارات . وقد اتى سعادته في خطابه المذكور بالبراهين على تخطئته لي ، ولما بلغني هذا قلت اني أُقر وأعترف بكون العلامة المشار اليه من العلماء المدققين وله اطلاع واسع في علوم شتى لاسيما في فنون العرب وآدابهم لكنه غير ضليع بعلم النقود التي يسميها الافرنج (علم النومسماتيك) .

والبرهان على ذلك ما نشره منذ بضع سنين عن نقد لصلاح الدين الايوبي اذ زعم انه نُقِش عليه صورته . ففنّدتُ زعمه هذا ببراهين قاطعة لا ردّ عليها وهي مدرجة في مجلة المقتطف سنة ١٩٢٠ م .

واما قوله باني لم آتِ ببرهان على استعمال الزجاجات كنقود فلا انكر باني لم اعثر حتى الآن على شهادة مؤرخ عربي بحت قال هذا الكلام ولكن جاء ذكر هذه النقود في تاريخ مصر الحديث للمرحوم جرجي زيدان في الجزء الاول من الطبعة الثانية وجه ٢٦١ اذ قال :

« وترى في الشكل الخامس والخمسين صورة نقود زجاجية ضُربت في عهد الدولة الفاطمية ايام احتياجها للمال وقلة الذهب . وحالما تولى صلاح الدين الغاها وضرب نقوده المعروفة بالنقود الناصرية نسبةً اليه » .

والمشهور ان جرجي زيدان نقل هذه الرواية عن مؤرخ فرنساوي جليل وهو الموسيو مارسِل احد رجال البعثة الفرنساوية في عهد نابوليون الاول . واليك عبارته باللغة الفرنساوية نقلاً عن تاريخه « مصر من الفتوح العربي الى تملك الفرنسيس » المطبوع في باريس سنة ١٨٧٧ في حاشيته وجه ١٢٩ :

«Salah-ed-dyn avait, en effet, fait frapper à cette époque un assez grand nombre de nouvelles monnaies, soit en or, soit en argent, pour retirer de la circulation les monnaies de verre, espèce d' assignats que la pénurie progressive des finances avait forcé les khalyfes fatimites d' émettre sous divers règnes, et dont Salah-ed-dyn annula l'usage.»

والعبارة لا تختلف كثيراً عن ترجمة جرجي زيدان ·

وأخبرني احد البحاثين عن المسكوكات العتيقة ان لديه مجموعة وافية من الزجاجات يشنف منها باجلى بيان انها استعملت بمثابة نقود وقال لي :

ان هذه الزجاجات استعملت كنقود ليس فقط عند العرب بل استعملها قبلهم البيزنطيون اي الروم الذين تملكوا بلادِ المشرق · ومن يجهل ان العرب تعاملوا بالنقود الرومية والفارسية والساسانية الى ان أُبطلت في أوائل الدولة الأموية وقام مقامها النقود العربية المشهورة عند الامويين والعباسيين ؟ اه ·

ومما يؤيد رأينا في ان الزجاجات لم تكن تستعمل فقط للعيار بل للتداول كنقود هو كثرة ما تركه لنا الاقدمون من هذه الزجاجات لا سيما في الديار المصرية · فانها تعد بالآلاف وعشرات الآلاف — فلو كانت ضربت للعيار والموازين فقط لما كانت وجدت بالكثرة التي نراها في المتاحف العمومية والخصوصية وبين ايدي تجار العاديات وغيرهم ·

وكم حدث ان الدول استعملت ايام الضيق معادن غير الفضة والذهب لا بل ورقاً كما جرى في عهد الدولة العثمانية باستعمالها العملة النحاسية كالبشالك وورق القائمة وذلك أشهر من نار على علم فهل يستبعد ان تكون الزجاجات استعملت كنقود في ايام الفاطميين وغيرهم ·

ونرجو من سعادة زكي باشا ان ينظر الى جيبه اذا كان لم يزل مقيماً في البلاد الشامية فما ذا يرى من النقود الصغيرة السورية كالقرش والقرشين والخمسة غروش هل هي أفضل من الزجاجات اللطيفة التي كانت محكمة الصنع جميلة اللون فانها لعمري اكثر قيمة من القرط المستعمل في بلاد الشام ·

القاهرة : يوسف اليان سركيس

مطبوعات حديثة

تاريخ مملكة الحبشة

«من عهد ملكة سبا الى دخول هذه المملكة في عصبة الامم»

تأليف السيد بيار آليب المندوب الممتاز لدى دولة سورية مصدَّر بمقدمة من قلم الشيخ (Sénateur) السيد هانري دي جوفنيل عضو جمعية عصبة الامم والعميد السامي للجمهورية الافرنسية في سورية ولبنان ، طبع طبعة خاصة في مطبعة بلون نوريت بباريس عام ١٩٢٦

L' Empire des Négus - par M. Pierre Alype, Paris 1925

أهدى المؤلف كتابه تاريخ مملكة الحبشة الى مجمعنا العربي مصدراً من خط أنامله بكلمات رقيقة أحسن فيها الظن اي احسان بالعرب ومدنيتهم ومدينة حضارتهم التاريخية دمشق . ومؤلفه سفر جليل حسن التبويب والتقسيم يقع في ٣٠٧ صفحات وهو مزين بسبعة رسوم جميلة تمثل نجاشي الحبشة السابق منيلك الثاني وابنته النجاشية زَوديتو العاهلة الحالية والاميرة تَفَري مكوُنّن القيم على شؤون السلطنة واباه الراس مكوُنّن امير هَرَر المتوفى والسيد ليونس لاغارد اول المندوبين الممتازين الافرنسيين وأهمهم لدى بلاط النجاشي وبعض الآثار التاريخية في تلك الاقطار ، وفي آخره مخطط (خارطة) المملكة . والحبشة قطر جبلي موقعه في شرق افريقية ما بين البحر الاحمر وأعالي النيل الابيض و يجري النيل الازرق في وسطها . تسكنه امة قديمة فطرية شَبَهية لون البشر (اي كلون البرونز) محسوبة من الجنس البشري الابيض او فرعاً منه معروفاً بالفرع الحبشي . لها حضارة عريقة وعددها يناهز العشرة ملايين من النفوس يدين معظمها بدين الناصري وما بقي منهم مسلمون وموسويون مع طائفة كبيرة تدين بدين الفطرة وفي عوائد اهلها شيء من الوثنية . وهي المملكة الوحيدة الشرقية التي حافظت على استقلالها الى اليوم منذ عهد سيدنا سليمان الذي تمت الى نسبه الأسرة المالكة فيها ، او تدعي هذا المت . وقد كان لها في زمن النبي (ص) والخلفاء الراشدين اختلاط كبير بالعرب أتيت على ذكره مفصلاً في احدى محاضراتي في ردهة المجمع العلمي العربي . ولما

لغة فصيحة هي احدى اللغات السامية بها الشيء الكثير من قواعد اللغة العربية وألفاظها واشتقاقاتها . وقد رحل المؤلف الى تلك الاصقاع إبان الحرب العالمية بمهمة سياسية ممتازة فدرسها واستبطن أسرار مدنيتها وتفهم أخلاق أمتها وخدمها وخدم أمته فيها خدمات جلّى شكرته عليها الامتنان معاً . وقد مال اليها فأحبها وعمل على دعم استقلالها ونجاتها من براثن ذوات الطمع من الدول التي حدثتها نفسها بابتلاعها لقمة سائغة .

(وصف الكتاب) كل صفحة من الكتاب تنفث في القارىء حب وطنه وتاريخه . جمع فيه فأوعى الوقائع التاريخية القديمة والحوادث الاهلية والسياسية الحديثة كتبها بوضوح جلي ولغة بليغة سهلة المأخذ لا يشوبها غريب ولا معقد . وقد اعتمد في سرد الحوادث الغابرة على انقى الاسناد التاريخية فنقلها بعد ان هضمها وصقلها بقلمه البليغ حتى لم تظهر عليه مسحة النقل لولا علامات وضعها وأشار في الهوامش الى اسماء المصادر . واعتمد في جمع شوارد الوقائع التي جرت إبان وجوده في تلك الاقطار على اختباراته الخاصة ولم يقم للنظريات وزناً مالم يدعمها بحجج الاختبار . وبهذا تفوّق على من سبقوه من الاوربيين الذين كتبوا عن الحبشة وتاريخها وأخلاقها وبين هؤلاء من زار قطراً منها وبينهم من طاف ارجاءها وجاب مواميها ومفازاتها فلم يوفقوا الى الاطلاع على ما كتب لسعادة هذا المؤلف للاطلاع عليه وقلّ جداً منهم من استوفى الموضوع من جميع اطرافه .

(اعرابه) قسم السيد بيار آليب كتابه الى ثمانية فصول ألخصها باربع مراحل: ابان في المرحلة الاولى مركز ساحل الصومال الافرنسي ومكانته الحربية والاقتصادية وقاعدته جيبوتي باب الحبشة الوحيد اليوم واتصالها بعاصمة الحبشة أديس ابابا بالخط الحديدي وأفاض في وصف الامكنة التي مرّ بها حتى دخل تلك العاصمة . وشرح في المرحلة الثانية أصل الاحباش من كوش ابن ابن نوح عليه السلام وكيف أموا هذا الصقع من افريقية عن طريق مصر واستوطنوها وسرد تاريخهم القديم من منيلك الاول ابن سليمان الحكيم (على زعمهم) ابن داود النبي ملك يهوذا صاحب الزبور من احدى نسائه ميقادية ملكة سبا في التيمن (وهي اليوم بلاد اليمن) عام ٩٥٥ قبل الميلاد حتى عهد منيلك الثاني الذي جلس على عرش اجداده من الأسرة السليمانية فصار ملك شوى اولاً عام ١٨٨٠ في عهد النجاشي ثيودورس ثم نجاشي الحبشة (او ملك ملوكها كما يسمي

الاحباش عاهلهم) في ٦ تشرين الثاني عام ١٨٨٩ وهي مرحلة طويلة جمع فيها حوادث الحروب الداخلية ومع الاجانب وخصوصاً التي وقعت منها في ايام النجاشيين ثيودورس و يوحنس وجاء بالتفصيل على ذكر حرب ايطالية مع الحبشة التي كانت سببها غلط ترجمة في معاهدة اوكشيالي وانكسار الطليان في موقعة عدوى (شباط ١٨٩٦) وأوضح بجلاء أغلاط الطليان السياسية والفنية العسكرية التي ادت بهم الى هذا التراجع ، وسعة صدر الملك الحبشي المنتصر وعدل مطاليبه المنصوص عليها في معاهدة الصلح مع خصمه . وتكلم عن المعاهدات الدولية بين النجاشيين وملوك اوربا والمحالفات التي أبرمت بين ايطالية وانكلترة وكان القصد من ابرامها تقطيع أوصال الحبشة وابتلاعها لقماً ، اللقمة تلو اللقمة ، وكيف قامت سياسة الفرنسيس بوجه هذا الطموح وثبتت أركان استقلال هذه المملكة الافريقية . وجاء على ذكر جلائل أعمال منيليك الثاني في ضم شعث المملكة وتوحيد أرجائها تحت امرة صولجانه الامبراطوري بعد ان كانت منقطعة الاوصال متفاوتة أغراض رؤساء الاقطاعات المستقلين . وأبان السر في نهوض هذه السلطنة الاقطاعية وذكر العوامل المؤثرة التي أدت الى هذا النهوض وخصوصاً مساعدة فرنسا لهذا النجاشي الكبير وابرامها معه المعاهدات النافعة وانشائها له السكة الحديدية التي فتحت للحبشة أبواب التجارة والصناعة والزراعة وأغدقت عليها وابل الخير وأدخلتها في سلك الممالك المتمدنة وضمنت لها مستقبل استقلالها ومنعة دفاعها . وفي المرحلة الرابعة وهي المرحلة التاريخية الحديثة التي شهد المؤلف وقائعها بعينه وقد جاءت كتتمة نسبتها في الحسن الى بقية الكتاب كنسبة ذنب الطاووس الى سائره . جاء فيها على ذكر تدهور الامير يسوع حفيد منيليك الثاني الذي تربع على تخت مملكة جده ، وخصوصاً عما اقترفه هذا العاهل الفتى من الآثام السياسية ابان الحرب العالمية من جراء تعرجه بين سياسة الحلفاء وسياسة الالمان بميل الى هذه اكثر من تلك حتى قامت عليه قيامة عظماء مملكته وانتشرت الثورة في معظم أنحائها وأوشكت بلاده ان تخسر استقلالها وتتناولها أيدي الدمار لولا حكمة المؤلف اذذاك في تلك الاصقاع وسياسة سفير دولته ودربة الانباماووس جثليق الحبشة ممن تمكنوا من حمل أمراء المقاطعات الحبشية على مقاطعته اولاً ثم محاربته وخلعه بفتوى أصدرها سيادة الانباماووس واعتقاله

والمناداة بجلالة النجاشية زَوْدِيْتو الامبراطورة الحالية ابنة النجاشي منيلك الثاني وإقامة سمو الامير تفري ابن الامير مكونن من الاسرة السليمانية المالكة قيما على الملك وورثياً لاريكته فأعاد الى المملكة رشدها وسلامها ووطد دعائم استقلالها المتداعية بمساعدة عمال الدولة الافرنسية . ثم رحل بعد ان وضعت الحرب أوزارها الى باريس ولندن ورومية واجتمع برؤساء حكوماتها وكبار وزرائها وساستها وعقد معهم المحالفات المفيدة . ثم عضدته أخيراً الدولة الافرنسية عضداً متيناً وعملت بواسطة السيد هانري دي جوفنيل عضو جمعية عصبة الامم على ادخال الحبشة في هذه العصبة فنالت هذه المملكة التاريخية منذ ذلك الحين كثيراً من المنافع المادية والادبية .

(محاسن الكتاب) لم تمنعني محاسن الكتاب ان أقف أحياناً وقفة الريب في صحة بعض ما ذكره المؤلف . من ذلك : (اولاً) اقتناعه ومحاولة اقناعه في كثير من الامكنة وخصوصاً صفحة ٢٦ ان الاسرة المالكة الحالية التي تدعو نفسها الاسرة السليمانية تمتّ حقيقة الى جدها الاكبر منيلك الاول وان هذا هو حقيقةً ابن الحكيم سليمان ابن النبي داود ملك يهوذا صاحب الزبور من امرأته ميقادية ملكة سبا . ولكن اذا سلمنا انها تمتّ الى منيلك الاول فهل نسلم ان هذا كان بالحقيقة ابن الحكيم ! قصة سفر ملكة سبا من التيمن الى اورشليم لمشاهدة حكمة سليمان حقيقة مشهود لها في الكتب المنزلة . ولكن اي تلك الكتب أم اي مؤرخ قديم قال ان سليمان تزوج بضيفته ملكة سبا او اتخذها حظية فولدت له في اورشليم غلاماً دعاه منيلك ورباه كما يقول الاحباش في تقاليدهم حتى شب وأرسله بحاشية كبيرة الى الحبشة وملّكه عليها ! لعمري انها لدعوى عريضة في شرف النسب لا يقرها التاريخ وما أمثالها الا خرافة ينزلها الاحباش منزلة الصحة مبنية على هرب بعض اليهود الى الحبشة عن طريق مصر والسودان في ايام نكباتهم التي يذكرها التاريخ في عهد الاسر البابلي وخراب اورشليم وهيكلها .

(ثانياً) قوله في (صفحة ٢٢) ان الجئز (بالجيم على اللفظ المصري وهي اللغة الحبشية القديمة) والامحرية من اصل فارسي . والصواب أنها من أصل حميري كما يستدل من شكل حروفها ومن قرب الفاظها الى اللغة العربية ووجه الشبه الكائن بين هذه وبينها من حيث الاشتقاقات الصرفية والادغام والاعلال ووزن بعض الجموع وتصريف

الأفعال الخ · وقد تأكدت صحة هذا المعتقد عقب اكتشاف الالواح الحميرية المشهورة في اليمن

(ثالثاً) قوله (صفحة ٢٣) ان الحروف الحبشية مأخوذة عن المسمارية وان المظنون ان أول حروف عرفت في العالم هي حروف الهجاء الحبشية · أعيذه من مثل هذا التناقض الا اذا وافقني بارجاع أصل الحروف الحبشية والفارسية معاً الى الحميرية وظن معي ان الحميرية نفسها قد تكون من أصل مسماري · أما انها أول حروف هجاء عرفت في العالم فهذا لا أوافقه عليه لاشتهار الحروف الصينية بهذه الاولية ·

(رابعاً) قوله (صفحة ٢٨) ان فرومنس وايديسيوس اللذين تاها في سفرهما فدخلا الحبشة عام ٣٤١ وعملا على تنصيرها كانا يونانيين وابني تاجر تونسي اسمه ميروبيوس · والصواب انهما كانا فينيقيين وابوهما هوميروبيوس الفيلسوف الصوري المشهور ·

(خامساً) قوله عن كتاب "فتهَ نكَسْت" انه قانون حبشي · والصحيح كما أخبرني الانبامتاووس جاثليق الحبشة (وهو مصري من الصعيد الاعلى) ان هذا الكتاب عربي اسمه «فتح الملوك» كانت الكنيسة القبطية تعتمد على نصوصه قديماً جل الاعتماد · وقد تُرجم الى الحبشية من عهد ليس بالبعيد وان كلة « فتهَ » المضافة انما هي كلة فتح العربية على وضعها الاصلي وتُرجم المضاف اليه الملوك بكلمة نكَسْت الحبشية وهي تفيد نفس المعنى ·

(سادساً) قوله (صفحة ١٠٣) مستنداً على تأليف كولا (Collat) ان الامبراطورة طايْتو كانت هي المتصرفة بأموال زوجها منيلِك الثاني · والصحيح ان وزير المالية هبتا جورجيس من قبل ان يُدعى وزيراً بزمن كثير وأسلافه من قبله هم الذين كانوا أمناء خزائن سيدهم النجاشي ولم تكن لهم البتة علاقة بالامبراطورة المذكورة بما يخص أمانة الخزائن · اما هي فانما كانت متصرفة باموالها الخاصة وكان لها اقطاعة كبقية العظماء · وقوله ايضاً من باب المديح (في الصفحة نفسها) انها (اي الامبراطورة طايْتو كانت شديدة الاهتمام بتقريب أولاد البيوت الملوكية القديمة من أسرتها ولكن فاته ان ذلك الاهتمام انما كان خبثاً منها لانها كانت ترى ايام زوجها معدودة لشدة وطأة المرض عليه فعملت على كسب قلوب أحفاد تلك الأسر القديمة واستمالتهم اليها ليشدوا أزرها يوم تتاح لها الفرص باخذ التاج بالارث عن زوجها · ومن هذا القبيل تزويجها الامير يسوع حفيد زوجها المولود من ابنة امرأته الاولى باحدى تلك البنات

قبل ان يبلغ الثانية عشرة من عمره وكان عمر عروسه سبع سنين وهي جناية كما لا يخفى ·

(سابعًا) مقالاته (صفحة ١٠٤ وما يليها) بوصف الامير مَكُونِّن والد الامير تَفَرِي قيّم المملكة الحالي ، والقول عنه في غيرها من الصفحات انه كان مطلق الحرية في إمارة البلاد المربية تحت طاعة نسيبه النجاشي · نعم ان هذا الامير الحبشي المتوفى كان منقطع النظير بين انداده الامراء الاحباش وقد عرفته بنفسي وكنت صديقًا له مقربًا اليه واطلعت على كثير من الاسرار بسبب ثقة الامير بي · وقد تجلّى لي الشيء الكثير من الفضائل وجلائل الاعمال التي ذكرها المؤلف · الا انه كان ضعيف العزيمة قليل الثقة حتى بأخلص المتقربين اليه من الحبشة والفرنج ولم يخلُ — شأن عموم متسلطي الاحباش — من سوء النية · والمشهور عنه انه هو الذي دس الدسائس على جميع اقرباء نسيبه النجاشي منيلك العصيبين أولاد وأحفاد جده الملك سهلاسلاسيه وأشار عليه باعتقالهم وقتلهم الواحد بعد الآخر حتى اتى على آخرهم ، وبث الروح بين الامراء ان لا تتولى امرأة على الملك · كل ذلك ليخلو له الجو ويعود التاج اليه او لولده اذ لم يعقب النجاشي المذكور ذكورًا · وقد ساعد تقلب الحدثان من بعد وفاته على تحقيق أمنيته بان أقيم ابنه الامير تَفَرِي قيمًا على المملكة ووريثًا لعهدها · وكانت الامبراطورة طَيْطُو عقيلة النجاشي منيلك شديدة البغض له ولذريته وقد خلقت له مشاكل جمة في أواخر ايام حياته حتى حملت بعلها على إقامة معتمد له في إمارة هرر خلافًا للعوائد الحبشية المرعية فقلّ بذلك نفوذ الامير في عقر داره وتوفي وفي قلبه تلك الحسرة ·

(ثامنًا) قوله (صفحة ١٠٨) ان الامير مَكُونِّن هذا كان يلقب بالسمو الامبراطوري والملكي وانه تعيّن ليخلف منيلك · والصواب ان هذا اللقب لم يكن يلقبه به الا الافرنج فقط وذلك لصلة قرباه بالعاهل · اما الاحباش فليس في لغتهم هذا اللقب ولا سواه من الالقاب الرسمية المعروفة وانما يلقبون عظماءهم بقولهم « الكبير ، المعظم ، السامي » الى غير ذلك من نعوت التفخيم والتبجيل وعباراته الطويلة · وكان النجاشي اذا كتب اليه رقيمًا ذكر اسمه فيه خلوًا من نعت ولقب ما خلا كلمة «راس» فيقول بعد الديباجة الملكية التي تستوعب اكثر من نصف الاولكة : « الى الراس مَكُونِّن ، ليكن اليك سلامي » · ولم يعينه قط خلفًا له لا رسميًا ولا بصفة غير رسمية بل ان دسائس الامير

هي التي جعلت الألسن تلهج تخميناً بان لاخلف للسدة النجاشية الا هذا الامير الباقي في قيد الحياة من الأسرة السليمانية · وقد نزل الاوربيون هذا الحدس منزلة الحقيقة ولكنه تبدّد عندما سمى النجاشي حفيده (من ابنته البكر المتوفاة) الامير يسوع وريثاً لعهده عام ١٩٠٩ وأعلن ذلك رسمياً في داخل مملكته ولدى الممالك الاوربية · ولولا تدهور هذا الداهل الفتى في سياسته ولولا خلعه لما حلم الامير تفري بن مكونن بالملك ·

(تاسعاً) قوله (صفحة ١٣٨) انه (اي الامير تفري) بعد وفاة ابيه منحه النجاشي رتبة ددجازماتش (وترجمتها حرفياً قائد الباب وهي تعادل عندهم رتبة الجنرال) وأقطعه بلاد سيدامو فحكمها وكان عمره ١٥ سنة · والصواب ان هذه الرتبة انما منحه اياها ابوه الراس مكونن قبل وفاته في هرر وكان عمره اذذاك عشر سنين وأقطعه إقطاعة في إمارة هرر · ثم بعد وفاة ابيه دعاه النجاشي الى أديس أبابا وأبقاه عنده نحو سنة ثم أقطعه بلاد سيدامو لانه ولّى حاكماً غريباً على إمارة ابيه وأقام له قيماً وصياً في حكم تلك المقاطعة لصغر سنه ·

(عاشراً) اعتمد على الكتب والتقارير الافرنسية في نقل الالفاظ الحبشية فجاءت معلولة · وانا أجتزئ من هذه الأغلاط ببعضها ·

الكلمات المعلولة التهجئة	صوابها
Ménélik	Menilek
Makonnen	Mekwonnen
Taïtou	Tahaïtou
Apté - Gorghis	Habta - Gorguis
Sahlè - Sellassié	Sahla - Sellacié
Addis - Abeba	Addis (ou mieux)Haddis - Abbaba
Dédjazmatch	Dadj - Azmatche
Fitorari	Fit - Aourari

هذا وان كفة ميزان الكتاب من جهة الحسنات لراجحة على كفة الغلطات · وكفى صاحبه شهرة ان كتابه هذا طبع خمس طبعات في خمس سنين مع ندرة الاخصائيين الذين يهتمون بمطالعة مثل هذه الشؤون المجهولة للناس مما يدل ان جودة قالبه جعلته من الموضوعات الرائجة ·

عبد الله رعد

الشيخ سيد العبيط
« وأقاصيص أخرى »

« تأليف السيد محمود تيمور طبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٤ — ١٩٢٦ »
« ص ٢١٦ »

مؤلف هذه الأقاصيص واسمها (الشيخ سيد العبيط) و (الملل) و (ابودرش) و (صديقي تلميذاً وموظفاً) و (خالة سلام باشا) هو الفاضل المفنن السيد محمود تيمور من نبهاء القاهرة كان ألف في السنة النائتة قصة (الشيخ جمعة وعم متولي) وقد نهج في هذه القصص او الروايات طريقة غريبة جديدة ، واكثر قصصه مبتكرة وقليل منها المحتذى من لغة غريبة ، تمثل حال المجتمع المصري وتصل الى قلوب عامة القراء من طريق التفكهة والتسلية بما يراد بثه فيهم من الافكار الصحيحة . والقصص اليوم في الآداب أداة عظيمة من أدوات التمدين والتثقيف قصر فيها العرب في القديم بالنسبة لتفوقهم في سائر فنون الآداب وهم مقصرون الى اليوم . وقد كان جل العناية بالشام ومصر بالتعريب اولاً ولكن ذلك لا يلذ ولا يطيب ، وها قد أخذت مصر تضع قصصها كما فعل صديقنا مؤلف هذه الاقاصيص وغيره من الشبان المنورين الذين اقتبسوا هذا الضرب من الادب وها هم يبرزون فيه شهراً عن شهر وسنة عن أخرى . وقد علل المؤلف في المقدمة البديعة التي عقدها للكلام على هذا الفن ونشأته عند الأمم لمغنى تغافل العرب عنه (ومنه اقتبسنا في هذا الجزء مقالة النهضة القصصية الحالية) ان أساطير العرب كانت قليلة لذلك جاءت أقاصيصهم قليلة ونقل رأي الاستاذ العقاد في قلة هذه الاساطير وأرجعها الى ثلاثة أسباب الاول الاقليم وأقليم بلاد العرب يبعد بهم عن الاساطير وهم الى السذاجة . الثاني التاريخ تتلخص في ان عبادة الموتى وتأليههم مصدر مهم من مصادر الاساطير والعرب لم يؤلهوا رجالهم الصالحين بمثابة أرباب بل بصورة أشخاص اتقياء . والثالث ان الانسان القديم كان يسمي الجوامد باسماء هي في الاصل صفات واستعارات كان يستعملها للحي فلما قدمت هذه الصفات والاستعارات صار للجماد صفة الحي وأضحت له شخصية تماثل شخصية

الأحياء وهذا منشأ الاساطير . اما عند العرب فان الكلمات من صفات واستعارات ما برح معناها الاصلي اي الاول يمتزج بحسها ولم تأخذ لها معنى آخر يخالف ماوضعت له وذلك لعدم تشعب اللغة عندهم و بساطة الفاظها لذلك لم تأخذ الجمادات عندالعرب شخصية الآدميين . وأضاف المؤلف سببين آخرين لتفسير قلة القصص عند العرب اولها ان العرب كانوا يعتزون بآدابهم ويفتخرون بها معتقدين انها فوق الآداب الاخرى بلاغة واحكامًا فلم يلتفتوا الى آداب الامم الاخرى التي ترجموا عنها علومها وفلسفتها لاعتقادهم بانهم في غنى عنها والذي ساعد على ذلك دين الاسلام الذي أبطل عبادة الاصنام وحطم الآلهة فأهملوا تعريب القصص عن اليونان لانها كانت مؤسسة على الميثولوجيا (الاساطير) . وثانيهما وهو مرتبط بالاول ان الفنون الجميلة من حفر وتصوير وتمثيل وموسيقى وشعر تعتبر أساس الفن القصصي وجلها وان لم تقل كلها مرتبط بالاساطير ايضا . فالنّحّال (الحفار) كان يصنع تماثيل الآلهة والمصور كان يصور حوادث البطولة والجمال ، والممثل كان يمثل أقاصيص الاساطير وهلم جرًا . والفنون الجميلة لا تزهر ولا تنتشر الا اذا زهت المدنية وارتقت لان هذه الفنون كمالية تأتي بعد اكتمال الضروريات وتنتشر كلما اقترب الناس من هذه الكماليات . ونحن اذا نظرنا الى الامة العربية في الزمن الجاهلي وجدناها قليلة الفنون فالتماثيل لم تكن الا تماثيل ضرورة أوجدتها ضرورة التدين فلم يكن عليها أثر من آثار الجمال الفني التي امتازت به تماثيل اليونان والتصوير كان معدومًا تقريبًا وكذلك التمثيل . و يضيق بنا المجال اذا أردنا الاقتباس من مقدمة المؤلف فنحيل الادباء على مطالعتها واحتذاء المستعدين منهم أمثاله في إنشاء قصصه . وكأنا بالامة العربية وهي لا ينتصف هذا القرن العشرون الا و يكون لها قصصيون على مثال الغربيين . ونرجو ان لا نفرط في حب هذا النوع الجديد من الآداب افراط الغربيين . ونرجو للمؤلف التوفيق لاحياء مدنية جديدة حاضرة كما يحيي العلامة والده أحياه الله مدنية العرب الغابرة . م . ك

Bibliotheca Alexandrina
06552789